د. مجـــد الهـــــاشمي

العولمة الدبلوماسية
النظام العالمي الجديد



العولمة الدبلوماسية

و

النظام العالمي الجديد

تأليف

الدكتورة: مجد هاشم الهاشمي

دار أسامة للنشر والتوزيع

الأردن - عمان

الناشر
دار أسامة للنشر والتوزيع
الأردن – عمان
هاتف: ٥٦٥٨٢٥٣- ٤٦٤٧٤٤٧ فاكس: ٥٦٥٨٢٥٤
ص.ب: ١٤١٧٨١، البيادر

الطبعة الأولى ٢٠٠٣م

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠٠٣/٧/١٢٨٩)

٣٢٧,١١
الهاشمي ، مجد هاشم
العولمة الدبلوماسية والنظام العالمي الجديد / مجد هاشم.-
عمان: دار أسامة ، ٢٠٠٣
( ) ص
ر . أ (٢٠٠٣/٧/١٢٨٩)

الواصفات /الهيمنة/ التداول/ النظام العالمي الجديد/ العلاقات الاقتصادية الدولية/

* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من دائرة المكتبة الوطنية

المقدمة

يعيش العالم اليوم في جو مشحون من التوترات والتناقضات والهواجس.. والخوف من .. المجهول إذ اتسمت الأحداث الجارية بطابع الحروب والهمجية وغاب فعل التوازن للقوى الدولية.. وضعفت قدرة الدول على اتخاذ القرارات السياسية .. وتهميش دور الدولة القومية .. وخذلان الأمم المتحدة ومجلس الأمن في أدائها وفي أحقية شرعيتها الدولية، غاب فعل الدبلوماسية التفاوضية وسادت دبلوماسية الغاب (الدكتاتورية) ونشط التهديد والوعيد باستخدام القوة العسكرية.. وبذلك يقود العالم (الشرطي العالمي).. الولايات المتحدة الأمريكية بتدخلها في السياسة الداخلية والخارجية الدولية وتوجيه التهم للدول الشرق أوسطية وحتى الغربية في ظل نظامهم المزعوم (النظام العالمي الجديد) والعولمة الإمبريالية بأدواتها (الأمريكية) الاقتصادية والسياسية والإعلامية.. وأخيرا (حربهم العالمية على الإرهاب) بعد انهيار أبراجهم العالية في أحداث (١١) أيلول ٢٠٠١.

هذه المقدمة الوصفية هي اختصار لمحتوى كتابي .. (عولمة الدبلوماسية والإعلام في ظل النظام العالمي الجديد) أما ما ورد فيه تفصيلا يبدأ بهذه المقدمة العلمية.

من المعروف أن أهم وسائل التأثير في السياسة الخارجية لأي دولة هي سيادتها، قوتها العسكرية، إمكانياتها الاقتصادية يضاف إليها سلاحها الإعلامي

المؤثر في العلاقات الدولية وكل ذلك يوظف في خدمة الفعل السياسي الخارجي المعبر عنه في الدبلوماسية الناجحة.

كان الاعتقاد السائد أن هناك تعارضا بين الدبلوماسية التقليدية والإعلام. فقد بلغ توهم البعض بوجود تنافر وعدم اتفاق بين الاثنين.. ولكن ما طرأ على العلاقات الدولية من تغيرات (النظام العالمي الجديد) جعل من الضروري نجاح الدبلوماسي وفعاليته في عمله أن يتقن علم وفن المفاوضة وتمثيل دولته في الدولة المبعوث إليها والتي تتطلب منه شدة الملاحظة والقدرة على التوجيه والإقناع وأن يحيط بالإعلام كعلم وفن وتطبيق وأن يلم إلماما كاملا بالتطورات التي طرأت على وسائل الاتصال الحديثة بفعل (العولمة) ومدى تأثيراتها لما للإعلام من مكانة بارزة من أدوات الصراع الذي تسابقت على امتلاك تقنياته الدول الكبرى والشركات متعددة الجنسيات للإفادة من فعاليته في مجالات التنافس الدولي بدءا بوكالات الأنباء ومرورا بالموجات الإذاعية والتحكم في منافذ الأخبار من خلال ثورة البث التلفزيوني الفضائي المباشر (والرقمي) وشبكة تراسل المعطيات المعلوماتية (الإنترنت) الذي غدا وسيلة إعلامية متطورة ومكتبة مفتوحة على العالم.

وثمة سؤال يطرح الآن وفق المتغيرات التي طرأت على المجتمع الدولي وتسلط زعامة (النظام العالمي الجديد) الذي يتحكم بفعل (العولمة) وأدواتها المعلوماتية وتكنولوجيا الاتصال.. هل زال العصر الذهبي للدبلوماسية.. مثلما زال نظام توازن القوى؟

ربما أجيب عن هذه التساؤلات وغيرها في كتابي.. (عولمة الدبلوماسية والإعلام في ظل النظام العالمي الجديد) وقد حاولت في الفصول الأولى التي جمعت بين مفهومي (السياسة والإعلام) أن أجد ترابطا بين أهم وسائل التأثير في السياسة الخارجية.. وهما (الدبلوماسية والإعلام) ذلك أن الإعلام والدبلوماسية كأدوات تأثيرية في الفعل السياسي الخارجي معا يحاولان أن يقدما للعالم الخارجي أفكارا خاصة في البلد المعني تضاف إلى جوانب إمكانياتها وقوتها بغية رسم صورة أو تصحيح صورة قائمة أو إضافة نوعية إلى الصورة المطروحة بأساليبها الحديثة، خصوصا الإعلام ووظائفه وتقنياته التي زادت بفعل العولمة سلاحا فعالا من أسلحة التأثير الحديثة ووسيلة من وسائل الاقتحام في حالات كانت إلى وقت مضى محرمة أو محاطة بحذر على الدبلوماسي.

وعند الحديث عن الإعلام والدبلوماسية لابد من البحث المتواصل لغرض إيجاد العلاقة المثلى والعلمية بينهما، وعندما تصفحنا العديد من المصادر التي تناولت الدبلوماسية وجدنا أنها تتعامل مع أداة أخرى كأساس في التعامل مع الدول ألا وهي الدعاية وتشترك مع الدبلوماسية في كونها نشاطا إعلاميا بالدرجة الأولى غير أنها تتخلف عنها في:

أولاً: توجه الدعاية إلى شعوب الدول الأخرى لا إلى حكوماتها.

ثانياً: الدعاية نشاط أناني لا تحكمه إلا اعتبارات المصلحة الوطنية للقائم بالدعاية وهذا نشاط لا تتقبله الدول الأخرى.

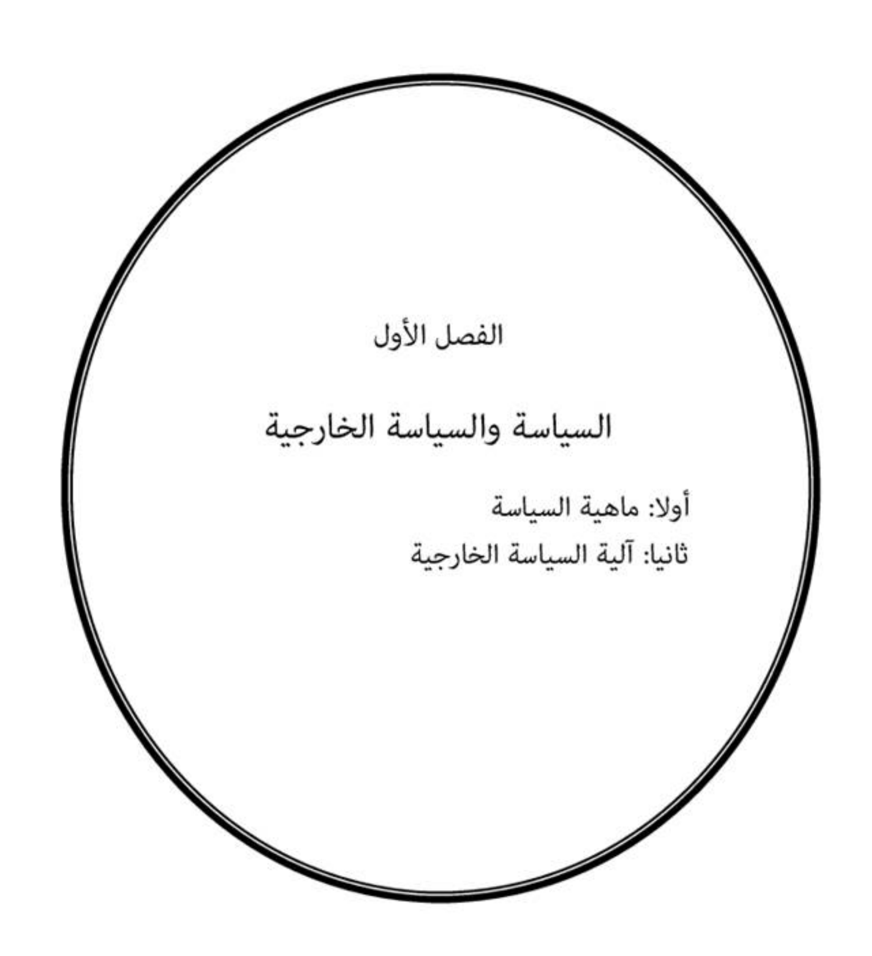
مفردات عديدة تضمنها الكتاب .. بدأ الفصل الأول بالحديث عن السياسة والسياسة الخارجية.. كمدخل تمهيدي – الإعلام وأثره في المجتمع- الفصل

الثاني كتعريف بأهمية الإعلام في المجتمع المعاصر.. ونظمه ووظائفه.. (الإعلام السياسي) في الفصل الثالث.. وعلاقاته بالرأي العام وأثره في العلاقات الدولية .. لتقريب المفهوم من الأداة السياسية الأخرى (الدبلوماسية في المجتمع الدولي الحديث) في الفصل الرابع نشأتها، سماتها، أدوات عملها.. وصولا إلى المتغيرات الدولية في إقامة النظام العالمي الجديد، ومظاهر العولمة في الفصل الخامس وأثرها على مستقبل الدبلوماسية والإعلام. عسى أن يجد كتابي هذا المكانة الجديدة .. والاطلاع الواسع..

و اللـه الموفق

المؤلفة: د. مجد الهاشمي

٢٠٠٣



الفصل الأول

السياسة والسياسة الخارجية

أولا: ماهية السياسة

ثانيا: آلية السياسة الخارجية

السياسة والسياسة الخارجية

أولا: ماهية السياسة؟

تعددت المدلولات التعريفية لمفهوم السياسة فبعضهم يراها الإدارة والنظم السياسة والعلاقات الدولية والسلطة السياسية والمواطنة. فالسياسة في معناها اللغوي وفي اللغة الإغريقية مثلا: يرجع إلى المفردات بوليس **Polis** وبوليتا **Politeia** حيث تعني الأولى: البلدة أو المدينة أو المقاطعة أو الحاضرة - التجمع السكاني، أما الثانية: فتعني شرف أو حق الإسهام في شؤون الدولة.[١] وترد كلمة سياسة في لغة العرب وبالتحديد في قاموس المنجد في اللغة والأعلام: بأن كلمة سياسة مشتقة من (ساس) فعندما نقول (ساس الدواب) أي قام عليها وراضها وساس القوم: دبرهم وتولى أمرهم، وساس الأمر أي قام به أو عليه واستصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجي في العاجل أو الآجل. وهي فن الحكم وإدارة أعمال الدولة الداخلية والخارجية.[٢]

ويرى ابن خلدون في مقدمته المشهورة السياسة بأنها إما تكون رديئة أو ظالمة إذا كانت تستخدم كوسيلة للظلم والاستبداد ولتحقيق المصلحة الخاصة على حساب المصلحة العامة، أو تكون السياسة جيدة أو عادلة وشرعية إذا كانت قائمة على العدل وتعمل للمصلحة العامة، إذا كانت أيضا تستخدم كوسيلة للإصلاح والإرشاد من أجل معالجة الأمور الدنيوية التي تنفع العباد في الدنيا وتضمن لهم النجاة في الآخرة.

وعبر أيضا عن دور القائد وأسلوب سياسته في قيادة الرعية قائلا: (ورئيسهم محتاج إليهم غالبا للعصبية التي بها المدافعة فكان مضطرا إلى إحسان ملكتهم وترك مراغمتهم لئلا يختل عليه شأن عصبيته فيكون فيها هلاكه وهلاكهم، وسياسة الملك والسلطان تقتضي أن يكون السائس وازعا بالقهر وإلا لم تستقم سياسته.[٣]

أما المفكر السياسي اليوناني أرسطو فقد أشار إلى كلمة سياسة في أكثر من دلالة كالتنظيم، أو إدارة شؤون المجتمعات البشرية وما يتطلبه من دستور وقوانين وسلطة عليا، إذ يذكر أن الإنسان حيوان اجتماعي بطبعه، وهو يعني التفاعل الإنساني حيث أن الإنسان لا يستطيع العيش منعزلا عن غيره وفق العلاقات الاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية التي تحكم وتضبط بواسطة دولة المدينة أو الحاضرة (دولة المصلحة العامة). ويتباين علماء السياسة في العصور القديمة والمعاصرة لتحديد مفهوم واحد للسياسة والظاهرة السياسية، فيلاحظ عدم الاتفاق على مفهوم موحد للظاهرة السياسية إلا أن هناك عدة اتجاهات يمكن تحديدها في:

أولا: الظاهرة السياسية هي ظاهرة الدولة، وعلمها هو علم الدولة، وتعتبر الدولة بذلك محور الفكر السياسي والسلوك السياسي.

ثانيا: الظاهرة السياسة هي ظاهرة السلطة، وعلمها هو علم السلطة وتعتبر السلطة السياسة بذلك هي محور الفكر السياسي والسلوك السياسي.

فيما يتعلق بالاتجاه الأول (ظاهرة الدولة) يقول أنصاره: إننا لو عدنا إلى منابع الفكر الفلسفي الأولى، والاتجاه منها إلى المساهمات الفكرية المختلفة عبر

القرون الوسطى وحتى الآن، لوجدنا أن الفلاسفة اليونان قد ركزوا فلسفتهم (وليس فكرهم السياسي) حول فكرة (الدولة المثلى) أو المدينة الفاضلة.. وأن بروز اصطلاح السياسة لدى أرسطو يكمن في احتواء الفلسفة والأخلاق، أما أفلاطون، فيركز فلسفته في كتابه (الجمهورية) حول البحث عن (الدولة المثلى) التي هي من وجهة نظره ليست مجرد وحدة اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية فقط، بل هي أيضا وحدة دينية وروحية.. الخ، أي أنها وحدة فلسفية عامة، كذلك الأمر بالنسبة لأرسطو الذي افتتح حديثه عن السياسة بحديثه عن المدينة أي (الدولة) واعتبارها مؤسسة اجتماعية بل ويعتبرها مؤسسة المؤسسات وأعلاها. ويبني كافة آرائه السياسية من حيث صلتها بالدولة، سواء كان حديثه عن القانون أو الاقتصاد أو الأخلاق.

ويتضح المفهوم لدى الرومان سواء لدى (بولببوس) أو لدى (شيشرون) حيث تركزت مساهمات الأول حول البحث في أشكال الدولة وأسباب التغير السياسي فيها، كما تركزت مساهمات الثاني حول الدولة وخاصة فيما يتعلق بالنواحي القانونية والدستورية وبأنواع الدول[٤]. أما بالنسبة للوضع في الفكرين الإسلامي والمسيحي في القرون الوسطى، حيث نجد الفارابي يتحدث عن المدينة الفاضلة متأثرا بأفلاطون، كما نجد ابن خلدون يتحدث عن ازدهار الدولة وانهيارها، إضافة إلى الأفكار الأخرى عند إخوان الصفا وغيرهم ممن تركزت أفكارهم حول (الدولة الشرعية) وأمور الخلافة، كما نجد من الناحية الأخرى (توماس الاكويني) والقديس أوغستين وغيرهما يحورون أفكارهم حول العلاقة بين الدولة والكنيسة متأثرين بالأفكار الرومانية واليونانية مع اختلافهم بإعطاء

الدولة مفهوما عقائديا باعتبارها (مدينة اللــه). أما أنصار الاتجاه الآخر الذين يقولون إن ظاهرة السياسة هي (ظاهرة السلطة) لهما رأيان:

أ- وهو الرأي الذي ينظر إلى السلطة نظرة ضيقة ويرى أن السلطة المقصودة هنا هي السلطة العامة، التي تتولى الحكم على مستوى المجتمع ككل وأن السلطة هي:

١- التعبير عن الحق في عملية الحكم.

٢- السلطة هي التعبير عن القوة في عملية الحكم سواء كان لها الحق أم لا.

٣- السلطة هي التأثير في عملية الحكم، وهنا نجد أن السلطة تتضمن إضافة إلى ما سبق (القدرة) التي تنبع من عوامل المكانة والنفوذ أو الثروة. أي أن:

السلطة = الحق × القوة × القدرة.

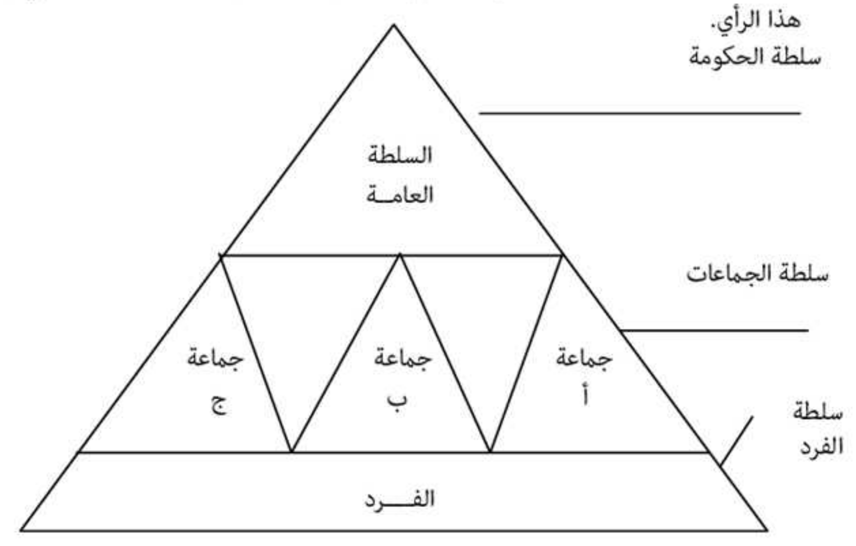
وتتداخل آراء العديد من المفكرين السياسيين في هذا الاتجاه فالمفكر السياسي (وليم روبسون) يرى أن دراسة السياسة هي دراسة السلطة وكيفية ممارستها وبيان أهدافها ونتائجها[٥].

أما ليون ديجيت **Leon Duguit** فقد ربط السياسة بالسلطة مستندا إلى أنه ما من مجتمع إلا ويكون فيه من يقود ومن يخضع ومن يأمر ومن يطيع ومن يضع القرارات ومن ينفذها، وجميع هذه الأمور تنضوي تحت السلطة[٦].

أما هارولد لاسويل فالسياسة عنده: هي النشاطات التي تقوم بها جماعة النخبة القوية من أجل تحقيق مصالحهم الخاصة باستخدام السلطة، وأن دراسة

السياسة، هي دراسة التأثير ومن يمارسه، أما المؤثرون فهم أولئك الذين يحصلون على أكثر مـما يمكن الحصول عليه من (أمن ودخل واحـترام). وهـؤلاء هـم جماعـة النخبـة، أمـا البقيـة فهـي عامـة الشعب.

ب- ويمثل هذا الرأي فهما واسعا للسلطة وبالتالي منهجا واسـعا للسياسـة، حيـث لا تقتصر رؤيتـه للسلطة من حيـث موقعهـا في الدولـة عـلى رأس المجتمـع الكـلي، بـل وتوجـد السـلطة أيضـا في الأشخاص والجماعات المختلفة، أسرة، أو عشيرة أو نقابة أو جمعية. وهذا المخطط الهرمي يوضح هذا الرأي.



ويوضح هذا الهرم أن السلطة الأولى تبدأ بالفرد فهو يخضع أولا لسـلطة (عقلـه) فيكـون بـذلك إنسانا سياسيا أو لسلطة غرائزه فتنفى عنه هذه الصفة، كما تخضع لسـلطة الجماعـة التـي تنـدرج في إطارها وحسب مستويات الجماعة، قبل

وصولها إلى مستوى السلطة العامة (الدولة) فيكون عضوا في الأسرة، والعشيرة والجمعية ثم الدولة، وهنا علينا أن نشير إلى متغير مهم وهو العلاقة الارتباطية بين الاتجاهات الفردية والقيم الاجتماعية حيث تمزج الاتجاهات بالقيم في كل فرد بوساطة عدد كبير من (التطلعات) التي يستطيع المحيط الاجتماعي وحده تلبيتها، وتندمج هذه التطلعات بأربعة نماذج عامة يأتي في مقدمتها أهمية الرغبة في القوة التي تمر خاصة عبر الملكية والسلطة السياسية والذي يعد من أكثر المتغيرات بظاهره ارتباطا بظاهرة الرأي العام وبشكل خاص في النظم الديموقراطية حيث تصبح (تطلعات) المشاركة السياسية باختلاف درجاتها وطبيعتها من أهم دوافع الأفراد ثم الجماعات في التعبير عن رأيها تجاه الدولة وشؤون الحكم أو أي حدث أو واقعة بخصوص الحياة السياسية داخليا أو إقليميا أو دوليا[٧]. وفي ضوء ذلك يتجلى لنا الرأي الثالث الذي يربط بين الظاهرة السياسية والرأي العام.

ثالثا: الظاهرة السياسية والرأي العام: حيث تتميز ظاهرة الرأي العام بأنها، ظاهرة مركبة، سواء من حيث ارتباطها بالظاهرة الإنسانية أو بتعامل الفرد من خلالها أو علاقته بالجماعة التي ينتمي إليها، أو من حيث دينامية الجماعة البشرية وانتظامات السلوك الفردي والجماعي فيها، وكذلك تبرز تركيبتها أيضا من كونها ظاهرة اجتماعية وسياسية في آن واحد، إلا أن ظاهرة الرأي العام كظاهرة سياسية هي البعد الأكثر إثارة للاهتمام وتتصل اتصالا وثيقا (بالوظيفة الاتصالية والإعلامية) للدولة.

إن الرأي العام كما هو معروف ظاهرة عالمية تنبع من خصائص المجتمع السياسي وتعكس هذه الخصائص بوضوح وتبعا لطبيعة المجتمع نفسه وأن الظاهرة بقدر كونها ظاهرة سياسية تتسم أيضا بكونها ظاهرة حضارية، لذا فهي لا تعكس خصائص المجتمع السياسي حسب، وإنما المناخ الحضاري العام الذي ينتمي إليه ذلك المجتمع[٨].

فالرأي العام ظاهرة تدور حول القوى النفسية المحركة للمجتمع السياسي ورد فعل للسلطة والتطورات المرتبطة بهذه السلطة ويرتبط وجوده بوجود ظاهرة السلطة كحقيقة تصاعدية متكاملة وبهذا يصبح الرأي العام نوعا من التحرك للقوى النفسية في مواجهة السلطة أو عملية ممارسة السلطة. ويتجلى تبعا لذلك موقع ظاهرة الرأي العام من الظاهرة السياسية من خلال:

١- علاقة الرأي العام الداخلي أو القومي بعملية صنع القرار السياسي الداخلي والخارجي.

٢- اعتبار الرأي العام أحد عناصر السياسة الخارجية في صياغتها، فإن رأي الجماعات الضاغطة قد أضحى أحد أدوات السياسة الخارجية في عملية التنفيذ.

٣- أضحت شريعة السلطة، وإعطاء المبررات لوجودها وبشكل خاص في دول العالم الثالث بحاجة أكثر من أي وقت آخر إلى تأييد الرأي العام. وبغض النظر، إن كان ذلك يعني (خلق الرأي العام) من قبل السلطة السياسة التي تنفرد بامتلاكها الوسائل الكفيلة لخلق هذا الرأي أو تبني الرأي العام السابق الموجود على الساحة السياسية. حيث يمكن

الاستفادة منه في إقناع الفرد بقبول تبريرات معطيات صاحب القرار. وبالتأكيد إن ذلك إنما يعبر عن ممارسة الشريعة السلطوية في أحد أبعادها في ظل ظروف المشاركة السياسية حيث يتحقق الميل لهذه المشاركة بفعل ظروف التخلف المعروفة التي يعيشها العالم الثالث.

إن المتتبع لموقع الرأي العام من الظاهرة السياسية يجد أن الفارق الاجتماعي بين البشر والحكام في العصور القديمة كان كبيرا جدا حيث كان أفراد النخبة أو السلطة الحاكمة هم المسيطرين على مقاليد الأمور السياسية، وكان الجمهور في منأى يكاد يكون تاما عن المنافسات التي تقع بينهم، ولم يكن لرأيه أي وزن بل كان يعاني الأحداث أو يقبلها، ولكنه لا يشارك فيها تحت وطأة ضغط السلطة الشديدة إلا أن يثور أحيانا ثورة عنيفة من جراء الابتزازات التي كانت تثقل كاهله ولكن التطورات التي أصابت العالم بعد ذلك ممثلة بالثورة الصناعية والثورة السكانية أو تكاثر البشر ونمو المدن، ثم ظهور وسائل الاتصال الجماهيري (الإعلامي)، وما رافقها من تطورات في بنية (المجتمع الجماهيري) بحيث أضحت إحدى خصائصه جعلت جميع الأفراد دونما تمييز في المكان أو الفئة الاجتماعية في تماس مع أبناء العالم، وأضحى، كل فرد يملك جزءا من السلطة تبعا لديمقراطية النظام السياسي ولم تعد السلطة بمنأى عن النقد، وإنما أصبحت أقرب إلى كل فرد، فهي خاضعة لتأثيرات الجمهور عليها ولم يعد القائمون على السلطة قادرين على اتخاذ الكثير من القرارات دون موافقة ضمنية في الأقل، وإن لم تكن صريحة من قوة الرأي العام هذه غير المنظورة والمتعددة الجوانب[١٠].

وفي النظام السياسي المعاصر، فإنه ليس أدل على أهمية التفاعل والارتباط بين الظاهرتين (الـرأي العام والظاهرة السياسية) فإن الرأي العام قد أضحى ظاهرة لا يمكـن لأي نظـام سـياسي مهـما كانـت طبيعته أو شكله إن يتجاهلها ولكن كشأن أي ظاهرة أخرى فإن دورها في الحياة السياسة متباين مـن بلد إلى آخر تبعا لدرجة التطـور والخلفيـة الحضـارية لهـذه البلـدان والقـيم السـائدة فيهـا، وطبيعـة المؤسسات السياسية القائمة فالرأي العام في المجتمعات الحديثة يختلف عنـه في المجتمعـات البدائيـة وهو في الدول المتقدمة صناعيا يختلف عنـه في الـدول الناميـة، كـما أنـه في النظـام الرأسـمالي يتكـون ويؤثر بشكل يختلف عما هـو عليـه في النظـام الاشـتراكي، والواقـع أن طبيعـة المشـاكل في المجتمعـات تستقطب حولها عناصر تحمل سمات هذه المجتمعات، وبالمقابـل فـإن الظـاهرة الاجتماعيـة المنبثقـة عن ذلك (الرأي العام) تؤثر في سياق الأحداث وفقا لمتطلبات واقـع هـذه المجتمعـات، خصوصـا فـيما يتعلق بأدوات الاتصال الجماهيري، ومستويات التعامل التقني بأساليبها المتعـددة وتقنيـات تنفيـذها والتي تلعب دورا خطيرا في صياغة الرأي العام، وكـذلك في التعبـير عنـه، وفي ضـوء ذلـك يتضـح أن أي نظام سياسي حتى ولو كان لا يمتلك مؤسسات للرأي العام .. -وقـد يتجاهـل وجـوده- فـذلك لا يعنـي عدم وجوده، لأنه موجود في حالة كامنة، لذا ليس من الغرابة في شيء أن تكون عملية الاستحواذ عـلى الرأي العام هدفا لكل سياسة سواء أكانت في السلطة أم خارجها، غير أن طريقة التعامل السلطوي مع الرأي العام تختلف باختلاف طبيعتها وأشكال مؤسساتها[١١]. إن العلاقة الارتباطيـة بـين ظـاهرة الـرأي العام والظاهرة السياسية يمكن أن نحدد جوانبها بدقة من خلال مستويات

الرأي العام من السلطة وتأثير ذلك في السياسة الداخلية والخارجية لهذا البلد أو ذاك، حيث نستطيع أن نميز بوضوح بين هذه المستويات(١٢):

١- فهناك الرأي العام المحلي ومشاكل السياسة القومية المرتبطة به سواء كانت هذه السياسة داخلية أو خارجية، ولكن إذا كانت المجتمعات المتقدمة قد أخذت بالاهتمام بمشاكل السياسة الخارجية والتعبير عن رأيها العام بهذا الخصوص فإن المجتمعات المتخلفة لا تزال تعكس التقاليد السابقة على الحرب الكونية الثانية من عدم اهتمامها إلا بالمشاكل المتعلقة بالسياسة الداخلية.

٢- ثم هناك الرأي العام المحلي والقومي الذي يمكن أن يصير هدفا لضغط خارجي بقصد التأثير على القوى السياسية المحلية بالإضعاف أو التقوية في مواجهة قرار سياسي خارجي أو عمل سياسي خارجي لمصلحة دولة معينة، وبعبارة أخرى تصير في عملية التأثير في الرأي العام الأجنبي وهو رأي قومي محدود زمانا وموضوعا كأحد منطلقات المساندة للعمل السياسي الخارجي.

٣- الرأي العام الدولي يأتي ليقدم مستوى متميزا من حيث علاقته بالظاهرة السياسية إن لم نقل إنه تجسيد لفاعليتها، حيث استطاع هذا الرأي أن يكون قوة ضاغطة تحرك السياسة الخارجية محليا وعلى الصعيد الدولي ولعل أكثر الأمثلة وضوحا حول ذلك هو مثال الثورة الجزائرية وكيف تحكم الرأي العام الدولي في دفع (ديغول) والسياسة الفرنسية إلى تصفية الموقف في شمال أفريقيا. وهذا يفسر طبيعة

التطور الذي تواجهه الجماعات السياسية المعاصرة، كقوى ومراكز ضغط كما هو الحال مع المنظمات والهيئات الدولية وغير الحكومية حيث لم يعد الانتماء القومي هو المتغير المتحكم بتأثيرات الجماعات السياسية في عالمنا المعاصر.

ثانيا: السياسة الخارجية

فهم طبيعة العلاقة بين (الدبلوماسية والإعلام) والسياسة الخارجية يفرض علينا أن نؤكد حقائق ثلاث في العمل السياسي الخارجي:

أولا: ضرورة التمييز في السياسة الخارجية بين مستويات ثلاث، إعداد السياسة الخارجية من جانب ثم عملية صنع القرار السياسي من جانب آخر ثم عملية تنفيذ القرار السياسي من جانب ثالث.

ثانيا: نقل أساليب العمل السياسي الداخلي الذي أساسه التعانق الديمقراطي بين القوى إلى النطاق الدولي والخارجي وبصفة خاصة من خلال المنظمات الدولية (الدبلوماسية).

ثالثا: تعدد أدوات تنفيذ السياسة الخارجية والنظر إلى الإعلام على أنه أداة من أدوات تنفيذ السياسة الخارجية تربط بين العمل الداخلي والعمل الخارجي من جانب ، وتستند بدورها إلى أدوات أخرى مكملة من جانب آخر[١٣].

ومن هذه الأدوات، العمل العسكري والضغط الاقتصادي، وكل واحد من تلك الأدوات لا يزال يؤدي وظيفة لا تقل عن أهمية العمل الدعائي ومن الضروري أن نضيف الدعاية الخارجية كواحدة من الأدوات الأخرى، لأنها في

ذاتها لا قيمة لها، فالدعاية مهما بلغت من القوة فهي تعد انعكاسا للأوضاع العسكرية والسياسية والاقتصادية القائمة بالإضافة إلى تفاعلها مع هذه الأوضاع وتأثيرها وتأثرها بها(١٤).

فإذا كانت هناك دعاية قائمة على أساس علمي ولا يساندها وضع عسكري ملائم ودبلوماسية قوية، وقوة اقتصادية معقولة. قلت أهميتها، وذلك لأن الدعاية تعكس أساسا صورة قائمة وهكذا يتبين الارتباط بين فاعلية الدعاية وغيرها من الأوضاع العسكرية والاقتصادية والسياسية(١٥).

إن تناول موضوع السياسة الخارجية يعد من الموضوعات المهمة في الظروف الراهنة سواء على صعيد صناع القرار السياسي أو صناع الرأي من الأكاديميين والإعلاميين والدبلوماسيين، فالمجموعة الأولى تعكس نتائج عملية التغير المستمرة في بنية النظام الدولي المعاصر جراء تعدد المراكز أو (الوحدات) السياسية الدولية المؤثرة سلبيا أو إيجابيا في تفاعلاته، فضلا عن نمو ظاهرة الاعتمادية الدولية ناهيك عن الثورة التكنولوجية في وسائل الإعلام (الاتصال والمواصلات) وأسلحة الدمار المعاصر، وبسبب هذه الخصائص وغيرها صار عالم اليوم عالما صغيرا متشابكا ومتغيرا بسرعة، ومن هنا أصبحت الأفعال السياسية الخارجية للدول المستقلة تترك مردودات مؤثرة بنسب ودرجات مختلفة في مصالح بعضها البعض، وعلى نحو لم يكن معروفا سابقا، وتبعا لذلك لم تعد هذه الدول تستطيع الانكفاء أو الانغلاق على ذاتها ومن ثم تجنب تفاعلها مع غيرها، فعالم اليوم لا يسمح بالعزلة السياسية الخارجية(١٦). لذا تحرص الدول ولا سيما ذات التفاعلات الإقليمية أو العالمية على توجيه

جزء من نشاطها السياسي الرسمي إلى خارج حدودها ودعمه بنسبة مهمة من مواردها المتاحة لتحقيق ذاتها ومصالحها وتأمين أمنها القومي، وذلك لعلاقة الأمن القومي بأسس وجود كل دولة، وفي سبيله أصبحت جل الدول ترى في السياسة الخارجية أنها بمنزلة (المرآة التي تنعكس عليها أهداف الأمن القومي من ناحية وأداة تحقيق هذه الأهداف من ناحية أخرى أي أنها أصبحت إحدى الركائز الأساسية التي تستند عليها استراتيجية الأمن القومي بمعناه المجتمعي الذي يشمل الدفاع والتنمية في آن واحد)[١٧].

⊠ أهداف السياسة الخارجية:

تسعى الدول من خلال آلية عمل سياستها الخارجية إلى تحقيق جملة من الأهداف المعلنة والخفية، ولكن يكمن الهدف الأول للدول كافة في الحصول على القوة أولا، وصيانة أمنها والمحافظة على استقلالها والدفاع عن الكيان الذاتي (الأمن القومي) ثانيا، والسعي وراء مصالحها الاقتصادية وحمايتها وضمان مواردها الطبيعية ومسيرتها التنموية (الأمن الاقتصادي والتنموي) ثالثا، ومقاومة أي اختراق أو تدخل من جانب أي دولة أو عقائد خارجية أو أفكار مدسوسة. ومقاومة المحاولات السافرة لتحقيق الاختراق النشط لبنائها الحضاري والأيديولوجي (الأمن الثقافي) رابعا، فضلا عن تكريس وحدتها الوطنية وعدم التدخل في شؤونها الداخلية (الأمن السياسي) خامسا، وكهدف سياسي خارجي قديم لا يمكن عزل السمعة والهيبة التي تتمتع بها الدولة عن منجزاتها المادية والمعنوية واحترام سيادتها وشرعيتها الدولية سادسا، وأخيرا تربط الدول الكبرى بين موضوعات الأمن القومي والمصالح الاقتصادية

جهودها في سبيل نشر دعايتها القومية والعقائدية في الدول الأخرى وتشجيع بعثات التبادل الثقافي والعلمي التي تساعد على تحقيق هذه الغاية[١٨].

☒ معنى السياسة الخارجية:

كأي ظاهرة ليس هناك إجماع على تعريف ثابت لظاهرة السياسة الخارجية، فكل فريق يرى هذه الظاهرة من منظوره الفلسفي أو الأكاديمي فتعددت التعاريف الخاصة بها وتنوعت بين التخطيط أو الفعل العقلاني المتماسك أي السياسة الخارجية كتنفيذ، فعلى سبيل المثال عرفت السياسة الخارجية بأنها مجموع النوايا **Intentions** التي تدفع بالدول إلى نمط معين من السلوك. أو أنها الخطة أو مجموعة الخطط **Plans** للسياسة الخارجية، أو القرارات **Decisions** أو الغايات **Aims** التي ترنو الدولة إلى إنجازها، والأساليب والاستراتيجيات التي تعتمدها لهذا الغرض أو المبادئ العامة **General Principles** التي تتحكم في ردود أفعال الدولة اتجاه ظروفها الدولية، أو النشاط **Activity** السياسي الخارجي لصناع القرار والرامي إلى تغيير البيئة الخارجية كدولته، أو أنها مجموعة ردود الأفعال **Reactions** على التغيرات البيئية أو السياسية **Policy** التي تنطلق منها الدولة حيال غيرها، أو منهج العمل **Course of Action** الواعي الذي يعتمده الممثلون الرسميون للمجتمع القومي قصد تثبيت موقف دولي أو تغييره في النظام الدولي يتفق والهدف أو الأهداف المحددة سلفا، أو أنها أفعال **Actions** حكومة إحدى الدول في علاقتها مع ظروفها ولا سيما علاقاتها مع حكومات الدول الأخرى[١٩].

وتتشعب الآراء حول السياسة الخارجية، ويمكن أن نحددها بأنها نشاط للأداة الحكومية في نطاق الأسرة الدولية، جوهرها السعي نحو السيطرة والاستحواذ وانتزاع المكاسب وحماية الدولة من أي عدوان متوقع عن طريق مؤسسات منتخبة وأدوات فاعلة لتحقيق الأهداف المرسومة.

⊠ أدوات السياسة الخارجية:

الحديث عن ظاهرة السياسة الخارجية وآلية عملها يتطلب منا التعمق والبحث في حركة صانع القرار الأول في الدولة وفق المتغيرات الداخلية والخارجية، والتفاعل السياسي مع الدول، فصنع القرار السياسي يجب أن يندرج في وضع وصياغة السياسة الخارجية، وأسلوب تنفيذ السياسة الخارجية ينبع من طبيعة وخصائص النظام السياسي الخارجي الذي يعتمد في صنعه للسياسة الخارجية على (هياكل صنع السياسة الخارجية) وهي الهياكل الرسمية للدولة.

يرى (فرانكل)[٢٠] أن نوعيتها تتأثر تبعا لنوعية إمكانات إحدى الدول وطبيعة نظامها السياسي، فضلا عن مدى المشاركة الجماهيرية في اتخاذ القرار. ومن هنا أكد أن هياكل صنع السياسة الخارجية في الدول الأوتوقراطية تختلف عن مثيلاتها في الدول الديمقراطية، أي أن صنع السياسة الخارجية في الدول الأوتوقراطية يتم مركزيا، أما في الدول الديمقراطية فيأخذ الصيغة اللامركزية، لقد أدت خصائص النظام السياسي الدولي إلى زيادة متصاعدة في كمية التفاعلات الدولية ونوعيتها، وبالاتجاه الذي جعلها تمتد لتشمل كافة العلاقات بين الدول، وقد نجم عن هذه الحقيقة تحول أساسي في طبيعية الهياكل التي تشترك بصفة أو أخرى في عملية إعداد السياسة الخارجية، وعلى الرغم

من تباين أدوارها. تكون واحدة في معظم الدول المعاصرة. ولدراسة أدوار هذه الهياكل في صنع السياسة الخارجية يقترح (لوفل) الإجابة على ثلاثة أسئلة مترابطة هي : من يحصل على ماذا، أو متى، وكيف، وصولا إلى تحديد طبيعة هذه الهياكل وبيان نوعية تأثيرها وظروفه وأدواته والنتائج الناجمة عنه[٢١]. وعلى الرغم من تعددية هياكل صنع السياسة الخارجية إلا أنها تتوزع إجمالا كالآتي:

١- رئاسة الدولة.
٢- الآلة السياسية الخارجية.
٣- المجالس التشريعية.

١- رئاسة الدولة:

يتباين التأثير السياسي الخارجي لرئيس الدولة تبعا لنوعية الصلاحيات الدستورية الممنوحة له، فضلا عن مدى اهتمامه الذاتي بالسياسة الخارجية. فأما عن الصلاحيات الدستورية، فهذه قد تكون ضيقة في أحيان أو واسعة في أحيان أخرى. ففي العديد من النظم البرلمانية لا يؤدي رئيس الدولة واقعيا وظيفة سياسية خارجية مهمة فمسؤولياته السياسية الخارجية تكاد تقتصر على جوانب بروتوكولية من حيث المضمون.

وتتزامن ظاهرة ضآلة مساهمة رئيس الدولة في عملية صنع السياسة لمجموعة من الدول مع ظاهرة معاكسة مفادها تعاظم دوره وتأثيره في مجموعة دول أخرى ولاسيما الدول ذات النظم الرئاسية وشبه الرئاسية وبعض الدول الشرقية. والواقع أن دور رئيس الدولة في مجمل هذه الدول وغيرها لا ينبع من

نصوص دستورية حسب، إنما كذلك من اعتبارات متعددة مهمة لها علاقة بالهيبة التـي يتمتـع بها داخليا، والصلاحيات الإدارية الممنوحة لـه. ناهيـك عـن أقوالـه وأفعالـه التـي تلـزم دولتـه بنتـائج قانونية وسياسية على قدر من الأهمية، وعلى الرغم من أن رئيس الدولة في تلك التي يتولى فيها إنجاز وظيفة سياسية خارجية مهمة يعتمد عموما على جهاز إداري يقدم له المعونة والمشورة.

٢- الآلة السياسة الخارجية:

ويقصد بها جميع تلك المؤسسات البيروقراطية الحكومية التي تنجز وظائف لهـا علاقـة مبـاشرة بالسياسة الخارجية أو التي تشارك بصيغة أو أخرى في تحديد نوعية السلوك السياسي الخـارجي لهـذه الدولـة، وعـلى الـرغم مـن أن طبيعـة هـذه المؤسسـات ونوعيـة مشـاركتها تختلـف بـاختلاف الـنظم السياسية عن بعضها إلا أنها تتوزع على النحوالآتي:

١- رئيس مجلس الوزراء.
٢- وزارة الخارجية.
٣- الوزارات ذات العلاقة بالسياسة الخارجية.
٤- الأجهزة الخاصة.

٣- المجالس التشريعية:

تتولى المجالس التشريعية إنجـاز الدسـاتير المعـاصرة مثـل إعـلان الحـرب، تصـديق المعاهـدات، الموافقة على مـنح المسـاعدات الخارجيـة بأنواعهـا. وتختلـف المجـالس فـيما بينهـا في مـدى إنجازهـا لوظائفها السياسية الخارجية حسب تباين

أدوارها في ظل النظام السياسي في الدولة، ويبدو أحيانا أن مشاركة المجالس التشريعية في صنع السياسة الخارجية هي مشاركة مؤقتة، وتحدد بفترة زمنية.

قلنا إن أسلوب تنفيذ السياسة الخارجية ينبع من طبيعة خصائص النظام السياسي الخارجي، أي أن القرار السياسي هو التصميم الإرادي السلطوي.. ويعني:

١- إرادة أو عمل إرادي من جانب السلطة يتجه نحو معاناة الواقع.

٢- وهو يفترض وجود مشكلة معينة تحددت زمانا ومكانا وموضوعا.

٣- القرار من ثم هو تصميم إرادي يعني الانتقال من الإطار المجرد الذي يمكن أن نصفه بأنه عالم الغايات والأهداف إلى الواقع الذي نستطيع أن نحدده بأنه مشكلة أو عقبة أو صعوبة واجهت الحركة السياسية وتعينت تصفيتها، وعليه يمكن أن نميز الأدوات المهمة التي ترتبط بتنفيذ السياسة الخارجية في:

أولا: القوة، وتتوزع على محورين الأول تقليدي على أنها الإكراه المادي أي فرض الإرادة الذاتية بالقسر على المعارضين (القوة العسكرية)، أما الثاني فهو معاصر ويدرك بمعنى التأثير النفسي، أي بمنزلة محصلة علاقة التفاعل بين طرفين أو أكثر والتي تتميز بقدرة أحد طرفيها على دفع الآخر نحو القيام بعمل معين، لا يقوم به من تلقاء نفسه ومن دون اللجوء إلى صيغ الإكراه المادي (القوة العسكرية)، أو بمعنى التأثير النفسي (القوة السياسية)، وتعني القوة: مقدرة الدولة على ترتيب أوضاع سياسية ملائمة خارج حدودها وتساعدها على إنجاز

أهداف سياستها الخارجية بأقل خسارة ممكنة باستخدام وسائل عديدة تبدأ بالدبلوماسية وتنتهي بالأشكال المختلفة لاستخدام القوة العسكرية.

ثانيا: المفاوضة أو المساومة.

ثالثا: الضغط الاقتصادي.

رابعا: الإعلام والدعاية.

خامسا: المنظمات الدولية.

سادسا: تشجيع حركات الانفصال المحلية.

سابعا: الحوار الدبلوماسي.

ورغم أهمية تفاعل تلك الأدوات جميعا في تنفيذ السياسة الخارجية إلا أن النجاح الأكيد يستند إلى أعمدة ثلاث:

١- دبلوماسية نشطة.
٢- دعاية وإعلام ذكي.
٣- قوة عسكرية يقظة.

إن الإطار العام لمستويات العمل السياسي الخارجي والتي يراد تنفيذها من خلال الأدوات التي ذكرناها يتجسد في القواعد التالية:

القاعدة الأولى:

أنه يجب أن نفضل أقل الأدوات تكلفة، فالاعتداء على سفير لا يمكن أن يواجه بحرب مسلحة مثلا، وهنا نلاحظ أقل الأدوات تكلفة بصفة عامة هي الأداة الإعلامية.

القاعدة الثانية:

التنسيق بين أدوات السياسة الخارجية ومعنى ذلك أنه يجب أن توجد علاقة تربط بين هذه الأدوات وفق تخطيط مرن أساسه وضوح الرؤية.

القاعدة الثالثة:

رغم تعدد أدوات السياسة الخارجية فجوهر العمل الخارجي يظل دائما عملية التفاوض؛ لأن السياسة الخارجية لا تعدو أن تكون تطويع إرادة لإرادة أخرى. ونقصد بها (الدبلوماسية).

مصادر الفصل الأول

١- مارسيل بريلو، علم السياسة، ترجمة محمد برجاوي ط٣، بيروت منشورات عودات، ١٩٨٣، ص٢٠١.

٢- المنجد في اللغة والإعلام، دار المشرق، بيروت ١٩٨٥، ص٣٦٢.

٣- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار القلم، بيروت ١٩٨١، ص١٥١.

٤- د. عبد المعطي محمد عساف ومحمود علي، مقدمة إلى السياسة، مكتبة المحتسب، عمان، ١٩٩٤، ص٢٦-٢٨.

٥- جان مينو، مدخل إلى علم السياسة، منشورات عويدات بيروت، ١٩٨٢، ص٨٦.

٦- Maunrice Duveryer, the study of politics, Translated by Robert wangone, N.Y: Nelson and sons Ltd, 1978, PP. 10-13.

٧- د. حميدة سميح، نظرية الرأي العام (مدخل)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٢، ص٧٥.

٨- انظر حول خصائص ظاهرة الرأي العام، د. حامد ربيع، مقدمة في العلوم السلوكية ط٢، دار الجيل للطباعة والنشر، دمشق ١٩٨١، ص٢٤٥.

٩- د. سويلم العزي، المفاهيم السياسية المعاصرة ودول العالم الثالث، المركز الثقافي العربي، الرباط ١٩٨٧، ص ٧٧-٧٨.

١٠- جان ستوتزل والآن جيرار، استطلاع الرأي العام، ط٢، ترجمة عيسى ـ صقر، منشورات عويدات، بيروت ١٩٨٢، ص٢٣-٢٥.

١١- د. صادق الأسود، الرأي العام والإعلام، بغداد ١٩٨٥، ص ١٣٧-١٣٨.

١٢- شمعون شور، الاتصال الاجتماعي، ترجمة وزارة الإعلام بغداد، ١٩٧٥، ص٨٣.

١٣- د. حامد ربيع، الحرب النفسية في الوطن العربي، دار واسط، بغداد ١٩٨٩، ص١١٦.

١٤- السيد عليوه، استراتيجية الإعلام العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٨.

١٥- د. محمد علي العويني، الإعلام الدولي بين النظرية والتطبيق، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٨، ص١٤٠.

١٦- د. مازن الرمضاني، العزلة السياسية الخارجية ضرورة أم وهم، صحيفة الجمهورية، بغداد (العدد ٥٠٣٧)١٩٨٩.

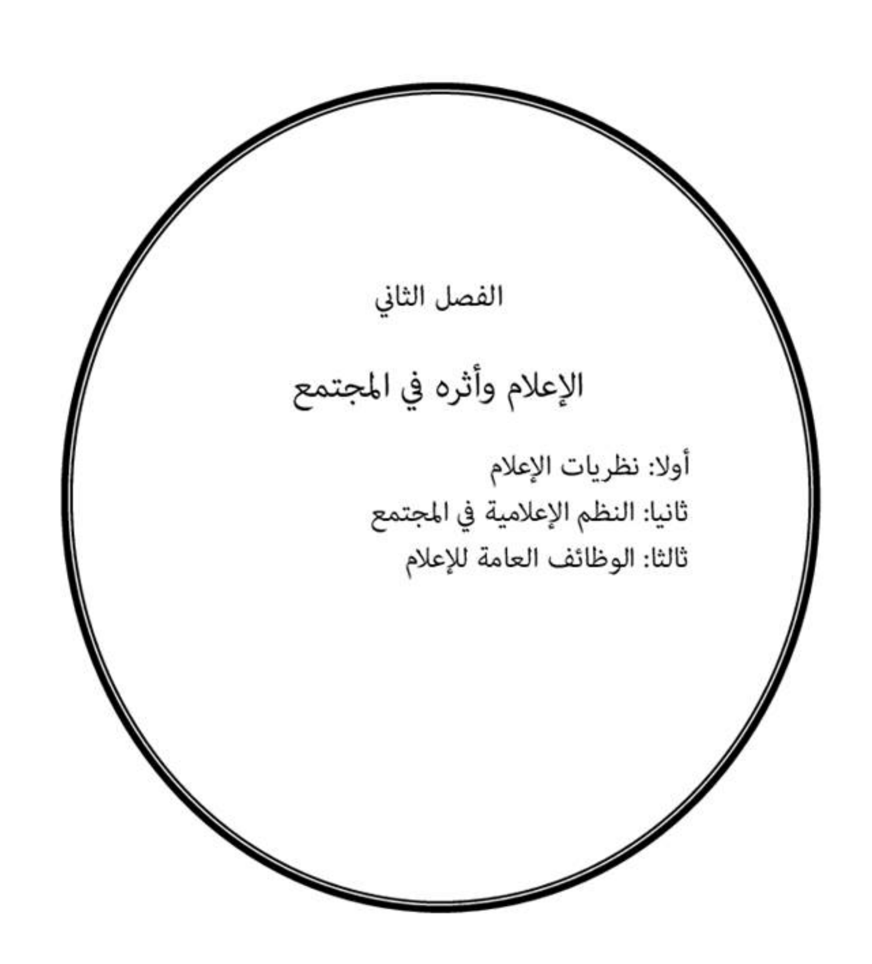
١٧- د. علي الدي هلال، الأمن القومي العربي، دراسة في الأصول، مجلة شؤون عربية (العدد ٣٥) ١٩٨٤، ص١٩.

١٨- كارل دويتش، تحليل العلاقات الدولية، ترجمة شعبان محمد شعبان، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٣، ص١٢٥.

١٩- للمزيد من التفاصيل أنظر (السياسة الخارجية) د. مازن الرمضاني، دار الحكمة، بغداد، ١٩٩١، ص ٢٥-٢٦.

٢٠- Joseph Frankel, National In terests.

٢١- حامد ربيع، مصدر سابق.



الفصل الثاني

الإعلام وأثره في المجتمع

أولا: نظريات الإعلام
ثانيا: النظم الإعلامية في المجتمع
ثالثا: الوظائف العامة للإعلام

الإعلام وأثره في المجتمع

من الطبيعي أن الفضاء الإعلامي المعاصر ووسائله الكونية الحديثة: الصحافة، الإذاعة، التلفزيون، حتى الإنترنت والهاتف النقال واكب تاريخيا وفي النطاق العالمي الثورة الصناعية وثورة ديموقراطية المجتمع والمجتمعات، والتغير في ميزان القوى الدولية وبروز النظام العالمي الجديد، وظهور هذا المجتمع الصناعي والديمقراطي أفرز وسائل إعلام جديدة لتكريس هذا المجتمع الجديد وتجذيره في الأذهان والسلوك، وهذه الأدوات الجديدة تمثل قطيعة تاريخية في مجال الاتصال والتأطير والتثقيف تعوض وتحل محل الوسائل والأدوات التقليدية (ما قبل الثورة الصناعية) الفئات النخوية العشيرة، القبيلة، العائلات، الأعيان الخاصة التي هي وحدها قادرة على الهيمنة على التراث الحضاري ووسائل الاتصال التقليدية.

فالمجتمع الجديد خلق فضاء إعلاميا جديدا لتدعيم نفسه بوسائله التي ابتكرها وهي وسائل الإعلام التي نتحدث عنها، ولابد أن نتذكر متى ظهرت وفي أي نطاق، بل لماذا ظهرت؟

ثورة تاريخية حاسمة وشاملة واكبها حدثان[1]:

١- بروز الأيديولوجيات القومية التي أخذت شيئا فشيئا مكان الولاءات التقليدية، وهذه الأيديولوجيات القومية بنتها نخب ثقافية عضوية لتغذية وبناء ما نسميه اليوم القومية والقوميات حتى تعطي الإطار للمجتمع الصناعي الجديد والدولة الجديدة.

٢- في ظهـور الدولـة العصر ـية (الدولـة الأمـة) التـي أخـذت مكـان الإمبراطوريـات القديمـة والسلطنات التقليدية.

ومن المعروف أن للقيم الوطنية والدينية والاجتماعية التي تعتنقها دولة ما علاقة ارتباط وثيقة بأساليب الممارسة الإعلامية لهذه الدولة، وعلى ذلك فإن النظم السياسية هي التي تحدد شكل وحجم ونوع القيم والمعايير التي تخدمها الوسائل الإعلامية بحيث يمكـن القـول إن مضـمون وظيفـة الإعـلام الأساسي في حياتنا المعاصرة أصبح يحمل دلالات نسبية تختلف حولهـا الآراء بـاختلاف نوعيـة الانـتماء الفكري والثقافي والمهني والاقتصادي والاجتماعي والسياسي والعقائدي لأصحاب هذه الآراء.

إن السمة المشتركة بين كل تلك الحقب التاريخية المتعـددة التـي شـهدت تطـور الإعـلام كانـت تتمثل دائما حول البحث عن كيفية، وتحت أي ظروف وبأي الوسائل تسـتطيع الحمـلات الإعلاميـة أن تشكل التأثير الأقوى والأسرع على الرأي العام وتتحكم في اتجاهاته[٢].

- الإعلام أداة اجتماعية فاعلة:

يعد الإعلام أداة للقوة الاجتماعية، ويفسر الكثير من الخبراء العلاقة بين وسـائل الإعـلام والـنظم الاجتماعية ومؤسساتها في المجتمع على أساس من الاعتماد المتبـادل، ويقـدم هيـبرت وزمـلاؤه تحلـيلا للنظم الإعلامية ونموذجا يوضح فيه العلاقة بين وسائل الإعلام أو النظم والخصائص المميزة للمجتمـع، فيرى أن العلاقة بين وسائل الإعلام والمجتمعات هي علاقة تبادلية، فـالمجتمع ينشـئ النظـام الإعلامـي القومي ويقوم الأخير بدوره في تطوير المجتمع أو

تغييره، ومع اختلاف المجتمعات تختلف أيضا النظم الإعلامية، من مجتمع لآخر وبذلك فإن العلاقة بين المجتمع ووسائل إعلامه منفردة لأنها علاقة متحركة ونشطة وليست ساكنة حيث يؤثر كل منها في الآخر.

- النظرية البنائية الوظيفية:

يقوم النموذج **Media System Paradigm** على النظرية التي ترى أنه في أي مجتمع هناك عوامل أو قوى اجتماعية تتفاعل بطرق محددة ومتميزة لخلق نظام إعلامي قوي يستخدم لأداء وظائف متعددة ومتنوعة تسهم في إعادة تشكيل هذا المجتمع. ويرى هيبرت: أن النظم الإعلامية تستخدم ست وظائف هي:

الإعلام والتحليل والتفسير، التعليم والتنشئة الاجتماعية، الإقناع والعلاقات العامة، الترويج والإعلان، ثم الترفيه والفنون. هذه الوظائف التي تقوم بها النظم الإعلامية. تقوم بدورها في تغيير المجتمع الذي قام بوضعها. وتأثير وسائل الإعلام وإن كان قابلا للمناقشة إلا أنه من المتفق عليه أن وسائل الإعلام تسهم بدورها في تغير المجتمع وأي مجتمع صناعي آخر في العالم.

وتتأثر نشأة النظام الإعلامي وتطوره في المجتمعات بالعوامل التالية:

أ- الخصائص الجغرافية والمادية للمجتمع، وتظهر حالات عديدة مثل تأثيرات المناخ - السطح - المساحة - عدد السكان وتوزعهم ، وعلى سبيل المثال استخدام إشارات **FM. AM** الإذاعية، وتأثير التوزيع

السكاني والانتشار على الجهود المبذولة للتغطية الإذاعية وتجاوز صعوبات النقل والتوزيع بالنسبة للصحف.

ب- الكفاءات التقنية والتي تتمثل في أربعة أنواع منها:

١- وجود كفاءات علمية في المجالات النظرية والتطبيقية تسهم في تطوير وسائل الإعلام، سواء في مجالات البحث والدراسة أو في مجالات التشغيل والصيانة وذلك بدلا من اعتماد النظام على استيراد التقنيات المتقدمة منها والخبراء أصحاب الاختصاص فيها.

٢- وفرة المواد الخام الخاصة بصناعة الإعلام مثل ورق الصحف وخامات الطباعة، والذي يؤثر النقص فيه إلى الحد من الصحف الصادرة، وعدد صفحاتها.

٣- قدرة المجتمع الصناعية على إنتاج الأجهزة أو الوسائل الإعلامية جماهيريا أو وفرة الأموال التي تساعده على شرائها. فالنظام الإعلامي لا يعمل ما لم تقم الصناعات المغذية له.

٤- المهارات المدربة التي يمكن أن تقوم بدورها في تحقيق وظائف النظم المعقدة فالوسائل لا يمكن أن تنجز مهامها بدون المهارات التقنية المدربة التي يمكن أن تتعامل مع المعدات. أو في العمليات الإنتاجية أو الإدارية للنظام الإعلامي.

ج- السمات الثقافية، فكل مجتمع له أحكامه ومعاييره المتميزة وأنماطه السلوكية، ووسائله الخاصة في تحديد الأولويات وتعديل السلوك. فهناك العادات الاجتماعية والثقافية والمعايير والقيم والاتجاهات التي تشكل

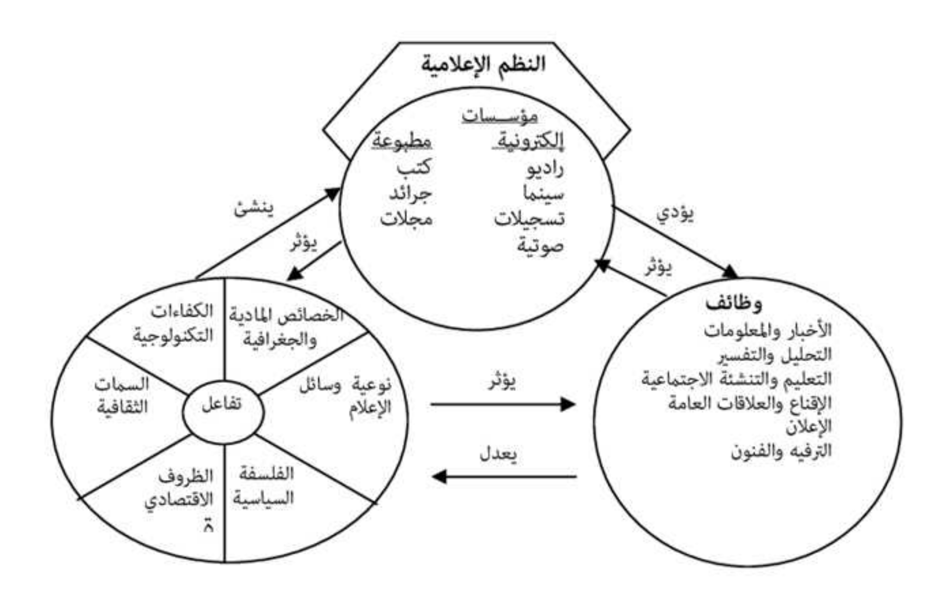
السـمات الثقافيـة والخصـائص الاجتماعيـة للمجتمـع والتـي تعتـبر ضرورة في تطـوير الـنظم الاجتماعية وتحديد أدوارها.

د- الظروف الاقتصادية: كما يحتاج الإنتاج الإعلامي إلى نفقات ضخمة، فإن اتجاهـات المجتمـع والأفراد نحو الوسيلة الإعلامية يمكن أن تحدده الخصـائص الاقتصـادية لهـا، ويحـدد البنـاء والفلسفة الاقتصادية للمجتمع وظروفه والطرق التي يتم من خلالها تمويل وسائل الإعلام. كما وتحدد الظروف الاقتصادية إقبال المتنقلين على وسائل الإعلام (ملكية الأفراد للأجهـزة) أو المشـاهدة الجماعيـة لهـا بشـكل أو بـآخر يـؤثر في تحديـد الوقـت والمكـان وطريقـة المشـاهدة وكـذلك نجـد في الولايـات المتحـدة أن توزيـع الصـحف المحليـة في المجتمعـات الطلابية أكبر من تلك التي يشتريها الطلاب. وحتى الصـحف المدرسـية التـي تمـول نفسـها قليلا ما تخضع للضغوط الإدارية عندما تتعرض لبعض الآراء الحساسة المثارة.

هـ- الفلسفة السياسية: يظهر تأثير البناء السياسي واتجاهه على تطوير النظام الإعلامـي في قـدر ونوع السيطرة التي تمارسها الحكومات على وسائل الإعـلام. فـالقوى السياسـية هـي التـي تضع القوانين والتشريعات التـي تعمـل في إطارهـا المؤسسـات الإعلاميـة، وتختلـف درجـة ونوع السيطرة من مجتمع لآخر، وتعتمد على الفلسفات السياسية للمجتمعات وأهدافها.

و- نوعية وسائل الإعلام: يتأثر النظام الإعلامي بخصائص المؤسسات الإعلامية من حيث تقنياتها وأنماط استخدامها، على سبيل المثال فقد أدى ظهور التلفزيون التجاري إلى تغير أدوار الراديو والسينما بعد ذلك، فالنظام الإعلامي ككل في أي مجتمع يتأثر في تشكليه أو إعادة تشكيله بصورة التفاعل بين وسائل الإعلام. بعض الوسائل أكثر تكلفة من غيرها، وبعضها يناسب بعض الفئات - المتعلمين ولا يناسب غيرها.

ويعكس النموذج الذي قدمه هيبرت وزملاؤه في الشكل التالي علاقة التبادل بين الإعلام والنظم الاجتماعية في المتجمع.



- اتجاهات النظرية النقدية:

يعد نموذج هيبرت من النظريات البنائية الوظيفية الذي يرى فيه أن العلاقة بين وسائل الإعلام في المجتمع وباقي النظم الاجتماعية هي علاقة متوازنة تقوم على الاعتماد المتبادل. وأن المحتوى الذي تنشره أو تذيعه هذه الوسائل يحافظ على توازن واستقرار المجتمع ككل، لأنه يلبي حاجات الجماهير التي تعتبر العنصر الأساسي من عناصر النظام الإعلامي، على عكس هذه الرؤية فإن النظريات النقدية ترى أن وظيفة وسائل الإعلام هي مساعدة السلطة في المجتمع على فرض نفوذها والعمل على دعم الوضع القائم. ولذلك كانت دراساتهم النقدية للأوضاع الإعلامية وانتشار الثقافة الجماهيرية **Mass Culture** بدلا من الثقافة الراقية أو الرفيعة التي ترتقي بأذواق الجماهير لوضع تفسيرات خاصة بانتشار صور المحتوى الذي تنشره وسائل الإعلام للترويج لمصالح الفئات أو الطبقات المسيطرة على المجتمع. ومهما تعددت النظريات النقدية فإن هناك اتفاقا على أجندة واحدة تقريبا تحدد العلاقة بين وسائل الإعلام والقوى الاجتماعية والسياسية في الأتي[٣]:

- إن محتوى وسائل الإعلام يروج اهتمامات الجماعات المهنية في المجتمع.. وإن هذا المحتوى يميل إلى التغطية غير المتوازنة للعلاقات الاجتماعية.
- تحليل المعاني الرمزية للمحتوى التي تستخدمها المصالح الرأسمالية لجذب اهتمامات الطبقات العاملة التي تعاني من الاستغلال الاقتصادي. وهذا ما اعتبرته النظريات مدخلا للدراسات الإعلامية.

- فضح أسطورة حياد الدراسات الإعلامية الأمريكية والتي تخدم نتائجها الثقافات المهيمنة، والتي تمول من كبار رجال الأعمال والحكومات كنوع من الانحياز للأفراد برضا المجتمع عن الحياة والواقع، ويعتبر ستيورات هول **S. Hall** من رواد المفكرين في هذه الاتجاهات التي ظهرت في أوروبا الغربية معتمدة على نظريات السياق الاجتماعي، والنظريات التأملية التي تحاول أن تفسر وتتنبأ باتجاهات الثقافة والمجتمع ويلخص **Hall** هذا في تقديمه للأعمال التي قام بها مركز الدراسات الثقافية المعاصرة **C.C.C.S** بجامعة برمنجهام خلال السبعينات.. أن مجموعة هذه الأعمال جاءت تحديا للبحوث التقليدية وتهتم بدراسة الإعلام في الإطار الأوسع للدراسات الثقافية وتصفه.
- دراسة محتوى الإعلام في إطار أوسع وتعريفه من خلال الدور الفكري والعقائدي للأعلام **Ideological Role** بدلا من نماذج التأثير المباشر التي كانت تقوم على أساس المثير - الاستجابة، والتأكيد على قوة وسائل الإعلام الفكرية والثقافية - وتوضيح موقف الهيمنة من خلال الطريقة التي تقوم بها العلاقات الاجتماعية والمشكلات السياسية التي يتم تحديدها، وإنتاج ونقل الأفكار الشعبية إلى المتلقين، مما يؤكد الاعتبار الخاص بالعلاقة ذات المغزى بين الفكر ووسائل الإعلام.
- تحدي النظريات الخاصة بالنص الإعلامي بوصفه تقديما واضحا للمعنى، وإعطاء اهتمام أكبر للبناء اللغوي والفكري أكثر من مجرد تحليل المحتوى التقليدي.

- التأكيد على مفهوم القراءة وجمهور القراء الذي يشير إلى العلاقة بين ترميز الرسائل الإعلامية وتباين تفسيرات الجمهور بدلا من مفهوم الجمهور **Audience** الذي اتفقت عليه الدراسات التقليدية بتأثير حاجات المسح الخاصة بالمؤسسات الإذاعية ووكالات الإعلان.
- الاهتمام بالدور الذي تلعبه وسائل الإعلام في تداول و تأمين تعريفات الهيمنة الفكرية وتقديمها، والتي تختلف تماما مع نماذج الثقافة الجماهيرية التي تتناولها البحوث الأمريكية، والتأكيد على غياب السياق الفكري العام في هذه البحوث. وتفرض النظريات الفكرية أن النظريات الاجتماعية يجب أن تقوم على قاعدة من القيم والأهداف المثالية لحياة الإنسان.. وتهدف هذه النظريات إلى بناء دليل عمليات الإصلاح أو تحول المؤسسات الاجتماعية أو النظام الاجتماعي حتى تصبح القيم الهامة حقيقية في حياة هذه المجتمعات. وغالبا ما تتواصل هذه النظريات النقدية من خلال اختيار مشكلات اجتماعية معينة، ودراسة مصادر هذه المشكلات، وموقع الصادر منها وتقديم توصياتها وحلولها المقترحة، وتعتبر العلاقة بين وسائل الإعلام والثقافة الجماهيرية هي مهد النظريات النقدية في علاقتها بمختلف المشكلات الاجتماعية. ولذلك فإنها تطرح العديد من الأسئلة حول الدور الاجتماعي المثالي لوسائل الإعلام، ومناقشة دوافع المهنيين في هذه الوسائل ودوافعهم المهنية ومعايير المهنة ومسؤولياتها الاجتماعية.. وغيرها من الأفكار والقضايا التي تهتم بالبعد الاجتماعي لوسائل الإعلام ودورها في عملية التغير الاجتماعي.

أولا: نظريات الإعلام:

المتتبع لنظريات الإعلام وأساليب التأثير يجدها تتداخل مع بعضها وتدور في حلقة دائرية وعندما تظهر نظرية تحل محلها نظرية أخرى تناقضها أو لا تتفق معها بل تلغيها.. ومع تعدد النظريات ومسمياتها إلا أننا نوجز بعض النظريات المتوافقة مع منهجنا ونبدأها بـ:

- أساليب التأثير ونظرياته:

الأسلوب الأول: التأثير المباشر أو قصير المدى[٤].

ترى هذه النظرية أن علاقة الفرد بمضمون الوسيلة الإعلامية، هي علاقة تأثير مباشر وتلقائي، فالإنسان الذي يتعرض لأي وسيلة إعلامية سواء كانت جريدة أو إذاعة أو تلفزيون، يتأثر بمضمونها مباشرة وخلال فترة قصيرة، فمثلا: إذا ما شاهد الإنسان في التلفاز مشاهد قتل وعنف، فإنه بالضرورة بناء على هذه النظرية سوف يحاكيها ويحاول تطبيقها في واقع حياته. سمي هذا المنحنى في دراسة تأثير مضمون وسائل الإعلام بـ(نظرية الحقنة)، أو (نظرية الرصاصة) في بحوث أخرى، واستمدت هذه النظرية من الحادثة التي حدثت في عام ١٩٣٩، حينما انتاب الهلع بعض سكان الولايات المتحدة عندما اعتقدوا أن هناك غزوا قادما من المريخ فتدافعوا بالآلاف إلى الشوارع وكان هناك عوامل فنية وأخرى نفسية ساهمت في صنع حالة الهلع التي تعرض لها سكان نيويورك إثر استماعهم لذلك البرنامج الإذاعي، وهذا ما يدل على أثر الوسيلة الإعلامية في نفسية الإنسان وسلوكه.

الأسلوب الثاني: التأثير على المدى الطويل أو التراكمي.

يرى هذا الاتجاه في تفسير علاقة وسائل الإعلام بالجمهور، أن تأثير ما تعرضه وسائل الإعلام على الناس يحتاج إلى فترة طويلة حتى تظهر آثاره من خلال عملية تراكمية ممتدة زمنيا، تقوم على تغيير المواقف والمعتقدات والقناعات، وليس على التغير المباشر والآني لسلوك الأفراد إذ تساهم (مصادر سائدة) كالبيت والمدرسة وغيرهما من مؤسسات المجتمع في عملية التنشئة الاجتماعية للأفراد، ولكن يمكن باستمرار تعرض الفرد لتأثير وسائل الإعلام أن يحمله على تبني أفكار جديدة وقيم مختلفة .. وتتفاوت بين شخصية فرد وآخر حسب استعداده وميوله النفسية والاجتماعية.

الأسلوب الثالث: نظرية التطعيم (التلقيح).

تشبه نظرية التطعيم مفهوم التأثير على المدى الطويل، لأن التعرض المتواصل لبعض ما تبثه وسائل الإعلام يولد نوعا من التبلد وعدم الإحساس أو ما نسميه بـ(الحصانة). إن الجرعات المتتالية من المفاهيم والقيم التي نتلقاها من وسائل الإعلام تشبه الأمصال التي نحقن بها (الأمصال الإعلامية) لكن (التطعيم) يعطي المناعة و(الحصانة) ضد كل ما تقدمه وسائل الإعلام من موضوعات مثيرة.

الأسلوب الرابع: نظرية التأثير على مرحلتين (الاتصال الشخصي).

تقول الفرضية: أن تدفق المعلومات من وسائل الاتصال الجماهيري يستقبلها قادة الرأي في المجتمع، الذين ينقلون هذه المعلومات بدورهم إلى الجمهور من خلال اللقاءات الشخصية والمناقشات التي تدور بينهم، ثم تبلورت

هذه الفرضية في نظرية جسدها لازارفيلد وكاتز في كتابهما (التأثير الشخصي) أكدا فيه أن محور هذه الفرضية هم قادة الرأي الذين يمثلون الوسيط في تدفق المعلومات من وسائل الاتصال إلى الجماهير، وقدما تعريفا لمصطلح (قادة الرأي) بينا فيه أن هذا الصنف من الناس الذين يمثلون دور الوسيط في انتقال المعلومات من وسائل الاتصال إلى الجماهير ليست لهم صفات شخصية تميزهم عن غيرهم، بل إنه مصطلح يطلق على كل من له دور في عملية الاتصال الشخصي. وإذا كان دور قادة الرأي في الدراسات المبكرة عن أثر الاتصال الشخصي ينحصر في تقديم المعلومات التي تبثها وسائل الإعلام إلى الجمهور أي هو دور الوسيط، إلا أن الدراسات التي أعقبتها أكدت أهمية هذا الصنف من القائمين بالاتصال في:

١- تقديم شرح وتفصيل للمعلومات التي تبثها وسائل الإعلام الجماهيرية وعدم الاقتصار على النقل.

٢- وهو الأهم ، تقديم أراء أخرى مغايرة للمعلومات والآراء التي تبثها وسائل الإعلام المختلفة عنها[٥].

الأسلوب الخامس: نظرية تحديد الأولويات.

استعير اسم هذه النظرية من فكرة (جدول الأعمال) الذي يبحث في اللقاءات والاجتماعيات. والذي يطلق عليه (أجندة). وفكرة هذه النظرية تقوم على أنه مثلما يحدد جدول الأعمال في أي لقاء ترتيب المواضيع التي سوف تناقش بناء على أهميتها تقوم وسائل الإعلام بالوظيفة نفسها، أي لها جدول أعمالها الخاص أو (أجندتها) .. جدول أعمال وسائل الإعلام هذا هو ما تبثه من

برامج وما تعرضه من مواضيع حتى يبدو للجمهور أن هذه البرامج أو هذه المواضيع أهـم مـن غيرها وأولى بالاهتمام. إن فلسفة نظرية (تحديد الأولويات) تلتقي مـع القـول المشـهور لأحـد علـماء الاتصال وهو (أنه مهم جدا لدرجة أنه حاضر دائما في وسائل الإعلام، والآخر تافه للحد الذي لا يرى إلا نادرا في وسائل الإعلام).

إن تأثير وسائل الإعلام على الجمهور من خلال ترتيب الأولويـات أو (وضـع الأجنـدة)، يـتم مـن خلال اختصار الحصيلة المعرفية للجمهور على مسائل محددة لا تعـدو في الغالـب، الـبرامج الرياضـية والترفيهية والمواضيع العاطفية مـثلا، كـما أنهـا تقـدم للجمهـور قـدوات مزيفـة مـن عنـاصر المجتمـع الهامشية وغير المنتجة. إن إدمان الجمهور على استهلاك المواد الإعلامية التـي تقـدمها وسـائل الإعـلام على أساس (أجندتها) يؤدي إلى مشكلة وإلى تأثيره بما تشتمل عليه تلك المواد مـن قـيم وأنمـاط حيـاة وسلوك، وهذا وجه آخر للتأثير التراكمي لوسائل الإعلام.

الأسلوب السادس: نظرية حارس البوابة.

يلعب حارس البوابة (الإعلامي) دورا هاما ومؤثرا في عملية انسـياب المعلومـات إلى الجمهـور .. ويتحكم فيها من ناحيتين:

١- **الناحية الأولى:** تتحكم الاعتبارات الشخصية لحارس البوابة في صنع ما يشاء أو إدخـال مـا يشاء من مواد إعلامية، وقد تكون تلك الاعتبارات الشخصية سياسة إعلامية مقصودة يراد من خلالها إحداث تغير ثقافي أو اجتماعي في الجمهور المستهدف.

٢- **الناحية الثانية:** هي من خلال ما يحجبه الحارس الإعلامي عن الجمهور فإذا كان قد سمح بمرور رسائل إعلامية معينة، فإنه قد حرمهم من الأخرى. ويؤكد هذا المفهوم: (الأكثر أهمية ليس الذي تم عرضه على الجمهور بل ذلك الذي لم يتم عرضه) وفي هذا إشارة إلى أن وسائل الإعلام قد تلجأ أحيانا إلى حجب الحقيقة أو المواد الإعلامية التي يحتاجها المجتمع لدعم ثوابته الثقافية وحماية بنيانه الاجتماعي ودفع عجلة التنمية بخطى منسجمة مع تلك الثوابت وذلك البنيان.

الأسلوب السابع: نظرية الاستخدامات والإشباع.

ترى النظرية أن الجمهور يستخدم المواد الإعلامية لإشباع رغبات معينة لديه، قد تكون الحصول على معلومات الترفيه أو التفاعل الاجتماعي ، أو حتى تحديد الهوية. إن نظرية الاستخدامات والإشباع تفرض أن دور وسائل الإعلام لا يعدو تلبية وإشباع رغبات كامنة أو معلنة لدى أفراد الجمهور. وبناء على هذا الافتراض فإن الشخص الميال لقضايا الحب والمغامرات العاطفية لن يمنعه عرض التلفزيون لبرامج تتعرض لهذه القضايا بالنقد من البحث عنها في مصادر أخرى. ومن الواضح أن هذه النظرية تنطلق من مفهوم (التعرض الاختياري) في علم الاتصال. وتفسير هذا المبدأ أن الإنسان يتعرض مختارا لمصدر المعلومات (وهو هنا وسيلة الإعلام) الذي يلبي رغباته ويتفق وطريقته في التفكير، ولأن هذه النظرية نشأت في الغرب وفي أمريكا بالذات فهي متأثرة بالجو الليبرالي أو مناخ الحرية السائد هناك والذي نادى به المفكر الإنكليزي

(جون ستيورات مل) في قانونه الشهير (السوق الحرة للأفكار) الذي يقوم على الكسب المادي دون أي ضابط أخلاقي، أي مفهوم التعرض الاختياري الذي تقوم عليه النظرية يصبح منطقيا في مجتمع يسمح بعرض كل شيء من العنف والجريمة إلى الإباحية والشذوذ الجنسي باسم الحرية الفكرية وحرية التعبير.

ثانيا: النظم الإعلامية في المجتمع:

تتباين النظم الإعلامية تبعا للمجموعات السائدة وأساليب نظرياتها الإعلامية المنبثقة طرق تأثيرها .. ويمكن أن تقسم تلك النظم الإعلامية وطبيعة تلك المجتمعات إلى:

١- نظم الإعلام في المجتمعات الشمولية.

٢- نظم الإعلام في المجتمعات الديمقراطية.

٣- النظام الإعلامي في المجتمع الإسلامي.

أولا: نظم الإعلام في المجتمعات الشمولية.

تنطلق علاقة حكومات المجموعات الشمولية و النظم الإعلامية السائدة فيها على محورين أساسين:

١- موقف الأنظمة السياسية الشمولية من حق المواطن في إنشاء وتملك الوسيلة الإعلامية.

٢- موقف هذه الأنظمة من طبيعة الممارسة الإعلامية و الرقابة عليها.

فالمجتمعات التي تحكمها الأنظمة الشمولية وغالبها مجتمعات (العالم الثالث) تتفاوت نظرتها إلى هذين المحورين ولكنها لا تخرج في الغالب عن المواقف الثلاثة الآتية:

١- عدم السماح للمواطنين بتملك الوسيلة الإعلامية، والمشتغلون في وسائل الإعلام الحكومية خاضعون لسياسات رقابية صارمة لخدمة النظام السياسي، ولا تتيح مجالا للنقد أو مساحة للمشاركة السياسية وهذه فلسفة ذلك النوع من الأنظمة الشمولية التي ترى أن وسائل الإعلام يجب أن تكون لسان الدولة وخاضعة لسيطرتها.

٢- السماح للمواطنين بتملك وسائل الإعلام المطبوعة مثل الصحف والمجلات، على أن تبقى الإذاعة والتلفزيون مملوكة للنظام السياسي وتحت إدارته ورقابته الذاتية، باعتبار أنهما جهازان رسميان، ما يبث فيهما يعبر عن سياسة الدولة، ولا يعني ذلك حرية ممارسة العمل الإعلامي في الوسائل المطبوعة بعيدا عن رقابة الدولة. بل إن العاملين فيها خاضعون لأنظمة وقوانين تضبط العمل وتفرض الرقابة عليه، وهذه القوانين تخدم النظام السياسي وإن أعطت وسائل الإعلام مساحة نسبية من حرية الرأي والتعبير فهي تعاني من الرقابة السياسية. وهذه الرقابة هي (من أعتى المشكلات التي تعاني منها وسائل الاتصال، وتتمثل في تعطيل المطبوعات بعدم نشرها وتوزيعها وبدلا من أن تكون وسائل الاتصال هذه أدوات وقنوات للتعبير عن مشاركة الجمهور في الحياة العامة فإنها تصبح (صوتا) رسميا معبرا

عما تريده السلطة السياسية فحسب) وهـذا النـوع هـو الغالـب والسـائد في المجتمعـات النامية.

٣- السماح للمواطنين بتملك وسـائل الإعـلام المطبوعـة مـع بقـاء الإذاعـة والتلفزيـون تحـت سيطرة النظام. وهذا النوع من النظم الإعلامية شبيه بالذي قبله ، إلا أن الفارق الجوهري بينهما هو مساحة الحرية المعطاة للصحفيين، إذ تتمتع وسـائل الإعـلام المطبوعـة في هـذا النوع من النظم بقدر من الحرية في ممارسة المهنة بعيدا عن الرقابة الصـارمة التـي تمنـع الرأي الآخر، وتحول دون المشاركة الحقيقية للمـواطنين في العمليـة السياسـية مـن خـلال وسائل الإعلام.

ثانيا: نظم الإعلام في المجتمعات الديموقراطية.

تقوم نظم الإعلام في المجتمعات الديموقراطية على أساسين

١- مجتمع السوق Market Society.

٢- ومبدأ المشاركة Participation.

ويعنـي مجتمـع السـوق هـو أن المجتمـع يمثـل سـوقا حـرة للأفكـار Market Place of Ideas ، والفلاسفة الليبراليون الذين أسسوا لهذا المصطلح في مجتمعـاتهم يقولـون إن المجتمـع لابـد أن يكـون بمنزلة السوق الحرة للأفكار، ومـا هـو رديء يصـاب بالكسـل ويضـمحل، وهـذا المفهـوم ينطلـق مـن الفرضية التي تقول: إن المواطنين هم أعضاء قادرون على التمييز بين هذين النوعين. ومعنى المشـاركة Participation أن المواطنين هـم أعضـاء مشـاركون في العمليـة الديمقراطيـة. ومـن طرائـق مشـاركتهم الفاعلة ضمان حريتهم في التعبير عن كل

ماله علاقة بحياتهم الخاصة وكل ماله علاقة بشؤون المجتمع الذي يعيشون فيه بالوسائل التي يريدونها. ومن هذين المصطلحين اشتقت كثير من المفاهيم الإعلامية. فمن المصطلح الأول وهو (مجتمع السوق) تبنت السياسات الليبرالية نظما إعلامية تكفل حرية تدفق المعلومات لهذه السوق (المجتمع) ومن أبرزها رفع القيود الحكومية عن حرية تملك الأفراد لوسائل التعبير المختلفة. فكانت هناك الملكية الشخصية لوسائل الإعلام والملكية المختلطة وغيرها من أنواع الملكية التي منحت المواطنين حق التعبير وحرية الكلمة ورفع الرقابة عن النشر إلا في حدود ضيقة جدا.

ومن مبدأ المشاركة **Participation** ظهرت مفاهيم إعلامية مرتبطة بوظائف وسائل الإعلام في المجتمعات الديمقراطية مثل مراقبة وسائل الإعلام للحكومة والمسؤولين ومحاسبتهم لتحقيق المصلحة العامة للمجتمع، والتنشئة السياسية وهي وظيفة رئيسة من وظائف الإعلام في النظم الديمقراطية والتنشئة الاجتماعية وغيرها من الوظائف التي تؤديها وسائل الإعلام كنوع من المشاركة في العملية السياسية وتضمن الحرية التي تسود المجتمعات الديموقراطية مجموعة من الحقوق تخول (الفرد القائم بالاتصال) والمؤسسة الإعلامية مزاولة العمل الإعلامي، من هذه الحقوق حرية الرأي وحرية التعبير، وحرية ملكية وسيلة الاتصال وحرية المشاركة السياسية، وحرية المجتمع، وحرية مزاولة مهنة النشر والتوزيع بدور إذن مسبق للحصول على رخصة نظامية (في الوسائل المطبوعة على وجه الخصوص والحماية القانونية للإعلام) وحرية الإعلامي في الحصول على المعلومات والاتصال بمصادرها.

ثالثا: النظام الإعلامي في المجتمع المسلم.

يستمد النظام الإعلامي في المجتمع المسلم منهجا واحدا ينطلق من قواعد الشريعة الإسلامية ومن مصادرها الأساسية مهما تنوعت هذه المجتمعات في جنسها ولغتها أو تباعدت جغرافيتها. وإذا كان الإعلام حتى في نشرات الأخبار وسوق الأحداث يكشف عن فلسفته ومذهبه وتقديره الخاص لما يكون، وهو في مواد الثقافة والترفيه أيضا يضفي لونه الخاص، ويعمل في ذكاء لتذكير من ينسى وتعليم من يجهل[٧].

فإن الإعلام الإسلامي ووسائله حين تنهض بواجبها تغرس العقائد والعبادات التي تتبناها وتعلي شعارا واحدا في برامجها ووسائلها كلها. ولذلك فإن النظام الإعلامي الأمثل في المجتمع المسلم هو الذي يصاغ بدقة وعناية واضعا أمامه جملة الأهداف الكبرى التي تنسجم مع روح الدين ومقاصده الشريفة، ومتحررا من كل الأهواء والمصالح الفردية أو الحزبية أو الأطماع السياسية، وهو ما ينعكس بدوره على الممارسة الإعلامية التي لابد أن (تصدر عن مبادئ أساسية تفرضها طبيعة الحق هي: العقيدة الصحيحة، العلم، الخلق، الرحمة، الجمال، المحافظة على مصلحة الجماعة وأمنها واستقرارها، ومراعاة حالة النفس البشرية والالتزام بمقاصد الشرع الحنيف وأحكامه) ومن أهم سمات هذا النظام الإعلامي، أنه (إعلام بناء وتحصين أي بناء الإنسان وبناء الحياة في كل جوانبها وتحصينه مما قد يعرض له من الآفات والملوثات الفكرية والسلوكية)[٨].

والنظام الإعلامي في المجتمع المسلم هو جزء مكمل لأنظمة الدولة الإسلامية ومؤسساتها التي هي جهاز من أجهزة الدولة، وتعمل وفق هذا المفهوم وتنطلق من تلك القاعدة، ورسالة الإعلام حينئذ ينبغي أن تكون (جزءا

مكملا من استراتيجية التغير الحضاري الذي تتعاضد لتحقيق أهدافه جميع مؤسسات المجتمع والدولة) بدءا بالنظام السياسي الذي يمتلك قرار تفعيل الإرادة الشعبية وتوفير المناخ الملائم للتغير والبناء وانتهاء ببقية المؤسسات الاجتماعية التي تبتغي أن تضطلع بالمهمات الملقاة على عواتقها، مثل النظام التعليمي، وأجهزة التوجيه الديني والاجتماعي، ودوائر التثقيف الفكري والسياسي والاجتماعي[٩].

ثالثا: الوظائف العامة للإعلام:

إن المدنية المتغيرة أو التقدم العلمي والتكنولوجي السريع في المجتمع الحديث أبرز أهمية الإعلام وضرورة إحاطة أفراد المجتمع علما بما يجري فيه من أحداث وتطورات، وضرورة أيضا تحقيق تماسك البنيان الاجتماعي، وتوثيق الصلات بين الحاكم والشعب، وعن طريق وسائل الإعلام يتم التعبير عن رغبات الجمهور وتطلعاتهم، وتعزيز التقارب الدولي بين الشعوب وما تنقله من قيم عبر الحدود إلى الأمم، وبذلك يسير وسائل الإعلام في اتجاهين:

أولا: هي قوة إيجابية داخل المجتمع تعمل على تماسكه وتدعيم بنائه، كما تعبر عن قضاياه، وتكشف عن ألوان الفساد والمحاباة والانحراف وتسهم في دفع عجلة التنمية.

ثانيا: قد تكون سلبية إذا لم يحسن استخدامها، وذلك قد تعمل على تخريب المجتمع وتفتيته، وتحطيم معنوياته وتشويه شخصيته الوطنية بغرس قيم غريبة، ولهذا فإن فهم وسائل الإعلام واستخدامها يصبح ضرورة للتعامل مع هذه القوة

التي يمكن أن تكون قوة خير تعمل لصالح المجتمع أو قوة شر تسهم في تعطيل قواه[١٠].

ولما كان الإعلام عملية نشر وتقديم للمعلومات والحقائق الواضحة والأخبار والموضوعات والوقائع المحددة والأفكار المنطقية والآراء الراجحة للجماهير مع ذكر مصادرها خدمة للمصلحة العامة. كما أن الإعلام يخاطب عقول الجماهير وعواطفهم ويقوم على المناقشة والحوار والإقناع وينزع نزعة ديمقراطية، وعلى هذا لابد أن تتسم العملية الإعلامية بالأمانة والموضوعية.

إن تحديد الوظائف الإعلامية التي يؤديها الإعلام قد يتعذر تحديدها لسببين:

١- اتساع دائرة الوظائف والاستخدامات الإعلامية.

٢- إن إمكانات الإعلام الهائلة لم تقل كلمتها الأخيرة بعد، حيث مازالت تتكشف كل يوم عن أبعاد جديدة وبصورة يصعب تصديقها.

ولعل من أهم الخصائص الوظيفية للدور الذي يؤديه الإعلام، أنه قناة الاتصال والتفاعل والتأثير بين أفراد المجتمع، وأنه الوسيلة الطبيعية للتفاهم و التعاون وتبادل الأفكار والمنافع بين المجتمعات، بالإضافة إلى أنه يشارك في تشكيل الرأي وترقية الذوق العام، ونشر الثقافة والعلوم والمعارف وتكوين ما يمكن أن يسمى ملكة الحكم المنطقي المتجانس لدى أفراد المجتمع تجاه القضايا العامة المشتركة.

يقول العالم الألماني (اتوجروت): إن الإعلام هو التعبير الموضوعي لعقلية الجماعة ولروحها وكيانها وميولها واتجاهاتها المختلفة.. وفي تفسير لمعنى (التعبير الموضوعي) يقول الدكتور عبد اللطيف حمزة في كتابه (الإعلام له

تاريخه ومذاهبه): إنه التعبير القائم على الحقائق والإحصاءات والأرقام التي لا يرقى لها الشك وليس تعبيرا ذاتيا من جانب المحرر أو المذيع أو مقدم برامج التلفزيون أو رجال السينما والمسرح .. الخ. ومعنى ذلك أن الحقائق التي يقوم عليها الإعلام لمفهومه الصحيح يجب أن تكون معبرة عن واقع فعلي يرتكز على الموضوعية وينسجم مع عقلية الجماعة التي يخاطبها من خلال تزويدها بأكبر قدر ممكن من المعلومات الصحيحة.

وعموما يمكن استعراض أبرز الدراسات التي تناولت وظائف الإعلام في المجتمع المعاصر منها، دراسة هارولد لاسويل الذي يرى أن الوظائف تتمثل في:

أ- الإشراف - الرقابة على البيئة أو المحيط.

ب- العمل على ترابط أجزاء المجتمع في الاستجابة للمحيط - البيئة التي يعيش فيها.

ج- وظيفة نقل التراث الاجتماعي والثقافي من جيل إلى آخر[١١].

أما لازار سفيلد ومورتون **Lazar Sfield and Morlon** فيرى أن لوسائل الإعلام ثلاث وظائف اجتماعية هي:

أ- وظيفة تشاورية: حيث تقوم بخدمة القضايا العامة و الأشخاص والتنظيمات والحركات الاجتماعية من خلال الوضع التشاوري الذي تحققه في وسائل الإعلام.

ب- وظيفة التقوية الاجتماعية، والتي تحقق من خلال مقدرة وسائل الإعلام على فضح وكشف الانحرافات عن الأعراف الاجتماعية وذلك بتعرية هذه الانحرافات للرأي العام.

ج- الوظيفة التخديرية: وهي وظيفة معيقة تدل عمليا على اختلال وظيفي لدور وسائل الإعلام وذلك عن طريق زيادة مستوى المعلومات للجمهور، حيث يتسبب طوفان المعلومات لأعداد كبيرة من الناس إلى جرعات من المعلومات التي تحول معرفة الناس إلى معرفة سلبية، وذلك يؤدي إلى الحيلولة دون أن تصبح نشاطات البشر ذات مشاركة فعالة[١٢].

ومن الوظائف الإعلامية في مجال التنمية الشاملة يرى ولبرشرام أنها تتمثل في :

أ- وظيفة المراقب(البصاص) وذلك لاستكشاف الآفاق وإعداد التقارير عن الأخطار والعوائق التي تواجه المجتمع.

ب- الوظيفة السياسية: وتتم من خلال المعلومات، حيث يمكن اتخاذ القرارات المتعلقة بالسياسة، وكذلك يمكن أن يتم اتخاذ القرارات القيادية وأن يتم إصدار التشريعات.

ج- دور المعلم وذلك من خلال تنشئة أفراد المجتمع الجدد بإمدادهم بالمهارات والمعتقدات التي يقدرها المجتمع[١٣].

أما دوفلور **Defleure** وبول روكيش **Ball-Rokeach** فقد اقترحا أربع وظائف للإعلام تتمثل فيما يلي:

أ- إعادة بناء الواقع الاجتماعي.

ب- تكوين الاتجاهات لدور الجمهور إذا اعتمد على معلومات وسائل الإعلام.

ج- ترتيب الأولويات لدى الجمهور (وظيفة وضع الأجندة).

د- توسيع نسق المعتقدات لدى الناس.

بينما يرى ليزلي مويلر **Leislie Moller** أن للإعلام تسع وظائف هي[١٤]:

١- وظيفة الإخبار والتزويد بالمعلومات ورقابة البيئة.

٢- الربط والتفسير: والهدف منه تحسين نوعية فائدة المعلومات وتوجيه الناس لما يفكـرون به وما يعملونه.

٣- الترفيه: وهدفه تحرير الناس من التوتر والضغط والمصاعب.

٤- التنشئة الاجتماعية: وهدفها المساعدة في توحيد المجتمع من خلال توفير قاعدة مشـتركة للمعايير والقيم والخبرة الجماعية.

٥- التسويق.

٦- المبادرة في التغير الاجتماعي في المجتمع.

٧- خلق النمط الاجتماعي: هدفه وضع الـنمط للمجتمـع وذلـك بتـوفير المثـال في الشـؤون العام والأدب والثقافة ونمط الحياة.

٨- الرقابة (الحارس العمومي)

٩- التعليم.

وحتى تحقق وسائل الإعلام وظائفها على الوجه الأكمل يرى **Moller** أن الإنجاز يتم خلال ما اقترحته لجنة هاتشنز **Hachens comission**، وذلك بتحقيقها المتطلبات التالية:

١- الصدق والشمولية والاستقصاء الذكي للأحداث اليومية في سياق يعطيها معنى.

٢- أن تكون منبرا لتبادل التعليقات والنقد.

٣- إبراز صورة ممثلة للجماعات التي يتشكل منها المجتمع.

٤- عرض وتوضيح أهداف المجتمع وقيمه.

٥- التمكن من الوصول إلى المعلومات.

مصادر الفصل الثاني

١- فرج الاسطمولي، دور الإعلام في بناء مجتمع متماسك، مجلة البحوث، اتحاد إذاعات الدول العربية، بغداد، ١٩٨٧. ص١١٦.

٢- د. فؤاد عبد السلام الفارس، في السياسة والإعلام وقضايا أخرى، الكتاب العربي السعودي، ١٩٩٠. ص٢٢٤.

٣- اعتمدنا د. محمد عبد الحميد، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، عالم الكتب القاهرة، ١٩٩٧.

٤- د. محمد عبد الرحمن الحضيف، كيف تؤثر وسائل الإعلام، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٩٩٤.

5- Li Hle john Stevenv (1984), The ories of Humua Communicational (2nd) Wad Worlh Belmontc.AP. 274.

٦- محمد بن سعود البشير، مقدمة في الاتصال السياسي، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٩٩٧.

٧- محمد الغزالي (النظرة الإسلامية في الإعلام والعلاقات الإنسانية)، بحث مقدم إلى اللقاء الثالث لمنظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي. ١٩٧٩.

٨- د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي، (الإعلامي الإسلامي المفهوم والخصائص)، دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض، ص٧٦.

٩- د. عبد القادر طاش، الإعلام وقضايا الواقع الإسلامي، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٩٩٥، ص١٠٢.

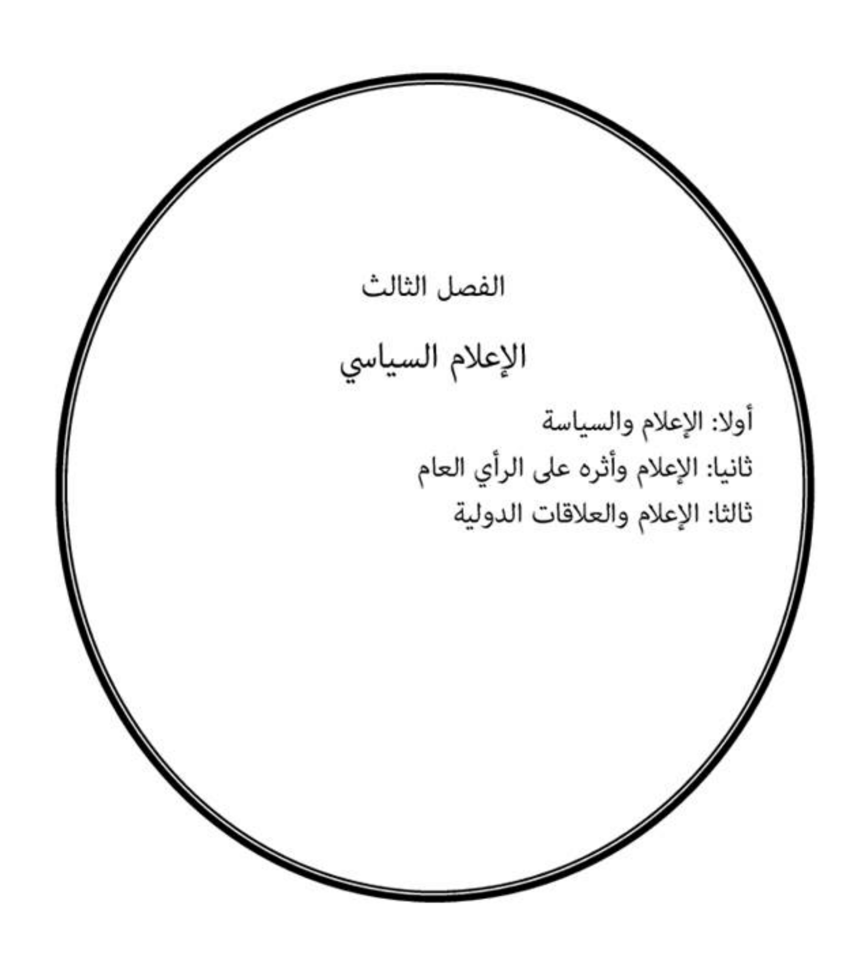
10- Harold Lasswell (The structure and Function of communication) in perspectives or Mass Communication edwarren Agee, PH Aut and E. Emery (New York: Harpead Row, P9. 1982.

11- Plasarss and. R. morton (Mass Communication.

12- Popular Task and Organized Social Actionlin Schramvn and Roberts. (eds) The Ploccssaul Effcts of mass communication urbana, Chicago University Press, 1971, PP51-60.

١٣- ولبر شرام، وسائل الإعلام والتنمية، دمشق ١٩٦٩. ص٦٦-٦٧.

14- Leslie Moeller (The Big Four Mass Media, Actualities and Expectations) Rochelle Park,NJ. Hayden Book Co. 1979,PP. 19-24.



الفصل الثالث

الإعلام السياسي

أولا: الإعلام والسياسة
ثانيا: الإعلام وأثره على الرأي العام
ثالثا: الإعلام والعلاقات الدولية

الإعلام السياسي

أولا: الإعلام والسياسة

يعتقد البعض أن العلاقة بين الإعلام والسياسة علاقة واهنة، فالإعلام يعني الإخبار وتقديم المعلومات وترجمة عاداتنا في خطب تثير أكبر قدر من الضوضاء، وعملية تتصف بطابع التضخيم والعلانية دون حياء، يسيطر عليها الصوت المرتفع وتملق الجماهير. أما السياسة فتثير في الذهن التحركات السرية المعقدة التي تبدأ وتنتهي في الخفاء بين الكواليس بعيدا عن أعين الجماهير لا يدري بها أحد يغلفها التكتم ويحيط بها الصمت، هي قضية الطبقة الحاكمة وليست أمورا تعني الشعب[1].

إن العالم المعاصر في (القرية الكونية الصغيرة) لم يعد يقبل أن ينظر إلى السياسة على أنها أمور تبتعد عن اهتمامات الشعب، ومطالب الجماهير، إذ غيرت الابتكارات في مجال تكنولوجيا الاتصالات بالإضافة إلى العولمة الزاحفة، طبيعة وسائل الإعلام العالمية وأدت إلى انتشار المعلومات، وترتبت على ذلك نتائج مهمة بالنسبة لكل من إدارة شؤون المجتمعات الوطنية والمجتمع العالمي، وقد بدأ هذا مع البث الإذاعي في الأربعينات، ومنذ ذلك الحين من خلال التلفاز والبث بالأقمار الصناعية لإتاحة الفرصة حتى لمن يعيشون في مناطق نائية للوصول المباشر إلى الصوت والصورة من العالم الأكثر اتساعا وفي بعض البلدان تأتي نظم الاتصالات الجديدة إلى السكان حتى بأنباء الأحداث الداخلية التي لا تتوفر لهم محليا، كما أدت خدمات الاتصال الدولي الرقمي

المباشر بالهاتف والفاكس إلى حدوث زيادة هائلة في تدفق الأنباء وسائر الرسائل عبر الحدود، وثمة تطور آخر مهم هو التشارك في المعلومات من خلال الروابط بين الحواسيب (خدمة الإنترنت والبريد الإلكتروني) في كافة أرجاء العالم. لقد مثل اتساع فرص الحصول على المعلومات أمرا صحيا بالنسبة للديمقراطية التي تفيد من وجود مواطنين أفضل اطلاعا كما أفاد هذا التنمية أيضا، والتعاون العالمي والمهني والعديد من الأنشطة الأخرى، ويمكن للروابط الواسعة التي أصبحت ميسرة الآن أن تساعد أيضا على التقرب من شعوب العالم، فقد حفزت صور وسائل الإعلام عن المعاناة الإنسانية للشعوب من خلال الإسهام في جهود الإغاثة مثلا ومطالبة الرأي العام الحكومات على تقديم التفسيرات واتخاذ الإجراءات اللازمة، والواقع أن للإعلام ووسائله تأثيرا كبيرا في تشكيل السياسة الخارجية في عدد كبير من البلدان[٢].

لقد تمكن الدارسون والباحثون في تحديد الطرق المختلفة التي تترك وسائل الإعلام آثارها على الرأي العام وهذه الطرق هي: تمكين الناس من الإحاطة بما يجري في العالم (أسلوب التعلم)، وتحديد القضايا والأحداث السياسية الهامة أو مشاكل الساعة (أسلوب ترتيب الأحداث)، أو لعب دور تأثيري في تحديد من من السياسيين ينبغي لومه أو مكافأته بشأن المواضيع والأحداث التي توردها الأخبار (تحديد المسؤولية)، وأخيرا هناك أسلوب التأثير على الخيارات والميول السياسية للناس (الإقناع).

تعمل هذه الفئات الأربع من التأثيرات ضمن إطار أشبه ما يكون بالسلسلة، إذ تمثل عملية بث المعلومات التأثير الأول لوسائل الاتصال، وبدورها تؤدي

عملية زيادة الإحاطة إلى حدوث تغيرات في بروز حدث أو قضية معينة، فمثلا لو كانت البلاد تعاني من حالة الركود، سيدرك الناس عبر متابعتهم للصحف أو التلفاز بأن آلافا من المواطنين قد أضحوا عاطلين عن العمل، وهو ما من شأنه أن يزيد اهتمام المواطنين بالوضع الاقتصادي. وإذا تحول اهتمام الناس إلى قضية أو حدث ما، فإنهم سيبادرون إلى محاولة تكوين فهم خاص بهم حول هذه القضايا عبر (تحديد المسؤولية) فهم سيطالبون بإيضاحات عديدة: ما الذي دفع الاقتصاد إلى هذا الوضع السيئ؟ ومن هي الجهة أو ما هي الوسيلة القادرة على تصحيح الأوضاع؟

أما الأسلوب الذي تتبعه وسائل الإسلام من التلفاز والنشرات الإخبارية في وضع المواضيع السياسية في إطار معين يمكن أن تقود المشاهدين إلى النظر إلى المسؤولية عما يجري بطرق مختلفة، ويمكن أخيرا للأخبار أن تقنع الأفراد بتغيير ميولهم السياسية أو خياراتهم الانتخابية مثلا. فلو قام الإعلام بتعريض المواطنين إلى أخبار اقتصادية ولمدة طويلة، ستبرز البطالة كأهم قضية في نظرهم، وستقع مسؤولية ما آل إليه الوضع الاقتصادي على عاتق أولئك المتقلدين المناصب، والذين سيفقدون شعبيتهم وسيتحول الناخبون لمصلحة منافسيهم[٣].

⊠ نماذج الإعلام:

من المعروف أن العمل السياسي الخارجي، هو حركة سياسية صادرة من الدولة وبعبارة أخرى هو حركة حكومية، وبذلك يتصف العمل السياسي الخارجي، بأنه نشاط للأداة الحكومية في نطاق الأسرة الدولية، في جوهره

السيطرة والاستحواذ وانتزاع المكاسب أو حماية من عدوان متوقع. ويتحقق الفعل السياسي الخارجي في تنفيذه باستخدام (الإعلام) على أنه أداة فاعلة من أدوات تنفيذ السياسة الخارجية، وهو مقدمة لحركة سياسية لخلق موجة من الرأي العام بحيث يدفع ويساند بقوى معينة، أو يضعف ويفتت من قوى معينة الأمر الذي لابد وأن يؤدي إلى عملية توفيق حركية بالنسبة للدولة مصدر الدعاية في عملية المفاوضة والمساومة والدبلوماسية ويمكن أن نميز نماذج عديدة في الإعلام ومنها:

١- الإعلام الدعائي:

ارتبط مفهوم الدعاية مع الإعلام وصار يتداخل مع العديد من أنشطته وآليته، فالدعاية هدفها تغير استجابة المستقبل بالشكل الذي ابتغته الرسالة الدعائية، والتي حاول المرسل من خلالها أن يصل للاستجابة التي توخاها من خلال ممارسة الضغط العاطفي والنفسي بوسائل متعددة ومتباينة، بعضها يخرج من نطاق الأخلاق مستهدفا من ذلك خلق شعور جمعي سلبي أو إيجابي إزاء القضية المطروحة، بمعنى أن الدعاية هي (فن) لأنها تعتمد على المواهب الشخصية للقائم بالعملية الدعائية وعلى النوازع والخصائص السيكلوجية لمتلقي الرسالة الدعائية والأجواء النفسية التي تحيط به، وبالتالي فهي تعتمد على قدرة القائم بالعملية الدعائية على التلاعب بهذه العناصر النفسية للتأثير على منطق المستقبل والضغط معنويا عليه.. وبهذا الخصوص يذكر معهد تحليل الدعاية الأمريكية (أن الدعاية الإعلامية تعبير عن رأي أو فعل يقوم بإعداده بصورة

متعمدة وواعية، أفراد أو مجموعة من الناس، بقصد التأثير على آراء وأفعال أو مجموعات أخرى لأغراض وأهداف تم تحديدها مسبقا)[٤].

وتساعد تكنولوجيا الاتصالات الدولية ووسائل الإعلام الجماهيرية على تغلغل العمل الدعائي إلى عقول الملايين من البشر على امتداد الكون، والتأثير بذلك في ميولهم ومعتقداتهم والضغط من خلالها على الأجهزة المسؤولة عن اتخاذ القرارات السياسية في العديد من دول العالم، حيث تخاطب الدولة مباشرة المجتمع السياسي الذي ينتمي إلى المجتمع الآخر، بحيث تحمله على أن يضغط أو أن يكون قوة ضاغطة على الطبقة الحاكمة في ذلك المجتمع وهذا النموذج يسمى الإعلام الدعائي.. ويمكننا أن نشير إلى أن هذا النموذج من خلال الأساليب الدعائية التي يعتمدها الإعلام الغربي والذي يتحدد بالنقاط الآتية[٥]:

١- الإثارة: وهي المبالغة في استخدام التكنيك الدعائي عن طريق تعبئة أجهزة الدعاية تعبئة حماسية عالية ذات طابع عاطفي.

٢- الحرب النفسية: وهي شكل من أشكال الدعاية هدفه إقناع الجمهور أو الخصم بأن الخير كل الخير في التسليم والاستلام.

٣- الحملة: وهي عملية إقناع منظمة من خلال وسائل الإعلام توجه نحو الرأي العام.

٤- غسيل الدماغ: وتقوم على توجيه العمل الإنساني ضد رغبة الفرد أو عقله.

٥- الدعوة: وتستند هذه إلى نشر فكرة معينة باستخدام الحجة والمنطق والتفكير العلمي.

والذي يتأمل أساليب الإعلام الغربي وأهدافه يجد أن الرأي العام هو الهدف الأساسي الذي توجه الحملات الإعلامية للتأثير عليه ولذلك فإنه عند دراسة الإعلام الغربي تبرز الأمور التالية:

أ- التكرار والملاحقة.

ب- الإثارة العاطفية.

ج- عرض المعلومات وكأنها حقائق لا يرقى إليها الشك.

د- تحويل انتباه المواطنين.

هـ- اتباع أسلوب البرامج المحددة.

إن هذه الأساليب والممارسات الدعائية تفعل فعلها وتصيب نجاحا إذا كان الطرف الذي يتلقاها غير محصن بما فيه الكفاية، أو لا يمتلك الوعي الكافي بأهداف الدعاية وأساليبها وفنون الإعلام الغربي المختلفة، إذ أن القائم بالاتصال أو الفعل الدعائي يركز على نوع وحجم الأثر الذي يريد إحداثه في مواقف الرأي العام وأفراده أو على الحكومات والدول وبالتالي مواقفها إزاء قضايا معينة سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية، ومخططو الإعلام ومنفذوه لا يكترثون بالحقيقة بل ينصرف اهتمامهم إلى تضخيم الحدث أو المضمون والتلاعب النفسي والعاطفي بالحقيقة للوسط الجماهيري الذي يقصدونه، ثم تجنيد الأنصار أو المؤيدين والتأثير على متخذي القرار. والأمثلة على ذلك عديدة منها: الدعاية الصهيونية حول مذابح النازية للشعب اليهودي واستمرارها في الأوساط الأوروبية بعد الحرب الثانية لتحسيس الرأي الغربي بعقدة الذنب إزاء إسرائيل وتلبية مطالبها الاقتصادية والعسكرية ودعمها السياسي[٦].

الدعاية الأمريكية حول شن الحرب العدوانية على العراق في حرب الخليج عام ١٩٩١، وتأليب الرأي العام العالمي ضده واستمرار الحصار على الشعب العراقي دون مسوغ قانوني.. وأخيرا الحرب الكارثة على أفغانستان (أولى حروب القرن، وإسقاط حركة طالبان بعد إحداث (١١ أيلول) عام ٢٠٠١ بتفجير مركز التجارة العالمي في نيويورك وكسب عطف الرأي العام من خلال وسائلها الإعلامية لمكافحة ما أسموه (الإرهاب) في كل مكان في العالم. ويلاحظ أن أساليب الدعاية الأمريكية تركز في تخطيطها وتنفيذها لاستمالة الرأي العام على:

١- الاختيار.
٢- الحذف أو الطرح.
٣- المبالغة في التأكيد.
٤- التقليل من أهمية الشيء.
٥- الإعادة والتكرار.
٦- الحملات الدعائية.
٧- الجدل والمناظرة.
٨- إثارة الانفعالات والعواطف.
٩- تحويل الأنظار.
١٠- اللف والدوران.
١١- النقد الساخر.
١٢- السخرية.

ويمكن إضافة (التهديد والوعيد) ، (التشويه والتضليل) إن المضامين الدعائية التي تحملها وسائل الإعلام الأمريكية والغربية تعكس حقيقة التطور الفني والفكري للرسالة الإعلامية وفهمها الواعي للمتلقي من خلال دراستها للخصائص العقلية والأنماط السلوكية التي يتسم بها سائر البشر والثقافات الإنسانية. وقد وصفت إذاعة صوت أمريكا بأنها مخصصة للدعاية السياسية للنظام الأمريكي ولتحقيق خدمات خاصة في مجال الحرب النفسية ضد التحركات التحررية في العالم الثالث. وهكذا يصبح السلاح الإعلامي ذا أهمية في تقريره لمصير المحكومين والناس ولتمكنه من خلق حالة من الولاء والخضوع والخنوع بدلا من حالة الرفض والتحرر والمطالبة بالكرامة الإنسانية.

٢- الإعلام التضليلي:

وتنصب غاياته على صرف الانتباه عن عنصر الحقيقة في موضوع معين، أو إخفائها عن الجمهور المتلقي، ووسائله هي التلوين والرمز والتعتيم في نقل المعلومات أو تحريفها عن السياسات والأحداث في ظرف زمني محدد، وتزداد أهمية هذا الإعلام إبان الأزمات السياسية وفي أوقات الحروب الأهلية أو الدولية، ومثال ذلك ما تذيعه وسائل الإعلام الوطنية عن حادثة داخلية أو موقف سياسي معين تقتضي مصلحة الحكم أو الدولة عدم إيراد الحقيقة كما هي[٧].

٣- الإعلام الثقافي:

حيث يتم الاتصال بين الطبقة الحاكمة وطبقة محكومة في مجتمع آخر فيما

يتعلق بعملية التبادل الثقافي في المجتمعات التي تأخذ فيها الجامعات صورة الامتداد الحكومي للنشاط التعليمي، فلنتصور أن جامعة معينة في حاجة إلى عدد معين من الأساتذة فهي تتصل بالجهاز المسؤول عن السياسة الخارجية في الدولة التي تنتمي إليها تلك الجامعة، وبعد أن يتم الاتصال بين الأداة الحكومية وتلك الجامعة فإن الجامعة المذكورة تخاطب مباشرة المجتمعات التي تعتقد بإمكانية توفر أولئك الأساتذة بين عناصرها المتخصصة، وفي أغلب الأحيان تلجأ إلى الإعلان في الصحف وعندئذ يتقدم من يشعر بأنه تتوفر فيه الصفات المطلوبة إلى تلك الجامعة مباشرة.. وعقب أن يتم الاختيار والترشيح من قبل إدارة الجامعة، لابد وأن تحصل على موافقة أجهزة الدولة التي ينتمي إليها أولئك العلماء. هذا التبادل الثقافي بهذا المعنى لا يأخذ صورة اتصال بين أداة حكومية و أداة حكومية أخرى وإنما بين أداة حكومية والمجتمع السياسي المحكوم مباشرة.. ويتضمن التبادل الثقافي كذلك قبول طلبة من دولة ما إلى ذلك المجتمع الذي توجد فيه الجامعات لمختلف الاختصاصات، وتجري كذلك الموافقات الأصولية وفق تعليمات جامعية بذات الشأن.

٤- الإعلام الخارجي:

ويقصد به مجموعة من الوسائل الإعلامية ومضامينها وغاياتها التي يتوجه بها الإعلام المعين لمخاطبة الرأي العام الدولي باللغات التي يفهمها، والأساليب الإقناعية التي تؤثر فيه، أو الاتصال بالفرد والمقيم خارج الإقليم القومي، وقد يتوجه الإعلام الخارجي إلى جمهور متعاطف مع السياسة والمواقف الوطنية، إما بسبب الانتماء القومي والتحدث باللغة القومية أو الإيمان بمعتقد ديني أو

سياسي معين، كأن تخاطب الدول جالياتها، وجراء الإنجازات الحديثة في تكنولوجيا الإعلام وبالذات استخدام الفضاء للاتصالات الخارجية، صار الإعلام الخارجي الوسيلة الأساسية والمهمة من وسائل السياسة الخارجية للدول، تمارسها ضمن وظيفتها الاتصالية السياسية على المستوى الدولي في أوقات السلم والحرب، بعد إخضاع ذلك إلى التخطيط العلمي الدقيق الذي يتوخى التعبير عن التوجيهات السياسية لكل دولة في المحيط الدولي، حيث أصبحت الجماهير الواسعة تشهد سيلا هائلا ومتواليا من الأخبار والأفكار والمعلومات والأنباء المرسلة من مصادر مختلفة يصعب في النهاية على تلك الجماهير الابتعاد عنها أو عدم التأثر بها، وهذا السيل الهائل يعبر بالنتيجة عن تخطيط إعلامي يتلائم مع التخطيط السياسي الخارجي للدولة القائم بالاتصال والذي تقوم به أجهزة متخصصة[٨].

٥- الإعلام السياسي:

حاول بعض الباحثين أن يبرهن على أنه يمكن فهم الحياة السياسية وتفسير ظواهرها من خلال (العملية الإعلامية) كوظيفة اتصالية تمثل عصب الحياة السياسية. فالإعلام السياسي هو أحد وظائف النظام السياسي وسياسته الخارجية، والقرارات يجب أن تتخذ على أساس معلومات جديدة ومناسبة وهي تكون كذلك إذا حصلنا عليها بواسطة (أداة إعلام) جديدة تعبر عن: الواقع الذي نزيده وتمدنا بالحقائق التي نحتاجها، دون تشويه أو تحريف، أي إذا ما استخدم الحكام قنوات اتصال جديدة وفعالة تنقل إليهم نبض الجماهير وتطلعاتها وآراءها ومواقفها

واتجاهاتها الحقيقة، وتنقل للمواطنين تعليمات وأوامر الحكام بدقة، كانت عملية التواصل بين الحكام والمحكوم جيدة وتأصل من خلالها النظام السياسي[٩].

ويستخدم النظام السياسي وسائل الإعلام لتحقيق الأهداف التالية:

١- التثقيف السياسي: إذ تحرص أنظمة الحكم وعلى الخصوص الشمولية منها التي تخضع لسلطة مركزية (حكم فردي أو حكومات الحزب الواحد) على الاستعمال المكثف لوسائل الإعلام من أجل تنشئة جماهيرها الوطنية لهدف خلق وعي سياسي لديها بشأن قضية معينة قد تكون أيدلوجية اقتصادية أو عقيدة سياسية أو سياسات إصلاحية معينة[١٠].

٢- التأثير في اتجاهات الرأي العام، حيث تعمل أنظمة الحكم على استخدام وسائل الاتصال من أجل توجيه الرأي العام وتحديد مواقفه المساندة لسياستها وبرامجها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ومحاولة إضعاف ظاهرة الرفض والمعارضة لهذه السياسات، وحتى تعمل أي حكومة بكفاءة يتوجب أن توفر درجة ملائمة من الاتصال بينها وبين القاعدة، بحيث يتم طرح القرارات بعد الوقوف على توجهات الرأي العام من خلال رصده في وسائل الإعلام، وجمع المعلومات من خلالها وأن يتم ذلك من خلال خبرات فنية متخصصة في تحليل المعلومات الواردة والتغذية الراجعة بصورة خالية من التحريف والتشويش.

٣- التسويق السياسي: وهو محاولة عرض الأفكار والمواقف على الجمهور المتلقي عبر وسائل الإعلام بهدف تسويقها والتسليم بها، وهنا فإن السياسيين في عملهم هذا إنما يشبهون في عرض أفكارهم أصحاب

المتاجر حيث يعرضون سلعهم بطريقة جذابة ومؤثرة على الجمهور بهدف الترويج لها وبيعها، ولابد من التأكيد على أن مقدرة السياسيين في عرض أفكارهم ومواقفهم هي التي تحكم مدى النجاح أو الإخفاق في قبول الجمهور بما يطرح عليه، ويستخدم التسويق السياسي عادة في الحملات الانتخابية للمواقع السياسية كالرئاسة والمجالس النيابية أو البلدية، وتلجأ الأحزاب السياسية والمرشحون لهذه المواقع القيادية إلى الاستعانة بمكاتب متخصصة في مجال الإعلام والدعاية السياسية لتصميم برنامجها الانتخابي بصورة تكفل نجاح العملية الاتصالية والنفاذ إلى نفوس المتلقين. وهم جمهور الناخبين، وضمان تأييدهم السياسي.

لقد أثبتت معظم الدراسات العلمية الحديثة في مجال الإعلام السياسي أن لوسائل الإعلام قوة مستقلة في المجتمع وأنها تلعب أدوارا سياسية من خلال ما تقدمه من رسائل إعلامية، كما أنها تلعب دورا مؤثرا في عملية صنع القرار السياسي، ويرجع أهمية الدور الذي تلعبه وسائل الإعلام في الحياة السياسية المعاصرة إلى عدة أسباب أهمها[١١]:

١- الحجم الكبير من المتلقين، سواء من المواطنين العاديين أو من أعضاء النخب يتعرضون لما تقدمه من مواد ورسائل إعلامية.

٢- ثقة المتلقين في صدق ما تقدمه وسائل الإعلام من معلومات.

٣- سعي وسائل الإعلام الدائم لجذب المتلقين وزيادة أعدادهم من خلال أشكال متنوعة للفنون الإعلامية، التي قد يبدو بعضها بدون مضمون سياسي، وإن كان في الحقيقة لا يخلو من دلالات سياسية.

٤- الكم الهائل من الرسائل الإعلامية الذي تبثه وسائل الإعلام يوميا يجعل المواطن غير قادر على إدراك حقيقة المواقف إلا من خلال الرؤية التي تقدمها له وسائل الإعلام[١٢].

☒ الوظائف السياسية لوسائل الإعلام:

يمكننا أن نخلص إلى أن أهم الوظائف السياسية لوسائل الإعلام تكمن في:

١- الوظيفة الإخبارية ومراقبة البيئة الخارجية:

قديما عهدت القبائل البدائية لبعض الأفراد مراقبة الظروف المحيطة بهم، وتحيطهم علما بالأخطار المحدقة، سمي هؤلاء بحراس البوابة، وهذه الوظيفة تقوم بها في المجتمع المعاصر وسائل الإعلام[١٣]. وحراس البوابة في المجتمعات المعاصرة هم جامعوا الأخبار والقائمون عليها، والعاملون في المؤسسات الإعلامية المختلفة[١٤].

ويمكن دراسة وظيفة المراقبة على مستويين:

أولا: وظيفة المراقبة الإعلامية على المستوى العام.

ثانيا: وظيفة المراقبة الإعلامية على المستوى الخاص.

وتعني الوظيفة الأولى: أن وسائل الإعلام لا تمدنا فقط بالمواد الإعلامية، ولكنها تلعب دورا سياسيا في المجتمع، إنها تصنع الكثير في برنامج العمل السياسي، كما أنها تساعد على تحديد المطالب السياسية التي تثار، وأي هذه المطالب لها فرصة الإرضاء وأيها سوف يؤجل أو يهمل.

ولأن وسائل الإعلام تقوم بإبراز المسائل التي تكون محل الاهتمام فإن وظيفة المراقبة العامة للبيئة تكون وظيفة سياسية، فهي تحدد أي الأحداث سيتم تغطيتها إخباريا، وأي الأحداث سيتم تجاهلها، ومن هنا فإن وسائل الإعلام تؤثر في مجال تحديد ما الذي ستتاح له فرصة جيدة ليصير موضوعا للمناقشات السياسية والعقل السياسي، وبدون التغطية الإعلامية للأحداث فإن تأثيرها السياسي يقل أو لا يكون هناك أصلا تأثير سياسي.

أما المراقبة على المستوى الخاص، فإن لوسائل الإعلام تأثيرا واضحا على المواطن العادي بمنزلة عينه وأذنه على العالم المحيط به، فوسائل الإعلام تخبر المواطن بالظروف الاقتصادية وأخبار الرياضة والطقس والأعمال والأحداث الثقافية والاجتماعية والثروة والصحة والحياة العامة والخاصة للمشهورين، كما تقوم وسائل الإعلام بنقل الأخبار التي تؤكد أن النظام السياسي يعمل لمواجهة الأزمات المتجددة والأخطار المفترضة، إن تأكيد هذا المعنى أمر هام جدا للاحتفاظ بالتماسك الاجتماعي للشعب، وهو ما يعني توفير الظروف المواتية للاستقرار السياسي للنظام السياسي القائم طالما أن الحكومة قادرة على القيام بوظائفها[١٤].

٢- الوظيفة التفسيرية للأحداث:

تقوم وسائل الإعلام بتفسير وقائع الأحداث، ووضعها في سياقها العام، وتوقع نتائجها، إذ أن التفسير المختار يؤثر على النتائج السياسية التالية، ومن ثم

فالإصطلاحات التي تستخدمها الصحافة لإيضاح نقطة ما أو تشخيصها أو وصف الفاعل السياسي هامة في تشكيل الآراء وتطوراتها.

٣- التنشئة السياسية:

هذه الوظيفة أشار إليها (لاسويل) في نظرياته إذ يقول: أن التنشئة السياسية هي العملية التي يمكن بواسطتها تشكيل الثقافة السياسية أو المحافظة عليها أو تغييرها، والسمة الأساسية للتنشئة السياسية أنها عملية مستمرة على مدى حياة الإنسان؟ [١٦]

أما الثقافة السياسية فيمكن أن نعرفها (مجموعة القيم والأفكار والمعتقدات التي تتبلور في مجتمع يتميز في ضوئها على المجتمعات الأخرى، وهي العامل الذي يؤثر في الأفراد من خلال القيم، لبناء سلوك سياسي تجاه السلطة السياسية مع التأثير في اتجاهات السلطة نحو الأفراد، وترتبط الثقافة السياسية بأداة مهمة أخرى من أدوات التنمية السياسية هي التنشئة السياسية التي تعني إكساب الإنسان للأفكار والقيم بفعل تكوينه وتربيته لتحمل موقف اجتماعي معين، فالتنشئة والثقافة أدوات متفاعلة لبناء السلوك السياسي في إطار التنمية السياسية[١٧].

إن وسائل الإعلام تعد إحدى الوكالات الدولية للتنشئة السياسية، لأن الكم الكبير من المعلومات التي يحصل عليها الجمهور عن طبيعة عالم السياسة يأتي من خلال تلك، الوسائل وهي تصلهم مباشرة من خلال تعرضهم الاختياري للوسائل الإعلامية التي تبثها، وبهذا الصدد تشير دراسة هربرت وهايمن إلى أن

تأثيرات الإعلام تستطيع أن تتسع وتكون مقياسا كافيا لخلق الروابط القومية للثقافات الفرعية خاصة في المجتمعات القبلية. وقد وجد (إنكز وسميث) أن التعرض لوسائل الإعلام يعد مصدرا للمواقف السياسية، ويؤكد ألموند على أن وسائل الإعلام تستطيع أن تلعب دورا هاما في التنشئة السياسية من خلال التدعيم للعقائد المكتسبة، أو من خلال زيادة التركيز على قيمة معينة من القيم الإنسانية

٤- التلاعب أو التأثير المدروس في العملية السياسية:

تعمل وسائل الإعلام على التلاعب المباشر بالعملية السياسية فقد يكون غرض بعض الأخبار السياسية إثارة ردود الأفعال العامة وخلق مطاليب سياسية جديدة، أو قد يكون الهدف هو إثارة النخبة السياسية الحاكمة من أجل القيام ببعض الإصلاحات، وقد يكون الهدف هو التعاون بين موظفي الحكومة الإداريين والصحفيين لإثارة موضوع من الموضوعات العامة.

- وسائل الإعلام وصنع القرار السياسي:

قلنا في البداية إن الإعلام من الأدوات التنفيذية في عملية صنع القرار السياسي، ويتضح تأثير وسائل الإعلام فيما يلي:

أولا: أن وسائل الإعلام تؤثر على القرارات السياسية لأنها تعطي الشعبية أو تحجبها عن صانع القرار.

ثانيا: إن صانع القرار يعتقد أنها هامة، فهو ينظر إليها كمقياس لرد فعل الناس تجاه سياسته وقراراته.

حيث تعمل وسائل الإعلام على:

أ- إنها تمد صانعي القرارات بالمعلومات بشأن الأحداث الجارية والبيئة السياسية لسياستهم، وفي كثير من الأحيان تجعل صانعي القرارات والحكومة يشعرون باهتمامات الشعب بطريقة مباشرة بالتعبير عن اتجاهات الرأي العام، أو بطريقة غير مباشرة عن طريق القصص الخبرية التي تشكل النقاش الجماهيري والرأي العام.

ب- توفر للمسؤولين القنوات اللازمة لنقل رسائلهم إلى الجمهور والنخبة السياسية، داخل الحكومة وخارجها، ومن خلالها تتاح الفرصة لشرح سياسات المسؤولين ومهاجمة مواقف معارضيهم.

ج- تتيح للمسؤولين إمكانية الحضور في ذهن الجمهور بعرضهم المستمر لنشاطاتهم وصفاتهم الشخصية.

د- كما تؤثر وسائل الإعلام في مواقف متخذي القرار ومواقف الجمهور باتجاه المسؤولين الحكوميين، وتستطيع التغطية الإعلامية أن تزيد من التأييد الجماهيري لبعض سياسات القادة والحكومات ولا ينكر مالها من دور في إحداث تغيرات جذرية في السياسات، وخلق سياسات جديدة عندما تتطلب المشاكل التدخل الحكومي أو بنشرها لمطالب الرأي العام.

عموما يمكن القول إن وسائل الإعلام تلعب دورا مؤثرا في عملية صنع القرار السياسي، فهو ينقل المعلومات السياسية لصانع القرار السياسي، وكذلك للمواطنين، وأي تشويه في هذه المعلومات يؤثر بغير شك في صنع القرارات، كما أنها تطرح بعض البدائل التي يمكن أن يختار من بينها صانع القرار، كذلك تؤثر في مرحلة تكوين القرار للرأي العام، وتؤثر أيضا في إدراك المواطنين لدلالات القرار السياسي، كذلك قد يستخدمها صناع القرار للتأثير في الرأي العام من أجل خلق المساندة لقراراتهم.

ثانيا: الإعلام وأثره على الرأي العام:

تتميز ظاهرة الرأي العام، بأنها ظاهرة مركبة، سواء من حيث ارتباطها بالظاهرة الإنسانية، أو بتعامل الفرد من خلالها وعلاقته بالجماعة التي ينتمي إليها، أو من حيث دينامية الجماعة البشرية وانتظامات السلوك الفردي والجماعي فيها، وكذلك تبرز تركيبتها أيضا من خلال كونها ظاهرة اجتماعية وسياسية في آن واحد.. ثم يأتي الجانب الاتصالي ليعطي البعد الشمولي للظاهرة من حيث علاقتها بأدوات الاتصال الجماهيري (الإعلام)، ومن خلال ذلك يتضح أن (الرأي العام) ظاهرة مركبة تتسم بكونها ظاهرة (نفسية واجتماعية وسياسية واتصالية) في آن واحد[١٨].

وترتبط ظاهرة الرأي العام بمتغيرين أساسيين لتحديد أصولها الفكرية:

أولهما: أن ظاهرة الرأي العام تنبع من خصائص المجتمع السياسي وتعكس هذه الخصائص بوضوح وتبعا لطبيعة المجتمع نفسه.

ثانيهما: أن الظاهرة بقدر كونها ظاهرة سياسية تتسم أيضا بكونها ظاهرة حضارية، لـذا فهـي لا تعكس خصائص المجتمع السياسي فحسب وإنما المناخ الحضاري العام الذي ينتمي إليه ذلك المجتمع.

وعليه عند دراسة ظاهرة الرأي العام في أي مجتمع لابد أن نأخـذ بنظـر الاعتبـار مجموعـة مـن الحقائق:

أولاها: أنه تظاهرة سياسية (الرأي العام) يرتبط بالسلطة ومفاهيمها وممارستها، والتـي تتنـوع وتختلف بتنوع التركيبة الاجتماعية واختلافها، حيث تتأثر هذه التركيبة بدورها، بالقاعدة التكنولوجيـة والتنظيم الاقتصادي للمجتمع وبالأوضاع الديموقراطية وكثافة السكان.

ثانيها: وهذا يعني بـدوره أيضـا التمييـز بـين الأنظمـة السياسـية المتطـورة نسـبيا مـن جانـب، والأنظمة السياسية المبسطة من جانب آخر، حيث تتصف الأولى (كالملكية، ومركزية السلطة، وتنظـيم القضاء والإدارة) باعتبارها تركيبات سياسية أو شبه سياسية- لا تقوم إلا في المجتمعات المتطورة زراعيـا وحرفيا والمتعددة التركيب إثنيا واجتماعيا، حيث تميل التركيبات السياسية المتطورة نسبيا إلى أن توجـد في المجتمعات التي تتمتع بكثافة سكانية عالية، وبالتالي تنظيمات طبقية واحدة، أما الثانيـة المبسـطة (فتتصف بالتجزؤ) **Segmentation** و(التضاد المتوازن) **Balanced Opposition** وبـالتنظيمات غـير الهرمية التي تقوم على الإجماع أولا، والأعراف ثانيا، وهي تسود المجتمعات الرعوية، والتي تقوم عـلى الزراعة بالمعول بدل المحراث،

وغالبا ما تكون هذه المجتمعات قليلة الكثافة السكانية وبالتالي خالية من التنظيمات الطبقية.

ثالثها: كما تتنوع الأنظمة السياسية بتنوع التركيبة الاجتماعية، فإن مفاهيم السلطة تتنوع كذلك بتنوع الأنظمة السياسية وطبيعة تركيبها، فالسلطة التي تمارسها الدولة لا تتطابق مع السلطة التي تمارسها القبائل أو المجتمعات القبلية، هنا يجب الفصل بين مفهومي (السلطة) بمعناها الاجتماعي الشامل أي (الضبط) و(العقل)، ومعناها التنظيمي المحدد أي (الصلاحيات المنوطة بالمناصب الشرعية)، إن المفهوم الأول للسلطة وهو المتبع في التنظيمات القبلية لا يفرق بين السلطة **Authority** أو السلطان **Power**، بين النفوذ **Influence** أو القوة **Force** وبين القسر **Coarsen** أو الهيمنة **Dominance**. فكلها تدخل في زاويتين (التنظيم الاجتماعي) و(الأعراف) الذي يقوم عليه مفهوم السلطة وارتكازها عند القبيلة. أما المفهوم الثاني: المتبع في تنظيمات الدولة، فإنه يفرق بين هذه المفاهيم بوضوح تام، ناهيك عن الوظائف السياسية التي ترتبط بتطبيقات المفهومين أيضا.

- تعريف الرأي العام:

مازالت النقاشات والاختلافات بين العلماء والباحثين حول تحديد مفهوم شامل للرأي العام، فعلم الاجتماع يراه من زاويته الخاصة وكذلك بالنسبة للساسة والفلاسفة.

ففي كتاب (الرأي العام والدعاية) يرى ليورناد دوب **Leonard Dob**، أن الرأي العام: اتجاهات ومواقف الناس إزاء موضوع يشغل بالهم بشرط أن تكون هذه الجماهير في مستوى اجتماعي واحد[١٩].

أما وليام البيج **William Albig** فقد عرف الرأي العام في كتابه (الرأي العام الحديث) على أنه تعبير عن موضوع معين يكون موضوع مناقشة من جماعة ما، ويوصف كنتاج للتفاعل بين جماعات من الأفراد يتناولون بالمناقشة قضية أو موضوعا ما جدليا، تتعارض الآراء فيه أو تتساوى[٢٠].

ويرى الدكتور سمير حسين أن الرأي العام هو (خلاصة) آراء مجموعة من الناس، الرأي الغالب أو الاعتقاد السائد أو جماع الآراء، أو الاتفاق الجماعي لدى غالبية فئات الشعب أو الجمهور تجاه أمر ما أو ظاهرة، أو موضوع، أو قضية من القضايا قد تكون اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية، كما قد تكون ذات طابع محلي أو قومي أو إقليمي أو دولي ويثور حولها الجدل، وأن هذا الإجماع له قوة وتأثير على القضية أو الموضوع الذي يتعلق به[٢١].

وقد عرفته الدكتورة شاهيناز طلعت في كتابها (الرأي العام) أنه مجموعة مركبة من الأفضليات التي يعبر بها غالبية الأفراد في مجموعة جماهيرية -ما في مجتمع ما- عن مسألة هامة يهتمون بها بعد مناقشتها الفترة المناسبة وربما يكون لهذا الرأي تأثير معين[٢٢].

ويرد تعريف الرأي العام في الموسوعات والمعاجم، فالموسوعة الدولية في العلوم الاجتماعية[٢٣]: ترى الرأي العام بأنه مجموعة من الآراء الشخصية حول موضوع يهم المجتمع أو مجموعة الأفراد المكونة آراؤهم حول هذا الموضوع،

ومجموعة الآراء هذه ستؤثر على تصرف هؤلاء الأفراد وكذلك على صنع السياسة الحكومية.
أما الموسوعة السياسية(٢٤):

فتراه اتجاه أغلبية الناس في مجتمع ما اتجاها موحدا إزاء القضايا التي تؤثر في المجتمع أو تهمه أو تعرض عليه، ومن شأن الرأي العام إذا ما عبر عن نفسه أن يناصر أو يخذل قضية ما، أو اقتراحا معينا، وكثيرا ما يكون قوة موجهة للسلطة الحاكمة، علما بأن الرأي العام ليس ظاهرة ثابتة بالضرورة وقد يتغير إزاء مسألة ما من حين إلى حين.

وتعرف الموسوعة الفلسفية الرأي العام(٢٥) على أنه: مجموع معين من الأفكار والمفاهيم التي تعبر عن موقف مجموعة أو عدة مجموعات اجتماعية إزاء حدث أو ظواهر من الحياة الاجتماعية وإزاء نشاط الطبقات والأفراد. ويظهر الرأي العام في إقرار أو استنكار أفعال إنسان ما من جانب الناس المحيطين به، وهو يتشكل بطريقة عرضية بوساطة المنظمات والمؤسسات الطبقية، كما يتشكل أيضا تلقائيا عندما يهتدي الناس بالخبرة العملية والتقاليد وحدها. وهذا هو السبب في أن الرأي العام لا يكشف فقط عن اختلاف المصالح، وإنما يكشف أيضا عن درجة متفاوتة من الوعي الاجتماعي.

أما تعريف معجم المصطلحات الإعلامية للرأي العام هو أنه(٢٦):

- وجهة نظر أغلبية الجماعة، الذي لا يفوقه رأي آخر وذلك في وقت معين وإزاء مسألة تعني الجماعة، وتدور حوله المناقشة صراحة أو ضمنا في إطار هذه الجماعة.

- عبارة تستعمل عادة للدلالة على تكامل آراء الناس وليس مجرد التقاء آرائهم أو تجمعها، وذلك بشأن مسألة أو مسائل تعني المجتمع الذي يحتوي هؤلاء الناس على نحو من الأنحاء.. وعلى هذا الأساس يمكن أن يعتبر الرأي العام صورة من صور السلوك الاجتماعي، تمخضت عن مناقشة وجدل بين أفراد متعددين تعنيهم المسألة التي يتعلق بها هذا السلوك أو هذه المناقشة. ويتجهون لتحقيق هدف أو غاية مشتركة ويتأثرون في ذلك باعتبارات وعوامل مختلفة.

 تأثير وسائل الإعلام على الرأي العام:

في مقالة بعنوان (الاتصال والرأي العام) يقوم برنارد بيرلسون **Bernard Berelson** بدراسة تأثير وسائل الإعلام على الرأي العام ويقترح المعادلة التالي لمناقشة هذه التأثيرات (بعض أنواع الاتصال تجذب انتباه بعض الناس لبعض أنواع القضايا تحت بعض أنواع من الظروف، ويكون لها بعض الأنواع من التأثيرات)[٢٧].

ويرى بيرلسون أن هذه المعادلة تظهر (خمس مجموعات من العوامل) المرتبطة بعمليات الاتصال والتي تؤثر على الرأي العام ومنها:

١- أنواع الاتصال:

وهو يرى بأنه كلما تزداد الطبيعة الشخصية لوسائل الاتصال تزداد فعاليتها في تحويل الآراء، فمعظم حجم الشخصانية **Personalism** في العمل الاتصالي من المفترض أن يحقق فعالية أكثر، ولأن آراء الأفراد يتم تشكيلها في

سياق روابط اجتماعية رسمية أو غير رسـمية، تشـكل الحاجـة إلى انسـجام آراء الفـرد مـع آراء رفاقه وجماعته المفضلة عاملا حافزا هاما.

ويرى بيرلسون أنـه بنـاء عـلى هـذا التصـور فـإن فعاليـة الراديـو أكـثر مـن الجريـدة لأنـه أكـثر (شخصانية) فالراديو يتحدث إليك أكثر مما تفعل الجريدة، وتأثير الوسيلة الاتصـالية المتخصصـة أكـثر تأثيرا في تغير الرأي من الوسيلة غير المتخصصة (العامة) وفـيما يتعلـق بمضـمون وسـائل الإعـلام، فـإن التقـارير عـن الأحـداث يمكنهـا أن تـؤثر في تغـير العقـول أكـثر مـن التعليقـات وآراء كتـاب الأعمـدة والمعلقين، وكذلك فإن المضـمون العـاطفي لوسـائل الإعـلام أكـثر فعاليـة في تغـير الآراء مـن المضـمون العقلاني .

٢- أنواع القضايا:

إن نوعية القضايا عامل من العوامل المؤثرة في فعالية الإعلام في تأثيره عـلى الـرأي العـام، ويـرى بيرلسون بأن فاعلية الاتصالات في التـأثير عـلى الـرأي العـام تختلـف بـاختلاف القضـايا (الموضـوعات) ويكون مضمون الاتصال أكثر تأثيرا في الرأي العام إذا كانت القضايا جديدة وغير معادة، وكـذلك يكـون تأثيره في الرأي العام أكـثر فاعليـة في القضـايا الهامشـية مـن سرعـة تـأثيره في القضـايا الحيويـة، ومـن المحتمل أن يكون تأثير الاتصالات في التأثير في الآراء حول الشخصيات أكثر فعالية من تأثيراهـا في الآراء حول القضايا.

٣- أنواع الناس:

يختلف تأثير وسائل الإعلام على الرأي العام باختلاف نوعيات الناس، إذ

أن التأثير المباشر لوسائل الإعلام على الرأي العام يمكن ممارسته على جزء فقط من الجمهور الذي يتعرض لوسائل الإعلام المختلفة، وأنه كلما كان اقتناع الناس قويا بقضية ما، يصبح صعبا على وسائل الإعلام تغيير الآراء، وكلما كان الناس أقل معرفة بالموضوع، كلما كانت الفرصة أكبر في أن تقوم وسائل الإعلام بالتأثير لتغيير الآراء، ولاشك أن هناك مجموعة من المتغيرات التي تؤثر في آراء الناس وخصوصا من حيث ثقافتهم، ودرجة اقتناعهم ومعرفتهم بالقضية ومستواهم الاقتصادي والاجتماعي وشخصية الفرد وتنشئته الاجتماعية.

٤- أنواع الظروف المحيطة بالاتصال:

يرى بيرلسون أن فعالية الاتصال في التأثير في الرأي العام تتنوع باختلاف طبيعة الظروف المحيطة بها، فتأثير الاتصال في تغير الرأي في ظرف يكون فيه احتكار الاتصال أعظم من تأثيره في ظروف تنافس الاتصال. كذلك فإن ما يعرف بالتوازن من خلال منافسة وسائل الإعلام - يعني نسبة توزيع المضمون لوسائل الإعلام المتنوع ما يمكن المتابعين لقضية ما أن يقرأوا أو يشاهدوا أو يسمعوا وجهات نظر مختلفة بقدر متساو ومعقول. وعلى كل حال فتأثير وسائل الاتصال على الرأي العام هو وظيفة تتمثل بدرجة المنافسة للاستحواذ على القضية من خلال وسائل الإعلام.. ومن شروط الظروف المؤثرة في تغير الرأي هو قصدية التعرض لوسائل الاتصال أو عدم تصديقها.

٥- أنواع التأثيرات:

هناك عدة أنواع من التأثيرات في الرأي العام.وفي هذا الإطار لابد من

التفريق بين تأثير وسائل الإعلام على اعتناق بعض الآراء أكثر من غيرها، وتأثيرها على اعتناق الآراء السياسية بشكل شامل، فوسائل الإعلام لها تأثير كبير في إنتاج اهتمام بالشؤون العامة التي تهم الجمهور، وذلك عن طريق استرعاء انتباه الناس لها باستمرار. فكلما زاد تركيز وسائل الإعلام على القضية السياسية كلما قل عدم اتخاذ الجمهور قرارا بشأنها، ويمكن أن تقوم وسائل الإعلام - بغير قصد - بتحضير اللامبالاة السياسية عن طريقين:

أ- إذ أن جاذبية وسهولة الوصول إلى المواد الترفيهية وتنوع مضامين وسائل الإعلام يمكنها أن تقلل الاهتمام السياسي عند بعض الجماعات.

ب- أن تضخيم، وتنوع وتعقيد القضايا السياسية التي من المفترض أن يعرفها المواطن - يمكنها أن تؤدي إلى اللامبالاة. وكذلك يجب التفريق بين تأثير وسائل الإعلام من حيث الزمن. فهناك تأثيرات قصيرة الأجل و تأثيرات طويلة الأجل. ومن السهل تتبع ما يحدثه تأثير وسائل الإعلام - على المدى القصير - من التغيرات التي تطرأ على اتجاهات الرأي العام، والتي يجب ألا تحول انتباهنا عن تأثيرات وسائل الإعلام على المدى الطويل والتي تكون مراوغة، وخفية ومعمرة، وعلى سبيل المثال، تؤثر الأفلام على انتباه الجمهور السياسي على المدى الطويل. بتقوية القيم الأساسية، بحيث يقررون فيما بعد أي القضايا السياسية التي يختارونها، والتأثير بعيد وغير مباشر، ولكنه موجود وفاعل، وتؤثر وسائل الإعلام في الرأي العام على المدى الطويل، وذلك بتقديم مجموعة تعريفات

للمصطلحات الرئيسية السياسية ذات الطابع العاطفي، والتي تصبح مقبولة مـن خـلال نقـص في وجود تحد ملائم لها.

وبالنسبة لتأثيرات وسائل الإعلام قصيرة المدى، فـإن التـأثير في الـرأي العـام يشـمل عـادة تحـول الآراء من موقف أو اتجاه سابق، وغالبا ما يتم التأثير بتعزيز الآراء أو تنشيطها. ووسائل الإعلام فعالـة جدا في تزويد المناصرين لفكرة ما، بالآراء المعـززة للاخـتلاف والتبريـر الـذي يحتاجونـه للحفـاظ عـلى موقفهم وهذا يعني تعزيز موقفهم. وكذلك هي فعالة في إظهار مواقف الناس الكامنـة، وهـذا يعنـي تنشيطها، وأكثر من هذا فإن وسائل الإعلام فعالة في بناء قضايا سياسية لـدى جمهورهـا، وهكـذا فـإن وسائل الإعلام تقوم بتجهيز المسرح السياسي للمناقشة. هناك بعـض الـدلائل بـأن المناقشـات الخاصـة حول المسائل السياسية تأخذ ملامحها مـن تقـديم وسـائل الإعـلام لتلـك المسـائل، فالنـاس يتحـدثون بانسجام مع الخطوط التي تحددها وسائل الإعلام[٢٨].

وبذلك يتم بناء البيئة السياسية من خلال[٢٩]:

١- **ظـاهرة الشخصـية السياسـية:** فصـحيح أن هـذه الظـاهرة لم توجـدها وسـائل الإعـلام الجماهيرية، إلا أن هذه الوسائل قـد ضـخمتها إلى حـد تحويلهـا إلى عامـل أسـاسي في التركيـب السياسي، وهذا الاتجاه قد سرعتـه الوسـائل السـمعية والسـمعية البصريـة (فالمحادثـات قـرب الموقد) التي كان يجريهـا روزفلـت في الولايـات المتحـدة في عـام (١٩٣٦) تمثـل أنموذجـا لمـدى تأثيرها في الرأي العام المدافع والمعارض (لروزفلت) حيث دمغت

شخصية البيئة الأمريكية بطابعها الخاص، وهذا هو جوهر الشخصية السياسية في أوسع مفاهيمها.

٢- **مسرح الحياة السياسية:** فالحياة السياسية التي سبقت عصر الاتصال الجماهيري، ظلت بعيدة عن التعريف والعلاقة المباشرة مع الجماهير، ثم جاءت أدوات الإعلام الجماهيري لتجعل من نفسها (مسرحا) تدور من خلاله أحداث الحياة السياسية، وبالتالي استطاعت هذه الأدوات أن تغير من نمط الحياة السياسية ذاته والوقت الذي يمضيه المسؤولون السياسيون بالحديث والمناقشة والمقابلات التلفازية، والحوارات الساخنة تبين إلى أي حد أضحت هذه الوسائل، ذات أهمية فائقة في تعريف الجمهور بالحياة السياسية، وماذا يدور فيها بشكل يقترب من الحقيقة. وهذا ما لم تعرفه الحياة السياسية قبل عصر الاتصال الجماهيري بأي شكل من الأشكال، لأن هناك (تابو سياسي) فيما يتعلق بالدولة والسلطة وممارستها المختلفة.

٣- **الدور السياسي لوسائل الإعلام الجماهيري**، في تغير الصورة السياسية لحزب من الأحزاب، أو لسياسي ما، أو للنظام السياسي، من جانب آخر صحيح قد لا يكون التأثير حاسما، ولكنه يظل تأثيرا محسوبا في كل الأحوال وتسهم زيادة كمية الإعلام أو الدعاية السياسية المقدمة من خلال هذه الوسائل في تحسين الصورة أو التأثير في السلوك السياسي في أوقات الحملات الدعائية أو السياسية تجاه موقف أو حدث ما، وإذا ما عدنا إلى تأثير بنية الوسيلة الإعلامية في الجمهور أو الجماهير المستهدفة بالرسالة الإعلامية، فسنجد أن التلفاز يكاد يكون من أكثرها تأثيرا وبشكل

خاص في الدول المتقدمة، فالعرض التلفازي لرجل السياسة على سبيل المثال، لابـد أن يقـود إلى تحديد (الشخصية التلفازية) له، والتي تندمج بشكل آخر (بالصورة الشخصية) له، وهذا يعني إعطاء حكم معين نحو هذه الشخصية من خلال الجوانب التفصيلة في الحلقات الثلاث، فليس من الغرابة في شيء أن تصبح المقابلات التلفازيـة بـين المرشحين الأمريكـان لمنصـب الرئاسـة في الحملات الانتخابية ذات تأثير حاسم في اختيار المرشح.

أما الراديو فقد أضحى يمثل (دعامة إضافية) في التـأثير إذ أن غيـاب الصـورة يـؤدي إلى انحسـار انتباه المستمع ضمن مضمون الرسالة الشفهية، وهو هنـا قـد يكـون أقـل إقناعـا وتـأثيرا مـن التلفـاز. ولكنه في الوقت نفسه أكثر مـن التلفـاز قـدرة في معالجـة الأحـداث بشـكل أكـثر حيويـة وأسرع مـن الصحافة المكتوبة.

إن فلسفة الأدوات الاتصالية الجماهيرية الإعلامية تكمـن بشـكل خـاص في قـدرتها عـلى تحريـر العملية الاتصالية من قيود الزمان والمكان أولا، وفي خلقها نوعا من البنية الصورية بين الإنسان والعالم الموضوعي الحقيقي ثانيا، وبذلك استطاعت أن تقوم بما يأتي:

أ- أنها تغلف (الواقع الموضـوعي) بنـوع مـن (الواقـع البـديل) وهنـا تكمـن خطـورة استشـارة الأساطير الدعائية في إثارة الرأي العام. وأساطير (الشيوعية) و(النازيـة) تمثـل نمـاذج واضـحة لذلك فإنها تقود ما هو حسي عقلاني إلى ما هو غير منظور لاشعوري، وبذلك تغلب التأثيرات

العاطفية على الحس العقلاني للرأي العام (الجمهور) من خلال ممارسة هذه الوسائل على المدركات الحسية ـ دور القوى الترويضية.

ب- لقد أصبحت إحدى الأدوات السلطوية في ممارسة (الضغط الاجتماعي) وفي ترسيخ أيديولوجية وقيم السلطة الحاكمة المسيطرة على هذه الأدوات.

ج- اتساع حجم مشاركة الرأي العام في مختلف الممارسات السياسية والاجتماعية والاقتصادية وانفتاح حدود العالم على بعضها البعض بفضل فعل الأدوات الإعلامية الجماهيرية.

ثالثا: الإعلام ودوره في العلاقات الدولية

استخدمت كلمة دولية International لأول مرة من قبل جرمي بنتام في الجزء الأخير من القرن الثامن عشر، ثم استخدم المصطلح بعد ذلك من قبل أولئك الذين درسوا الروابط الدولية تحت الإطار القانوني فقط، وكان رجال القانون يسعون إلى تحديد مضمون القواعد الواجبة التطبيق بين اللاعبين في المسرح الدولي والعمل على ترجمتها إلى الواقع والتحقق من تطبيقها[٣٠]. إن مصطلح الدولية استخدم بوصفه حاجة حقيقية لتعريف العلاقات الرسمية بين الملوك، وربما تعد كلمة بين الدول Interstates أكثر دقة في تعبير الدولية لأن مصطلح الدولة في العلوم السياسية هو المصطلح الذي ينطبق على مثل هذه العلوم، ويمكن أن تعرف العلاقات الدولية بأنها، علم يهتم بالملاحظة والتحليل والتنظير من أجل التفسير والتنبؤ[٣١].

ويعرفها رينولدز أنها تهتم بدراسة الطبيعة والإدارة و التأثير على العلاقات بين الأفراد والجماعات العاملة في ميدان تنافس خاص ضمن إطار من الفوضى وتهتم بطبيعة التفاعلات بينهم والعوامل المتغيرة المؤثرة في هذا التفاعل[٣٢]. أما كوينسي رايت فيقدم تعريفا واسعا للعلاقات الدولية بأنها (علاقات شاملة تشمل مختلف الجماعات في العلاقات الدولية سواء كانت رسمية أو غير رسمية)[٣٣]. ويرى فريدريك هارتمان بأن مصطلح العلاقات الدولية (يشتمل على كل الاتصالات بين الدول وكل حركات الشعوب والسلع والأفكار عبر الحدود الوطنية)[٣٤]. ويعرفها مارسيل ميرل بأنها (كل التدفقات التي تعبر الحدود، أو حتى تتطلع عبورها، هي تدفقات يمكن وصفها بالعلاقات الدولية وتشمل هذه التدفقات العلاقات بين حكومات هذه الدول والعلاقات بين الأفراد والمجموعات العامة أو الخاصة التي تقع على جانبي الحدود، كما تشتمل على جميع الأنشطة التقليدية للحكومات، الدبلوماسية، المفاوضات، الحرب، .. الخ، إضافة إلى تدفقات من طبيعة أخرى، اقتصادية ، أيديولوجية، سكانية، ورياضية، وثقافية، وسياحية[٣٥].

وقد حددت موضوعات العلاقات الدولية عندما اجتمعت نخبة من علماء السياسة في دار اليونسكو في باريس في أيلول عام ١٩٤٨ بما يلي:

- السياسة الدولية.
- التنظيمات الإدارية.
- القانون الدولي.

فالسياسة الدولية: تعني العلاقات السائدة في المجتمع الدولي، أما التنظيمات الإدارية الدولية: هي التي نشأت بعد الحربين العالميتين في القرن العشرين، وفي طليعتها عصبة الأمم والأمم المتحدة، وفي أساس نشأتها الحفاظ على الأمن والسلم الدوليين.

أما القانون الدولي: فهو مجمل القواعد القانونية التي تحكم العلاقات بين الدول والناتجة عن الأعراف والمعاهدات الدولية، يبحث القانون الدولي في الروابط القانونية، بينما تبحث السياسة الدولية في الظواهر السياسية القائمة في المجتمع الدولي[٣٦].

وقد ساعدت عوامل كثيرة على الاهتمام بالعلاقات السياسية الدولية وردود الفعل التي تتركها على أوضاع المجتمع الدولي منها:

أولا: الزيادة الهائلة والمستمرة في حجم الاتصال بين الدول وعلى كافة المستويات نتيجة للثورة التكنولوجية في وسائل الاتصال الدولي وأساليبه، وهي الثورة التي أزالت كل العوائق التي كانت تعترض طريق الاتصال في الماضي، سواء بسبب التباعد الجغرافي، أو بسبب الموانع الطبيعية، أو الفواصل القومية. وهذا الاتصال بمختلف نماذجه وأشكاله الجديدة يطبع البيئة الدولية بصبغة ديناميكية خاصة، تنعكس في سرعة ردود الفعل التي تنتج عن أحداث السياسة الدولية في أي مكان من العالم[٣٧].

ثانيا: إن نتيجة لهذا الاتصال نتج التعقد والتشابك والتداخل بين المصالح القومية للدول، وزاد اعتمادها على بعضها في مجال حماية أمنها القومي، أو دعم كيانها الاقتصادي، أو الدفاع عن معتقداتها السياسية والأيدلوجية، هذا فضلا

عن التعاون في المجالات الفنية والعلمية والثقافية، وهذا يبين كيف أن حجم التعامل الدولي قد أصبح أضخم بكثير مما كان عليه في الماضي.

ثالثا: أنه انطلاقا من هذه الحقيقة الأساسية وترتيبا عليها لم تعد هناك دولة تستطيع أن تعزل نفسها عن الأحداث و التفاعلات السياسية الدولية التي تتجاوز حدودها القومية لأن هذه الأحداث قد تمس بطريقة مباشرة أو غير مباشرة مصالحها القومية أو أمنها القومي أو مركزها الاستراتيجي أو سياستها القومية أو كيانها الإقليمي أو وضعها السياسي أو نظامها الاقتصادي والاجتماعي أو أيديولوجيتها أو ثقافتها.

وهناك بعض التوقعات التي يراها كثير من المتفائلين وذلك بالنسبة لزيادة الاتصالات الدولية وتأثيرها على الحكومات وتتلخص هذه التوقعات فيما يلي[٣٨]:

- ستكون الحكومات أقل قدرة على احتكار المعلومات والسيطرة عليها، نظرا لحاجة الناس للمشاركة في المجتمع الدولي والتعرف عليه، وخصوصا بالنسبة للمفكرين والشباب، في مختلف الدول ستضعف قبضة الحكومة على الرقابة نظرا لسرعة تعرف الناس على الأخبار العالمية والمحلية حال وقوعها، أي أن الرغبة في المعرفة ستزيد والجهود التي تبذل في الرقابة سيضعف أثرها، وستعاني الحكومة التسلطية من جراء ذلك لفقد ثقة الناس بها، ذلك لأن المد العالمي يشير نحو الانفتاح والمعرفة، أي أنه سيكون هناك ردود فعل سلبية بالنسبة لتطور (الثقافة الدولية) وذلك لأن الحكومات

كعادتها ستحاول الاستمرار في التحكم والسيطرة على وسائل الإعلام، وستحاول الشعوب كعادتها الانفتاح على كل ثقافة وفكر.

- سيزيد تأثير الرأي العام العالمي.. ففي عصر اعتماد الدول على بعضها لا تستطيع دولة أن تعيش طويلا في عزلة، ولقد شاهدنا كيف أن المعارضة الواسعة للسلوك الأمريكي في فيتنام قد غيرت من السياسة الأمريكية الخارجية في فيتنام.

- سيزيد السخط والضيق والقلق بعض المواطنين عندما يرون الشظف والترف يعيشان في وطن واحد دون أن يكون هذا التمايز لأسباب مقبولة. وقس على ذلك سخط الشعوب وثوراتها عندما ترى على شاشة التلفزيون مثلا، شعوبا أخرى تنعم بالرفاهية والحياة ويحرمون هم من هذه الرفاهية، لا لأسباب كامنة فيهم بل لنظامهم السياسي أو الاقتصادي.

- ستقوى أواصر الأخوة الدولية مع مضاعفة قنوات الإعلام، وسيأتلف الناس ذوو المصالح المشتركة حول أهداف واحدة، وسيولد المجتمع المتجانس الذي يرى فيه العلماء أنفسهم كأعضاء في مجتمع دولي متعاون بعيد عن صراعات السياسة، هذا بالإضافة إلى أن نظرة الشباب قد تكون مشابهة لنظرة العلماء في كل مكان، وعلى المستوى الرسمي والحكومي ستزيد هذه الاتصالات من اعتماد الدول بعضها على بعض، وسيزيد نمو الروابط الدولية على المستوى الإنساني، وبالتالي ستقل الاستقطابات العدائية بين الشعوب.

- سيكون هناك نوع من الثقافة العالمية التي ترتكز على أساس تكنولوجي وذلك بفضل توفر البث المختار لمقننات مشتركة إلى المجتمع الدولي كما ستحتاج الاتصالات الدولية إلى أجهزة مماثلة متلائمة في مختلف البلاد تنسحب عليها مقننات دولية مشتركة.

- ستزيد إمكانية التوحيد التكنولوجي، ذلك لأن مشاركة الدول المختلفة في شبكة المعلومات العلمية والتكنولوجية على وجه الخصوص - مثل الإنترنت - تعتبر إحدى مقومات البناء و الدفاع الوطني القائم على الانفتاح والمعرفة لا على السري والانغلاق، وسيعتبر الاعتداء على أي دولة تشترك في نظام الاتصال العلمي الدولي اعتداء على مجتمع الدول كله.

مصادر الفصل الثالث

١- حامد ربيع، الحرب النفسية في الوطن العربي، مصدر سابق، ص١١٠.

٢- لجنة إدارة شؤون المجتمع العالمي، جيران في عالم واحد، ترجمة مجموعة من المترجمين، سلسلة عالم المعرفة، الكويت١٩٩٥، ص ٥٢-٥٣.

٣- ستيفن ايتز لابير وآخرون، لعبة وسائط الإعلام، ترجمة د. شحدة فارع، دار البشير، عمان ١٩٩٩، ص ١٣٣-١٣٤.

٤- د. عبد الستار جواد، حول اتجاهات الإعلام الغربي، دار الحرية للطباعة، ص١٨١.

5- B.Rown, Techniques of Persuasion, 1963. P194. NIERNBERG, Lartdeper suder, 1970, P157.

٦- د. محمد علي العويني، الإعلام الدولي بين النظرية والتطبيق مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٨.

٧- محمد حمدان مصالحة، الاتصال السياسي، دار وائل للنشر، عمان، ١٩٩٦، ص٨.

٨- د. إبراهيم إمام، التوازن بين مقتضيات التخطيط الإعلام وحرية تداول المعلومات، مجلة المستقبل العربي بيروت، العدد ١٢، ١٩٨٠، ص٧٨.

٩- د. زكي الجابر، الإعلام والتنمية في الوطن العربي ورقة مقدمة إلى الندوة العلمية التي نظمتها الجمعية العربية والأمم المتحدة، وزارة الإعلام التونسية، ١٩٨٢.

10- Jhonvard: Information in World Today. NewYork, 1969. 5. 7.

11- Jan Daray: Mans Right of Communication, UNESCO. Publication

١٢- محمد سعد السيد أبو عامود، الوظائف السياسية لوسائل الإعلام، مجلة الدراسات الإعلامية المركز العربي للدراسات الإعلامية، القاهرة ١٩٨٨، ص١٥.

١٣- جيهان أحمد رشتي، الأسس النظرية لنظريات الإعلام، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٧٨، ص٣٥٦.

١٤- د. شاهناز طلعت وسائل الإعلام والتنمية الاجتماعية، مكتبة الأنجلو المصرية (د.ت) القاهرة، ص٢٢-٢٣.

15- Jay Y, Blomer and Michal Surevitagh: Toward Acomparativ Frame Work For Politcal Comunication Research in Steven H. Chaf fee, Polil cal Communication, London, Sage Garber. OP. G.t. Po.

16- Gabrial A. Almond and Bringham. Epowell. Comparative Politics, System, Process and Policy 2nd Ed Boslon 1978. P83.

١٧- د. غازي فيصل، التنمية السياسية في بلدان العالم الثالث، دار الحكمة، بغداد ١٩٩٣، ص١٥٦-١٥٧.

١٨- د. حميدة سميم، نظرية الرأي العام، مدخل، دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٩٢.

19- Leonard W. Dob, Public opinion and Propaganda, Hamden Archon books. 1966. P35.

20- Willim Albigmodren Public opinion Mcgraw Hill, 1956, P31.

٢١- سمير محمد حسين، مذكرات الرأي العام، القاهرة ١٩٨٢، ص ١١.

٢٢- د. شاهيناز طلعت، الرأي العام، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٨٦، ص١٥٩.

23- Daibl. Sills (Edtor) International Encyc lope dig of

٢٤- د. عبد الوهاب الكيالي وآخرون، موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ١٩٨١، ص٨٠٣.

٢٥- روزنتال وب، يودين (إشراف) المؤسسة الفلسفية ترجمة سمير كرم، دار الطليعة بيروت، ١٩٧٤، ص٢٢٦.

٢٦- د. كرم شلبي، معجم المصطلحات الإعلامية، دار الشروق القاهرة، ١٩٨٩، ص٤٨.

27- Bernard Berelson (Communication and Public opinion (in mass communications) 2nd edition (edited) by wilbur schramm (Urband Chicago: University of Illinois Press 1975) P. 531-542.

٢٨- هـ.ش. شرودر وآخرون، التسويق السياسي، ترجمة علي مقلد، منشورات عويدات، بيروت ١٩٨٣، ص٤١-١٠٧.

29- Colard Daniel, Relations Internationals. Ed Masson Paris, 1977. P4

30- Wright Quincy (The study of International Relations) Appelion-Century, Crofts, Inc, New York, 1956, P3.

31- Burtonjohn, International Relations: Ageneral Thory. Cambridge University Press, 1965. P15.

32- Reynolds P. A. (An Introduction to international relations. Long man Paper bock, London, 1970, P183.

33- Wright Quincy OD. Cit. P8.

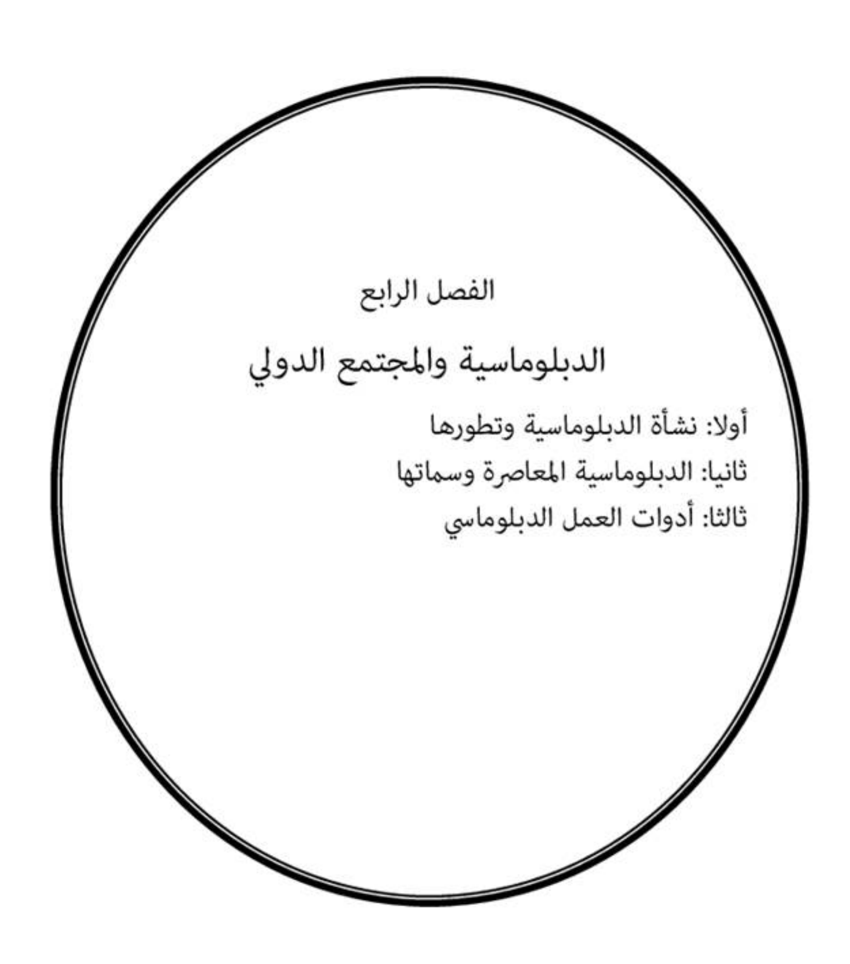
34- Hartmann Fredrick. H. (The Relations of Nations) Forth edition, Macimllan pubco. Inc, New York. 1973 P.r

٣٥- ميرل ماريسل، سوسيولوجيا العلاقات الدولية، ترجمة د. حسن نافعة، دار المستقبل العربي، القاهرة ١٩٨٦، ص٣٩-٩٨.

٣٦- حسن صعب، علم السياسة، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٢، ص١٣٢.

٣٧- د. إسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية، المكتبة الأكاديمية، القاهرة ١٩٩١، ص١١-١٢.

38- Wedye, Bryant (International Propag anda statecraft) Annals, Wov 1971. P37-41.



الفصل الرابع

الدبلوماسية والمجتمع الدولي

أولا: نشأة الدبلوماسية وتطورها

ثانيا: الدبلوماسية المعاصرة وسماتها

ثالثا: أدوات العمل الدبلوماسي

الدبلوماسية والمجتمع الدولي

أولا: نشأة الدبلوماسية وتطورها

- ما الدبلوماسية:

تتعرض الدبلوماسية للتغير في المفاهيم والوظائف والأداء مثل بقية عمليات النشاط البشري والاتصال الإنساني والاجتماعي والثقافي والسياسي، جراء تطور المجتمع وتغير أنماطه وسلوكه. فكلمه دبلوماسية **Diplomacy** يرجع أصلها إلى اليونانية القديمة، وتعني الوثيقة المطلوبة التي تعطي حاملها امتيازات معينة، أو تحوي ترتيبات خاصة مع الجاليات الأجنبية، فكلمة **Diploun** لدى الإغريق معناها يطوي. وقد انتقلت هذه الكلمة إلى الرومان فاستخدموها لتدل على الوثائق المطوية كجوازات السفر والوثائق الرسمية التي كانت تنسخ على ألواح معدنية، وهذه الألواح تطوى بطريقة خاصة تسمى **Diplomas**. ولما كثر استخدام تلك الوثائق استعملت كلمة **Diplomacy** خلال القرون الوسطى للدلالة على دراسة الوثائق وترتيبها وحفظها. وفي القرن الخامس عشر أطلق هذا المصطلح على الأعمال المتعلقة بالعلاقات الدولية[1].

وردت كلمة الدبلوماسية في قاموس أكسفورد للغة الإنجليزية على أنها (تصريف شؤون العلاقات الدولية عن طريق المفاوضات، وهي الأسلوب الذي يتبعه القناصل والسفراء لتنظيم ورعاية هذه العلاقات، وهي حرفة أو فن رجل السياسة فالمفاوضات التي تجري بشأن عقد معاهدات دولية، أو في صدر

مسائل أخرى، هي إجراءات دبلوماسية مهما اختلف الشكل الذي تجري عليه، وتشغل المفاوضات في مجال النشاط الدبلوماسي مكانة كبيرة، لدرجة أنه كثيرا ما يعرف النشاط الدبلوماسي، بالمعنى الضيق بأنه(فن إدارة المفاوضات وعقد المعاهدات بين الدول. فالدبلوماسية بأوسع معانيها: هي العلم الذي يتناول العلاقات الدولية والعلاقات الخارجية للدول، وبمعناها الضيق هي علم أو فن المفاوضات[٢].

أما الفرنسي ريفيه فيحدد مفهوم الدبلوماسية في إيجاز شديد حيث يقول:

إن الدبلوماسية هي علم وفن تمثيل الدولة والمفاوضة. ويعرف براديه فوديريه الدبلوماسية بأنها (فن تمثيل الحكومة ومصالح البلاد لدى الحكومات وفي البلاد الأجنبية والعمل على عدم وقوع أي انتهاك لحقوق ومصالح وهيبة الوطن في الخارج وإدارة الشئون الدولية وتولي أو متابعة المفاوضات السياسية)[٣]. بمعنى أن الدبلوماسية تدل على السياسة الخارجية أو على عملية التفاوض أو على الآلية التي تقوم بإنجاز هذه العملية، والتي عبر عنها هارولد نيكلسون في كتاباته.

أما في كتاب القانون الدولي فيعرف الدكتور حامد سلطان الدبلوماسية: بأنها فن وعلم معالجة الشؤون الخارجية للدولة، وأن العلاقات الدبلوماسية هي الصورة الحية للاتصالات الدولية.

وتلعب الدبلوماسية دورا هاما في العلاقات الدولية، فعن طريقها تعالج كافة الشؤون التي تهم مختلف الدول، وعن طريقها يمكن التوفيق بين المصالح المتعارضة ووجهات النظر المتباينة، وعن طريقها أيضا يتيسر حل المشكلات وتسوية الخلافات وإشاعة حسن التفاهم بين الدول[٤].

أما الدكتور علي صادق أبو هيف فيتناول هو الآخر الدبلوماسية في كتابه (القانون الدبلوماسي) باعتبارها (علما وفنا) وفي ذات الوقت قد تكون صفة الفن فيها هي الغالبة، لأنه لا يكون للعلم قيمة حقيقية في مجال الممارسة العملية ما لم يقترن بالموهبة اللازمة لحسن الاستفادة منه كالذكاء مثلا واللباقة وحسن التصرف والتبصر في عواقب الأمور .. تلك المواهب التي بدونها لا يستطيع الدبلوماسي أن يؤدي واجبه على الوجه الأكمل، أو تحقق مهمته النجاح المطلوب(٥). مع أن الدبلوماسية من حيث أنها علم وفن إلا أن المفكرين والدبلوماسيين اختلفوا في تعريفها، ولعل أسباب ذلك تعود إلى أن كل معني بشؤون الدبلوماسية يركز على زاوية أكثر من أخرى. إذ يعرفها الدبلوماسي البريطاني أرنست ساتو بقوله: إن الدبلوماسية هي استعمال الذكاء والكياسة في إدارة العلاقات الرسمية بين حكومة الدولة المستقلة(٦).

أما شارل دي مارتنس فإنه يعرف الدبلوماسية: بأنها علم العلاقات، وبمعنى أدق علم أو فن المفاوضات(٧).

ويتطور مدلول الدبلوماسية ويتسع نطاقها وأساليبها بفعل تطور المجتمع الدولي، ويمكننا أن نجمع الآراء التي عرفتها في العبارات التالية:

- الدبلوماسية هي أساسا إدارة العلاقات الرسمية بين الدول، فهي تقوم على الاتصالات. وبعض الكتاب يركز على المفاوضة كطريقة لتنظيم العلاقات الدولية، وهي علم وفن: يدرس كيفية إدارة وتنظيم تلك العلاقات وتبادل البعثات وتسوية الخلافات، بوساطة السفراء والمبعوثين كل بطريقته الخاصة.

- على أنه من الشائع أن يطلق اصطلاح الدبلوماسية على الطريقة التي تدير بها الدولة علاقتها بالدول الأجنبية وسياستها الخارجية، فيقال الدبلوماسية الأمريكية في الثمانينات أو الدبلوماسية السوفيتية وهكذا.
- وقد يطلق اصطلاح الدبلوماسية على الأسلوب أو الطريقة التي تدار بها الاتصالات الخارجية، فيقال الدبلوماسية الرئاسية أو الدبلوماسية السرية، ودبلوماسية التنقل (المكوك) أو دبلوماسية المؤتمرات أو الدبلوماسية الشعبية.
- وأحيانا يحدث خلط بين المهام الموكولة للجهاز الدبلوماسي وبين الوظائف الدبلوماسية ذاتها، فيطلق اصطلاح الدبلوماسية على الجهاز نفسه والعاملين فيه والذين يتولون ممارسة المهام الدبلوماسية.
- جرى العرف على أن يستخدم اصطلاح الدبلوماسية مرادفا للباقة والكياسة وحسن التصرف، فيوصف الشخص بأنه دبلوماسي، إذا كان رقيقا مجاملا في تعامله مع الآخرين(٨).

إذن الدبلوماسية علم؛ لأنها تفرض لمن يمارسها معرفة تامة بالعلاقات القانونية والسياسية القائمة بين مختلف الدول وبالمصالح الخاصة لكل منها، وفن لأن مدارها إدارة الشؤون الدولية، ويتطلب ذلك فن الإقناع والقدرة على التوجيه ودقة الملاحظة والذكاء وتتبع الأحداث ومتابعة المفاوضات بحذق وفطنة ومهارة.

- الدبلوماسية قديما:

يعبر الوصف التاريخي للدبلوماسية على أنها الإجراء المنظم للعلاقات

بين جماعة بشرية معينة وجماعة بشرية أخرى أجنبية عنها، وفي رأي بعض الكتاب النظريين للقرن السادس عشر أن أول صورة عرفتها الخليقة للدبلوماسيين كانت تتمثل في الملائكة، بما أنهم كانوا يستخدمون كرسل بين السماء والأرض[٩]. وهذا الرأي قد يكون مقبولا من الناحية التصويرية، ولكنه لا مكان له لدى المؤرخين الذين يبحثون في مجال الواقع والحقائق المادية عما كانت عليه العلاقات بين مختلف الجماعات البشرية، وإنما هذا لا ينفي أنه، حتى فيما قبل التاريخ ومنذ تكوين الجماعات الأولى، لا بد وأنه كانت هناك أوقات شعرت فيها جماعة همجية بضرورة التفاوض مع جماعة أخرى ولو لمجرد إبداء الرغبة في وقف القتال القائم بينهما لحين جمع الجرحى ودفن القتلى.. ولذا فإن الأمور قد جرت منذ القدم على أن يمنح مثل هؤلاء المتفاوضين مزايا لم يكن يتمتع بها المحاربون الآخرون، وأن أشخاصهم كانت تعتبر لحد ما مصونة لا يجوز المساس بها، وربما كان هذا هو الأصل البعيد للحصانات التي يتمتع بها حاليا المبعوثون الدبلوماسيون.

- الدبلوماسية في الشرق القديم:

إذا كانت الدراسات الغربية تدل على نشوء وتطور الدبلوماسية في مجتمعات أوروبا القديمة على أسا الاستنتاج العقلي المجرد، فإن التحريات الأثرية التي أجريت في يكل من وادي الرافدين ووادي النيل والجزيرة العربية، أثبتت حقيقة تطور الدبلوماسية عند الأقوام التي سكنت هذه المناطق من العالم القديم بوقائع مادية ثابتة، فقد اكتشف المؤرخون نطاقا متقدما للعلاقات الدبلوماسية منذ الألف الثالث قبل الميلاد. وهذا يدل على مدى اهتمام الدويلات التي سكنت البلاد العربية بحل منازعاتها الدولية بالطرق

الدبلوماسية، بصورة اعتقدوا فيها بوجود رحلات وبعثات دبلوماسية على مستوى (قمة الآلهة) وتوجد بين هذه الدول علاقات دبلوماسية، كإرسال المبعوثين الدبلوماسيين للمفاوضة من أجل عقد المعاهدات، وكانت (اللغة الأكدية) هي اللغة الدبلوماسية لدول ذلك العالم وقد دلت الآثار على وجود مراسلات دبلوماسية. وقد تطورت العلاقات الدبلوماسية بين دول الشرق القديم لدرجة كبيرة في زمني السلم والحرب، وتبادلوا الرسل والهدايا بينهم لهذا الغرض، فبعد أن أسس اللكشيون دولتهم في العراق، تأسست في وادي النيل ما يسمى بالمملكة الحديثة في حدود (١٥٠٠-١٠٨٥)ق.م، والمملكة الحثية في الأناضول ، ثم الدولة اللكشية في بابل ودولة ميثاني في الأجزاء العليا من بلاد ما بين النهرين، ونتيجة المنازعات المستمرة بين هذه الدول، كان لا بد أن يجري مع بعضها البعض نوع من الاتصالات الدبلوماسية لغرض عقد معاهدات صلح وصداقة، وكان موقف اللكشين الحياد من المنازعات الدولية، والابتعاد عن الأحلاف العسكرية، لكونهم دون الدولتين المصرية والحثية في القوة، الأمر الذي أوجب عليهم اتخاذ مبدأ الموازنة بينهم وبين الآشوريين، لهذا اتسمت علاقاتهم مع مصر بالصداقة والحياد. كما تدل المذكرات الدبلوماسية المتبادلة بينهم وبين فراعنة مصر. ومن هذه المذكرات، المذكرة التي أرسلها الملك اللكشي (بورنابورياش الثاني) (١٣٧٥-١٣٤٧) ق.م إلى فرعون مصر (أمينوفيس الربع) أي أخناتون. جاء فيها (حين عقد أبي وأبوك الصداقة ما بينهما كانا يتهاديان أثمن الهدايا. ولم يمنع أحدهما ما كان يطلبه الآخر مهما عز وغلا.. فكم تمنيت لو أنك أرسلت لي ذهبا بقدر ما كان يرسله أبوك.. وإذا رغبت في شيء في بلادي مهما كان فابعث لي رسلك ليأتوك به). ومن

الجدير بالذكر في هذا الشأن أن العالم المؤرخ (فـون سـكالا) قـد أشـار في مؤلـف وضـعه عـن التاريخ السياسي للشرق القديم أن هناك ستة عشر ميثاقا هاما أبرمـت هـذه المواثيـق بـين جماعـة الدول الكبرى التي كانت موجودة في ذلك الحين، في مقدمتها بابل، مصر، ومملكة الحثيـين، وسـوريا، وآسيا الصغرى وقبرص، وبعض الدول الأخرى التي تليها في الأهمية في الفترة مـا بـين القـرن الخـامس عشر والقرن التاسع عشرـ قبـل الميلاد تبـدأ بميثـاق أبـرم بـين بابـل ومصرـ سـنة ١٤٥٠ قبـل المـيلاد واكتشفت في تل العمارنة بمصر في بقايا القصرـ القـديم لأخنـاتون مدونـة عـلى عـدد مـن اللوحـات الصلصالية في حروف مسمارية.

كما عرفت الحضارات القديمة في بـلاد الصـين والهنـد ممارسـات دبلوماسـية متقدمـة، فكانـت ترسل المبعوثين، وكان الغرض من ذلك استقصاء المعلومات السرية، وإعداد الترتيبات للتمهيد لإيجاد الحلول للمشاكل عن طريق التفاوض والوصـول بعـدها إلى اتفاقيـات، كـما كانـت هـذه الحضـارات تقوم بالمفاوضات أثناء الحروب بهدف الوصول إلى عقد معاهدات الصـلح والسـلام، وتشـير سـجلات وقوانين الهند القديمة بوجه خاص أن واجب الملوك تعيين السفراء من بـين الرجـال الـذين يتمتعـون بالمكانة الطيبة والشرف والقدرة العالية لتمثيل بلادهم على أحسن وجه[١٠].

- الدبلوماسية في أوروبا القديمة:

كانت الدبلوماسية بدائية للغاية أيام الإغريق الأولى، فقد كـان مـا يعـرف اليـوم بالـدبلوماسي يسمى بالمنادي **Herald** وكانت من مهامه تمثيل دولة

المدينة **City-state** وإدارة شؤون القصر الملكي والمحافظة على النظام في الاجتماعات .. ولم تكن مؤهلاته تتعدى الذاكرة القوية والصوت الجمهوري[١١].

ومع تشعب مصالح المدن الإغريقية، لم تعد وظيفة المنادي وراثية، ولم تعد المؤهلات السابقة تكفي، فقد أصبحت البلاغة وحسن الخطاب مؤهلات ضرورية، وأصبح سفراء دويلات المدن يختارون من بين أبرع الخطباء والمحامين، ليقوموا بدورهم في التصدي بالحجة في المناقشات العلنية لنظرائهم من المدن الأخرى. ولارتكاز هذا النظام الدبلوماسي الوليد على الخطابة والمراوغة في الكلام والإطناب فيه، لم ينجح كثيرا في أداء مهمته، إذ أصبح الترصد للطرف الآخر ومحاولة الإيقاع به لأي هفوة كلامية هدفا في حد ذاته، مما شغل السفراء عن مهمة تطوير مصالح المدن التي يمثلونها وحمايتها. ولكن يحسب للإغريق أنهم أسسوا نواة الأفكار الدبلوماسية وتقاليدها بخاصة نظام الحصانة الدبلوماسية[١٢].

حيث وضعت قواعد (حرمة المبعوثين الدبلوماسيين)، ومخالفة هذه الحرمة شيئ تنبذه تقاليد حسن الجوار، أما تعيين السفراء لإجراء المفاوضات فكان مرهونا برئيس الدولة، وكان كل سفير يتزود بالتعليمات الشفهية والتحريرية كي يسترشد بها أثناء القيام بمهمته، ولم ينس اليونانيون شأنهم شأن الأقوام التي سبقتهم، أن يضعوا قواعد لقبول وتسليم اللاجئين السياسيين، ولما لم تكن هناك سفارات كما هو معروف في الوقت الحاضر، كانت المقابر والكنائس هي التي تقوم مقام السفارات الدائمية في إيواء اللاجئين. ولم يقتصر اليونانيون في تأكيدهم على إجراء المفاوضات الدبلوماسية الفردية في توجيه

العلاقات بينهم قبل اللجوء إلى الحرب فحسب، وإنما ابتدعوا طريقة عقد المؤتمرات الإقليمية التي كان يطلق عليها المؤتمرات (الأمفكيتونية) والغاية الأساسية من ذلك هي التوصل إلى مبادئ عامة جديدة تحفظ المصالح المشتركة، وتلزم الأعضاء تطبيقها، كما تفرض العقوبة على مخالفيها.

- الدبلوماسية عند الرومان:

أما الرومان فقد أدى تفوقهم العسكري إلى فرض إرادتهم على المهزومين عن طريق تطوير نظام المعاهدات وكيفية عقدها ثم الالتزام بها واحترامها، وهنا تكمن إضافتهم للنظرية الدبلوماسية، فقد طوروا مفهوم إبرام العقود، واحترامها بعدم خرقها على الرغم من أنهم كانوا في الغالب الطرف الأقوى الفارض للاتفاق أصلا، وبالتالي القادر على خرقه. ولم يكن مفهوم التفاوض بالمعنى الحديث قد دخل بعد في قاموس التعامل الدبلوماسي. فقد كان الرومان يخيرون من يدخل معهم في نزاع بين أمرين إما القبول بمشروع معاهدة في موضوع النزاع، وإما الرفض ويعني (الحرب). وهذا التعنت الروماني أدى إلى فشل دبلوماسيتهم. ولكن على الرغم من هذا الفشل للدبلوماسية الرومانية فإنه يحسب لها الإسهام في تطوير فكرة (قدسية المعاهدات)(١٣).

وفي نطاق القانون الدولي حيث اهتم الرومان بالقانون المدني **Jus civil** الذي كان يطبق على الرومان فقط وقانون الشعوب **Jus Gentium** الذي كان يطبق على الأجانب، والقانون الطبيعي **Jus natural** الذي كان يشمل جميع أفراد الجنس البشري.

- الدبلوماسية عند البيزنطيين:

أما البيزنطيون فقد دفعهم ضعفهم إلى التفاوض، الذي أعرض عنه الرومان لقوتهم. وقد خدموا فنون التفاوض للمحافظة على كيانهم وملكهم، وبذلك استطاعوا أن يستعيضوا عن النقص في السلاح والعتاد، فبالتفاوض والإقناع حموا مصالحهم وأمنوا شر الشعوب المحيطة بهم، والمتوثبة دوما لغزوا أراضيهم. ولتحقيق مصالحهم لجأوا إلى تأليب الأطراف الطامعة في أراضيهم بعضهم على بعض، بإقناعها بأن مصلحة طرف ما تكمن في معاداة الطرف الآخر ومصادقة الإمبراطور البيزنطي. وتحقيق هذه النتيجة كان يتطلب مفاوضين بارعين متمرسين، وكان يتطلب جهازا دقيقا لجمع المعلومات، ومعرفة ما يجول بخاطر الأعداء، وتقصي أخبار اتصالاتهم وتقاربهم واحتمالات تحالفهم لتفادي الخطر قبل وقوعه[١٤].

وبذلك أدخل البيزنطيون نظام السفارة الدائمة، وأضافوا لمهام السفير جمع المعلومات ودراستها وتحليلها وتقصي اتجاهات الأعداء وكتابة تقارير عنهم وإتقان فن التفاوض.

- الدبلوماسية عند العرب:

ظهرت مفاهيم الدبلوماسية عند العرب منذ القدم، حيث حفلت الحضارة العربية بالنظم السياسية المتطورة على مختلف العصور، وكان لتعدد الأنظمة السياسية في الوطن العربي ومجاورتها لحضارات أخرى، أثر كبير في نشوء معين من العلاقات والاتصالات الدبلوماسية بين هذه الأنظمة، وتوثيق العلاقات الاقتصادية والسياسية وعقد الأحلاف العسكرية بينهم. وقد ظهرت أعراف

قبلية لتنظيم هذه العلاقات بواسطة أشخاص يوفدون من أجل حل المنازعات الناشئة بين تلك الأنظمة، وللمهمة التي يقوم بها هؤلاء أثناء تأدية مهمتهم فقد أقر العرف القبلي منحهم الحصانة الدبلوماسية اللازمة ليكونوا في منأى من أي أذى قد يتعرضون له.

والمتتبع المسيرة التاريخية للدبلوماسية القديمة يجد أن هناك أدلة على وجود مفهوم التعامل بالطرق الدبلوماسية للمفاوضة من أجل عقد المعاهدات والاتفاقيات في الدول العربية قبل الإسلام. فقد ساهم العرب قبل الإسلام في تطوير العلاقات الدبلوماسية في العراق والجزيرة العربية من جهة، والدول المجاورة من جهة أخرى، بالنظر لوقوع أراضيهم بين دول متعددة، ولأنهم سبروا أغوار الصحراء وعرفوا مسالكها، فكانوا يمنحون الأمان لا للرسل الذين يوفدون إليهم ولكن إلى الذين يمرون عبر أراضيهم إلى دول أخرى[١٥].

ولعل من أبرز مقومات نجاح الدبلوماسية عند العرب، هو أن اللغة العربية تعتبر لغة دبلوماسية جيدة، يستطيع المتكلم بواسطتها أن يعبر عن قومه أصدق تعبير، وأن يجعل المرسل إليه مشدودا إليه مقتنعا بأقواله.

هذا وقد عاصرت الحضارة العربية قبل الإسلام دول أخرى ذات أنظمة سياسية متطورة كحضارة الإغريق والرومان وفارس مما فرض عليها حسن التجاور والعلاقات الودية المتبادلة وفق الأعراف المتبعة قديما.

- الدبلوماسية العربية الإسلامية:

شهدت الدبلوماسية عند العرب بعد الإسلام تطورا ملحوظا فقد اعتمد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم الدبلوماسية كوسيلة رئيسية لنشر الدين الإسلامي وإبلاغ

الدعوة إلى الدول والأقوام الأخرى، واستخدم الرسل لهذا الغرض، كما اهـتم بالرسـل الأجانـب الذين يوفدون إليه فكان صلى اللـه عليه وسلم يستقبلهم ويرعاهم ويكـرمهم. لقـد اتسـم العهـد النبوي بنشر الدين الإسلامي، تارة بالدعوة وتارة بالحرب، وفي الحالتين كانت هنـاك حاجـة لمبعـوثين ذوي مهارات خاصة. ففي حالة السلم تعين بلاغة المبعوث وحسن جداله في إقناع المرسل إليـه، كـما حدث مع النجاشي ملك الحبشة وفي حالة الحرب تعين القـدرة عـلى التفـاوض عـلى عقـد اتفاقيـات الصلح والهدنة وتبادل الأسرى[١٦].

وقـد اتبـع الخلفـاء الراشـدون أثـر النبـي محمـد صـلى اللـــه عليـه وسـلم في الاعـتماد عـلى الدبلوماسية لنشر الدين الإسلامي والاتصال بالأقوام الأخـرى خاصـة بعـد تشـعب الدولـة الإسـلامية واتساع رقعتها، وبخاصة في عهد عمر بـن الخطـاب رضي اللـــه عنـه، حيـث قاربـت آسـيا الصـغرى وجاورت الروم. وفي العصر الأموي، اقتربت العاصمة الإسلامية دمشـق مـن القسـطنطينية العاصـمة البيزنطية، فتربصـت كـل مـنهما بـالأخرى رغـم الاعـتراف والاحـترام المتبـادل مـن كـل طـرف للآخـر وأصبحت الدبلوماسية وتبادل السفراء بديلا عن الحرب.

لقد كان لابد من استخدام الدبلوماسية لحل المنازعات الدولية الناشـئة بيـنهما، حتـى ازدادت البعثـات الدبلوماسـية وأقيمـت علاقـات متطـورة بـين هـذه الـدول لتوثيـق العلاقـات الاقتصـادية والسياسية وعقد لم يجر عقد أحلاف عسكرية قط الأحلاف العسكرية بينهما، وضمنت للمهمة التـي يقوم بها الأشخاص الذين يوفدون بين تلك الدول الحصانة الدبلوماسية اللازمة ليكونوا في منـأى مـن أي اعتداء قد يتعرضون له أثناء أداء المهمـة المكلفـين بهـا. إن العـرب منحـوا الحصـانة لدبلوماسـية للرسول، لم تعترف بها المجتمعات

والحضارات الأخرى المعاصرة للحضارة العربية في مختلف العصور، ولم يقرها المجتمع الـدولي المعاصر إلا في بداية هذا القـرن وفي نطـاق محـدود، حيـث ظهـرت ممارسـات تقضي- مـنح الرسـول الأجنبي بعض الحصانات الدبلوماسية، غير أنها كانـت متفاوتـة مـن دولـة لأخـرى تبعـا للاتجاهـات السياسية المهيمنة على أنظمة الحكم وطبيعة العلاقات الدولية بين الدول المعتمدة والدولة المعتمـد لديها. ولهذا كثيرا ما كانت تنتهـك الحصـانة الدبلوماسـية مـن قبـل هـذه الـدول ويتعـرض الرسـول للإهانة والاعتداء.

إن حماية الرسل عند العرب أمر ينطلق من الأخلاق العربية وهو أمر ثابت ويعتـبر جـزء مـن أصـالة الأمـة العربيـة لدرجـة ذهـب فيهـا بعـض الكتـاب إلى أن (حمايـة الرسـل قـانون قـبلي عنـد العرب)[١٧].

لقد شهدت الدبلوماسية الإسلامية في العصر العباسي تطورات جديدة، ولعل أهم ما يجـب أن يذكر في صدد هذه التطورات هو أن الدبلوماسية في هـذا العصر- بلغـت درجـة طيبـة مـن التقـدم، بحيث أصبحت تخضع لقواعد دقيقة وتنظيم في أصول واضحة، ولاشك أن علو شأن الدولـة وازديـاد ارتباطها، والتقدم الذي حصل في عهدها كان له دخل كبير في هذا التطـور، وهـذا مـا جعلهـا تسـدي فوائد جمة وتحقق أغراضا متعددة. وكان من بـين السـبل التـي اسـتخدمت الدبلوماسـية في العصر- العبـاسي الـدور الملحـوظ الـذي لعبتـه في توفيـق العلاقـات الثقافيـة والتجاريـة، فكانـت الوفـود والسفارات المنظمة تخرج من بغداد وهي تضم أهل الفكر والصناعة والتجارة والفن حاملة العطايـا المقدمة من لدن الخليفة وكانت تنهي مهمتهـا بعقـد معاهـدة بـين الدولـة السياسـية وبـين الدولـة الموفدة إليها تلك الوفود والسفارات، وثمة دور آخر للدبلوماسية في هذا

العصر هو استخدامها كوسيلة لتحقيق التوازن الدولي. ولقد استدعى هذا التوازن قيام سفارات مستمرة بين بغداد وبيزنطة، وسفارات مماثلة بين قرطبة والقسطنطينية ذلك أن دولة الفرنجة المناوئة لبيزنطة كان قد اضطرها الأمر إلى تأمين وتوثيق الصلات مع الدولة العباسية، ولكن الدولة العباسية آنذاك كانت هي الأخرى تبحث عن الوسائل التي تحد من قوة دولة الأمويين في الأندلس التي أخفقت في القضاء عليها مما دعاها إلى أن تفكر من ناحيتها من التحالف مع دولة الفرنجة المتاخمة للأندلس لكي تضعف من شوكتها والحد في توسعها. وتحقيقا لهذه الموازنة في السياسة الدولية وجدت السفارات بين بغداد والفرنجة بعقد أواصر الصداقة في سبيل مصالحها المشتركة والتي توجت أخيرا بتبادل السفارات بين هارون الرشيد وشارلمان، حيث أرسل الإمبراطور شارلمان سفارة إلى الخليفة هارون الرشيد سنة ٧٩٧م، ورد عليه الرشيد بسفارة مماثلة عام ٨٠١م، ثم عاد شارلمان فأرسل سفارة ثانية عام ٨٠٢م وقابله هارون الرشيد أيضا بسفارة إسلامية ثانية عام ٨٠٧م، وقد كانت مهمات السفارة الأولى تقوية أواصر الصداقة بين الجانبين أما الثانية فكانت لغرض عقد تحالف يؤمن مصلحة الطرفين ضد مناوئيهما دولة بيزنطة ودولة الأمويين في الأندلس.

- أثر الدبلوماسية الإسلامية في التقاليد الدبلوماسية:

قامت الدولة العربية الإسلامية على فلسفة ورسالة حضارية، وفلسفة المجتمع في المفهوم الحضاري العربي الإسلامي قائمة على خير وسعادة الإنسان، وأن الدولة هي أداة لتحقيق هذا الخير وهذه الفلسفة ذاتها هي التي

حددت مسؤولية الدولة في الداخل وأسلوب علاقاتها في الخارج، وعليه فإن فلسفة العلاقات الدبلوماسية التي سارت عليها الدولة العربية الإسلامية هي التي فتحت أما الدولة العربية الإسلامية باب الاتصال مع غيرها من الدول، سواء باختيار السفراء أو إرسال البعثات الدبلوماسية، أو في التشريفات والاستقبال والحصانات الدبلوماسية، ففي اختيار السفراء كان هناك شروط لمن يصلح للسفارة، ومن بين هذه الشروط التي يجب توفرها في السفير ما كان يتصل بالثقافة وحس الاطلاع، ورجاحة العقل، وحسن التصرف، والفطنة، ومنها ما كان يتعلق بحسن الهندام والقيافة. فقد كان لابد للسفير الذي يروم النجاح في عمله كممثل لبلاده أن يكون عالما بتراثه وشريعته عارفا بتاريخ بلاده وفلسفة أمته، وكان يفضل في السفير أن يكون ممن يتوفر فيه (تمام القد وعبالة الجسم، حتى لا يكون قميئا ولا ضئيلا .. يملأ العيون المتشوفة إليه فلا تقتحمه، ويشرف على تلك الخلق المتصدية له فلا تستصغره)[١٨].

ومن جهة أخرى تكمن آثار الدبلوماسية العربية الإسلامية في اتباع العرب والمسلمين صفة (التمثيل الدبلوماسي) التي كانت تمنح إلى الرسل والسفراء، وكان السفراء خاصة يمثلون رئيس الدولة في الاحتفالات أو التعازي، وكانوا ينطقون ويفاوضون عنه، ويبرمون العقود والاتفاقيات والمعاهدات، ومما يجدر ذكره أيضا أن البعثات الدبلوماسية العربية الإسلامية كان يتحدد عددها تبعا لأهميتها ومنزلة رئيسها. وكان استقبال الممثل الدبلوماسي وحاشيته يخضع للأعراف وقواعد تليق بمكانة دولته. ومن ذلك مثلا إرسال وفد استقبال إلى الحدود لاصطحاب السفير ومرافقته إلى العاصمة. ثم يعقب ذلك إيواء السفير وحاشيته في قصر للاستراحة لفترة معينة

أيضا، وقبل أن يحظى بمقابلـة الخليفـة، ويجـري بعـد ذلـك تقـديم أوراق الاعـتماد في حفـل استقبال، ويقرأ السفير اعتماده من قبل الخليفة والمهمة التي أرسل من أجلهـا، والرغبـة في التعـاون أمام رئيس الدولة المرسل إليه باللغة العربية، ويعمل المترجمون على ترجمتها إلى لغة البلـد المرسـل إليه، ثم يعقب ذلك الرد على خطاب الاعتماد، وبانتهاء حفـل الاسـتقبال يـأتي دور المفاوضـات التـي كان يعقبها عادة عقد الاتفاقات والمعاهدات.

ويزود سفراء الدولة العربية الإسلامية عادة بخطابات اعتماد ينشئها موظفـون متخصصـون في جهاز دبلوماسي يرتبط بـ(ديوان الرسائل) الذي يصدر عنه التوجيهـات والكتـب إلى الـدول الأجنبيـة، وكان يدير شؤونه أشخاص عرفوا بكفاءتهم وقوة أسلوبهم، وسحر بيـانهم بلغـة دبلوماسـية تمكـنهم من التعامل مع الدول. وتبدأ المخاطبات التي يصدرها ديوان الرسـائل بتقاليـد رسـمية مثـل (مـن،.. إلى..) مع ذكر الألقاب، أما الخطابات المتبادلة بين رؤساء المسلمين فكانت تتوجها ألفاظ اسم الجلالة (بسم اللـه الرحمن الرحيم) ويعقب ذلك عبارة، أما بعـد.. وتخـتم الرسـالة بعبـارة الشـكر والثنـاء اللائق بالمقام.. وتكتب المخاطبات الدبلوماسية عـادة عـلى ورق مـن نـوع معـين وبحـبر خـاص. أمـا المعاهدات فقد جرت بالأحرف الأولى.. ريـثما تحصـل المـذاكرة والمصـادقة النهائيـة عليهـا مـن قبـل الحكومة ورئيس الدولة. ومـن آثـار الدبلوماسـية العربيـة الإسـلامية أيضـا دورهـا في تثبيـت قواعـد الحصانات الدبلوماسية، والواقع أن ما يسمى حديثا بالحصانة كـان يطلـق عليـه العـرب بــ(الأمـان) والمقصود بذلك أن الدولة تعمل كـل مـا بوسـعها للمحافظـة عـلى شـخص السـفير وزوجتـه وأولاده وأعوانه وأتباعه. فيذكر لنا أبو يوسف في كتابه (الخراج): (أن السفراء،

حفاظا على مقامهم وأمنهم، كانوا يصدقون فيما يصرحون .. فهو يقول... (أن الولاة إذا ما لقوا رسولا يسألونه عن اسمه، فإن قال أنا رسول الملك بعثني إلى ملك العرب.. وهذا كتاب معين، وما معي من الدواب والمتاع والرقيق هدية له. فإنه يصدق ولا سبيل عليه ولا يتعرض له ولا لما معه من المتاع والسلاح والرقيق والمال)[١٩].

ومن يطلع على كتب سير الخلفاء والولاة يجد كيف أن منح الحصانة الدبلوماسية للسفراء بسبب طبيعة أعمالهم وأداء واجباتهم على الوجه المطلوب، كانت قد أقرت من قبل الجميع، فالشيباني في كتابه (السير الكبير) يؤكد أن السفير لا يمكن أن يعمل من دون (الحصانة) فهو يقول بأن : الحصانة لا تنتهك حتى ولو ارتكب السفير جريمة[٢٠].

كثيرة هي الآثار العربية الإسلامية وبصماتها على الدبلوماسية وتقاليدها والأهم في ذلك كله حرية عبادة الرسل والسفراء الأجانب والتسامح واحترام الأديان، وهذه ميزة عالية من ميزات هذه الدبلوماسية. ويمكننا أن نوجز إسهامات الدبلوماسية العربية الإسلامية في إرساء التقاليد الدبلوماسية بما يلي:

١- يشترط أن يكون السفير نافذ الرأي، وسيما جسميا، جريئا حليما، وذا ثقافة عالية .

٢- النظافة المفرطة في الزي والمظهر الحسن.

٣- إكرام السفير الأجنبي والحفاوة به .

٤- تحرير المخاطبات والمعاهدات من قبل جهاز دبلوماسي متخصص يرتبط بديوان خاص (ديوان الرسائل).

٥- أكدت الدبلوماسية العربية الإسلامية مبدأ الحصانة الدبلوماسية بتأكيدها على مبدأ (الأمان) للرسل.

٦- أضافت الدبلوماسية العربية الإسلامية وظيفة جديدة للسفارة بخاصة في العصر العباسي، وهي الوظيفة الثقافية وبما سمي اليوم (الملحقية الثقافية) بالسفارات.

٧- يعد ربط الأخلاق بالسياسة في التعامل الدولي من أهم إسهامات الدبلوماسية العربية الإسلامية، فالفضيلة والأخلاق لم تعتبرا مسألتين شخصيتين بل مسألتين متعدتيين، لا ينفصل فيها السلوك العام عن السلوك الخاص[٣٦].

ثانيا: الدبلوماسية المعاصرة في المجتمع المعاصر

أخذت الدبلوماسية أبعادا جديدة في العصر الحديث، وأول ممارسة للتمثيل الدبلوماسي الدائم كان قد ظهر في إيطاليا بعد عصر النهضة في أواخر القرن الخامس عشر[٣٣]. فقد نشأ في إيطاليا دويلات عديدة مستقلة ومتنافسة، سعت كل واحدة منها للحصول على السيادة وبناء مركز أولوي بين الآخرين والحاجة إلى إقامة تمثيل دائم لها، وأول دولة أرسلت مبعوثا دائما في الخارج كانت جمهورية البندقية (فينسيا) الإيطالية. وبعدها توالت رغبة الدول إلى تنظيم قواعد العلاقات الدبلوماسية للتعامل مع بعضها البعض وإقامة التمثيل الدبلوماسي بينها حتى تم وضع أول القواعد الدبلوماسية المعاصرة في مؤتمر (فينا) للعلاقات الدولية عام (١٨١٥)، والتي اعتبرت أول اتفاقية عالمية تضع قواعد لدرجات الدبلوماسية والأسبقيات بين الممثلين. وكان لهذه الاتفاقية دور

كبير في تأسيس لدبلوماسية. القرنين التاسع عشر والعشرين -والتي توجت باتفاقية فينا الثانية للعلاقات الدبلوماسية عام ١٩٦١ تحت رعاية الأمم المتحدة- وقد نتج عن هذه الاتفاقية ما يسمى بالقانون الدبلوماسي لعام ١٩٥١[٢٣].

- مميزات الدبلوماسية القديمة (التقليدية):

كانت الدبلوماسية التقليدية محدودة النطاق، كما كانت أدواتها محدودة التأثير أيضا، وغالبا ما كانت القوة العسكرية أو أساليب التآمر هي الوسائل الرئيسية المستخدمة في الدفاع عن المصالح القومية للدول في مواجهة بعضها، وكانت الدبلوماسية التقليدية سرية في جوانبها، كما اعتمدت إلى حد كبير على العوامل الشخصية، أو بعبارة أخرى كانت دبلوماسية أرستقراطية مغلقة، وقد استمرت هذه الدبلوماسية التقليدية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى.

- الدبلوماسية الحديثة:

مع دخول العالم القرن العشرين تأثرت الدبلوماسية بعوامل عديدة منها نمو روح (المصالح المشتركة بين الأمم)، ودعم هذه الروح ازدهار وسائل الاتصال والمواصلات، مما زاد حركة التواصل بين الدول، كما أن ضلع الرأي العام، بفضل تطور الطباعة ومن ثم الصحافة - ساهم في تشكيل السياسة الداخلية والخارجية للديموقراطية الأوربية الوليدة، مما أتاح مزيدا من العلنية والشعبية للأداء الدبلوماسي[٢٤].

- خصائص الدبلوماسية الحديثة:

تميزت الدبلوماسية الحديثة بالعديد من الخصائص الأساسية ويمكن أن نحددها بالسمات التالية:

١- الدبلوماسية العلنية:

في البدء كان تعامل الدول في مفاوضاتها واتفاقاتها على أساس من السرية، وقد أضفى من قيام الشكوك فيما بينها وعلى جعل جو العلاقات الدولية جوا مضطربا وغامضا، ولا تعرف فيه ماذا قد خبأت لها الدول التي تختلف معها من تحالف واتفاقات سرية تجهل كهنتها إلا أن النظرة الجديدة المتطورة للمجتمع الدولي جعلتها علنية، لأنها جاءت استجابة لإرادة الشعوب في ظل الأنظمة الديموقراطية التي تجعل من الحكومات مسؤولة أمامها في كل تصرفاتها باعتبارها صاحبة الاختيار والقرار النهائي، أي أن الدبلوماسية العلنية تعني أمورا هي:

١- يجب ألا يكون هناك اتفاقات سرية .
٢- يجب أن تدور المفاوضات في العلن.

والشرط الأول شرط معقول وله جذور في النظرية الديموقراطية، أما الشرط الثاني فقد ثبت أنه شرط محرج، فعندما يصرح الدبلوماسيون بمطالبهم الوطنية علنا فإنهم في العادة لا يستطيعون الاتفاق على حل وسط دون إراقة ماء وجههم، أي أنهم بعبارة أخرى لا يستطيعون أن يفاوضوا.

لقد تغير تركيب المجتمع الدولي تغيرا كاملا، بفعل الثورة الاتصالية ونمو الرأي العام، إضافة إلى دور المنظمات الدولية العالمية والإقليمية.

٢- الدبلوماسية البرلمانية:

لقد ظهرت الدبلوماسية البرلمانية إلى حيز الواقع الدولي مع تزايد إحساس الحكومات بمسئوليتها تجاه الرأي العام، ومع تدعيم رقابة السلطة التشريعية على كافة أعمالها بما في ذلك قطاع السياسة الخارجية نفسه، وأيضا مع التحسن الضخم في كفاءات عمليات الاتصال الدولي، مما نتج عنه أن الدبلوماسية أصبحت علنية ومفتوحة على النحو الذي سلفت الإشارة إليه(٢٥).

٣- الدبلوماسية الشمولية:

تمثل الدبلوماسية الشمولية نمطا خاصا وفريدا من أنماط الدبلوماسية الدولية، وقد انبثقت خصائصها من صميم الممارسات التي طبقتها نظم الحكم الشمولي في مناطق مختلفة من العالم، إذ استخدمت كافة الوسائل العسكرية والدعائية من أجل بسط نفوذها كسلاح فعال في الضغط والتأثير، وبصورة جعلتها تختلف اختلافا جذريا وشاملا من حيث أهدافها واتجاهاتها ووسائلها عن الدبلوماسية الديموقراطية. فالدبلوماسيون الذين أنيطت بهم هذه المهام لن يكونوا مجرد حلقات اتصال بين دولهم وبين الحكومات الأجنبية المعتمدين لديها، وإنما قاموا بدور العملاء لهذه الأنظمة الشمولية، ينفذون كل ما تعهد به إليهم من أعمال تفتقر إلى أبسط المبادئ الأخلاقية المتعارف عليها دوليا مثل الخداع والتآمر والتجسس. وبذلك تعمل الدبلوماسية الشمولية إلى خلق التوترات وتفجير المواقف وتوسيع الثغرات والنفاذ منها إلى حيث تريد هذه النظم الشمولية أن تصل إليه، من إخضاع الغير ودفعهم إلى الإذعان كما يطلب منهم قبوله، ومن هنا فإن الدبلوماسية الشمولية تنتعش وتنجح في

ظروف الصراع والتوتر، في ظروف السلم والاستقرار، ويلاحظ مما تقدم أن الدبلوماسية الشاملة في أسلوب توجهها إلى خصومها تستخدم أسلوب (الدعاية الدولية) باعتبارها أقوى الأسلحة النفسية التي تحارب بها في معركتها ضد الديمقراطية، كما أنها أقل تلك الأسلحة من حيث المخاطرة عند تنفيذ مخططاتها العدوانية، مما يجعل الدول الديمقراطية تعاني كثيرا في تعاملها مع النظم الشمولية (الدكتاتورية) من خلال القنوات التقليدية والوسائل الروتينية للعمل الدبلوماسي، فدبلوماسيوها لا يتمتعون بحرية الحركة داخل هذه الدول الشمولية، كما أنه لا توجد منافذ مفتوحة يستطيعون الاتصال عبرها بالزعماء ومتخذي القرارات فيها للوقوف على اتجاهاتهم وآرائهم وتفسيراتهم للظواهر السياسية أو التطورات الدولية التي يكونون طرفا فاعلا ومؤثرا فيها، هذا بالإضافة إلى أن المناخ النفسي الذي يحيط بهؤلاء الدبلوماسيين عادة ما يكون حافلا بمشاعر الكراهية والعداء، مما يجعلهم غير قادرين على الوصول إلى الرأي العام الحقيقي والتفاعل معه عن قرب.

٤- دبلوماسية القمة:

هي تلك المؤتمرات الدبلوماسية التي يعقدها رؤساء الدول والحكومات فيما بينهم، والتي يتوصلون فيها إلى بعض القرارات السياسية الهامة أو عقد بعض الاتفاقات التي تخدم مصالحهم الوطنية[٣٦]. وعلى الرغم من أن هذا النمط من التعامل الدبلوماسي قد شاع في السنوات الأخيرة، وبالدرجة التي اعتبر معها علامة بارزة من علامات الانفراج في أزمة الحرب الباردة، وحلول مبدأ التفاوض والتشاور محل سياسات الحافة والمواجهة، إلا أن

دبلوماسـية القمـة ليسـت بـالأمر الجديـد في تـاريخ الدبلوماسـية الدوليـة إذ كانـت تعـرف بالدبلوماسية الشخصية.

٥- الدبلوماسية الوقائية أو (الدبلوماسية المانعة):

يرتبط ظهور ما يعرف بالدبلوماسية الوقائية في العلاقات الدولية المعاصرة بـ(داج همرشـولد)، السكرتير الأسبق للأمم المتحدة (١٩٥٣-١٩٦١) وقد جاء أول تطبيق عملي لهـا خـلال أزمـة السـويس عام ١٩٥٦، عندما تدخلت الأمم المتحدة ببعض التدابير العسكرية الدولية المحدودة، لفض الاشـتباك بين المتحاربين ووضع ترتيبات وقف إطلاق النار موضع التنفيذ الفعـال، تمهيـدا لاسـترجاع الأمـور إلى نصابها الطبيعي، وتسوية الأزمة الناشبة، وهذه التدابير الجماعية التي طبقت في عـدد مـن المواقـف المشابهة أصبحت تعرف منذ ذلك الوقت بعمليات حفظ السلام.

يقول همرشولد: إن أهمية الدبلوماسية الوقائيـة أو المانعـة تتمثـل بشـكل خـاص في المواقـف التي ينفجر فيها الصراع كنتيجة لوجود فـراغ قـوي في المنـاطق غـير المنحـازة التـي تقـع بـين الكتـل الدولية الكبرى، وهنا تكون مسؤولية الدبلوماسـية الوقائيـة ووظيفتهـا الأساسـية محاولـة مـلأ ذلـك الفراغ من خلال الوجود المؤثر والفعال للمنظمـة العالميـة، وذلـك لـكي تفـوت الفرصـة عـلى القـوى الكبرى أن تفعل ذلك بوسائلها الخاصة التي لابد أن تقـود إلى سلسـلة مـن ردود الفعـل المضـادة في النهاية للسلم والاستقرار الدوليين ويمكن أن يتم ذلك من جانب الأمم المتحـدة عـلى أسـاس مؤقـت، أي حتى يتسنى ملأ ذلك الفراغ

بالوسائل الطبيعية، ومن خلال الاتفاقات أو المبادرات التي تنبثق من إرادة الدول المعينة بها مباشرة[٢٧].

٦- دبلوماسية المحالفات:

تركز دبلوماسية المحالفات التي ظهرت بعد التوسع في إقامة الأحلاف العسكرية ومواثيق الأمن الجماعي ومعاهدات الدفاع المشترك في عالم ما بعد الحرب الأخيرة .. على الآتي:

- مقتضيات التوازن، فالنظام الدولي الذي تتوزع فيه علاقات القوة بطريقة تخلو تماما من معنى التعادل أو التكافؤ، يساعد على خلق أوضاع قد تغري بعض الأطراف بالتوسع أو بممارسة العدوان، على حساب المصالح القومية أو السلامة الإقليمية لغيرها، وعليه تكون المحالفات أداة تصميم للتأثيرات الناتجة عن الاختلال في توزيع علاقات القوة على المستوى الدولي، والحيلولة دون وصول بعض الأطراف إلى مراكز القوة الساحقة داخل النظام السياسي العالمي.
- الأهداف والمصالح والاحتياجات المشتركة، فضلا عن تقارب القيم والمعتقدات والنظم والمؤسسات، وهي كلها عوامل تغذي الميل نحو التجمع والتحالف لصونها والدفاع عنها في مواجهة كل مظاهر التهديد والخطر المشترك.
- إن الاتجاه نحو التحالف الخارجي قد ينتج فقط عن الرغبة في تحقيق الحد الأقصى من الكسب في نطاق الظروف القائمة، ويتحقق ذلك بالانحياز إلى مجموعة أو إلى تكتل دولي يعتقد أن لديه من الموارد

والقدرات ما يمكنه من كسب صراع يدور مع الخصوم، ومـن هنـا تكـون المزايـا المتوقعة (عامل الانتهازية السياسية) هي القوة المحركة لعملية التحالف.

- إن المحالفات قد تظهر في حدود الدافع نحو الردع، أو الـدفاع وحـده دون أن تتجـاوز إلى غيره من الاعتبـارات السياسـية أو الاقتصـادية أو السـعي نحـو تحقيـق مزايـا إقليميـة أو التوسع.. الخ، ويرتبط انضمام الدول التي تتحرك بمثل هـذا الـدافع إلى حلـف دولي دون سواه بعملية التقييم التي تجريها لمقدرته على وقف الصراع أو إحباط العدوان أو تـدعيم الشعور بالأمن.

- إن الاتجاه نحو التحالف قد ينبع من بعض الخصـائص الذاتيـة في شخصـية الأمـة المعينـة، فالدول التي من طابعها عدم الثقة والشك في نوايـا الـدول الخارجيـة، قـد تفضـل العزلـة والتقوقع على الدخول في علاقات تحـالف مـع دول العـالم الخـارجي. أمـا الـدول التـي لا ينتابها مثل هذه الشكوك فإنها تكون أكثر استعدادا وتقبلا لفكرة التحالف.

- عامل الخبرة التاريخية الـذي يقـوم بـدور مـؤثر في دعـم الميـل إلى التحـالف الخـارجي أو إضعافه. فإذا كانت محصلة علاقات التحالف التـي دخلـت الدولـة طرفـا فيهـا في المـاضي إيجابية ومرضية بالمقاييس التي تضعها لنفسها (أمن - مصالح - نفوذ .. الخ) كانت أقـل تخوفا من التي طبقت بنجاح سياسة العزلة والحياد، واستطاعت مـن خلالهـا أن تحـافظ على مصالحها وكيانها واستقلالها، ستقاوم أي اتجاه نحو الانحياز إلى تكتل دولي ضد آخر.

- إن الدول حديثة العهد بالاستقلال السياسي، تكون أكثر حرصا من غيرها على تجنب الانحياز الذي يأخذ صورة التحالف الخارجي، الذي يعتبر من وجهة نظرها مصدرا أساسيا من مصادر التهديد الاستقلال السياسي ومصادرة الإرادة الوطنية الحرة.
- إن عدم الاستقرار الداخلي قد يدفع النظام الحاكم إلى البحث عن علاقة تحالف خارجي، وذلك بهدف الحصول على دعم دولي يمكن استثماره في الحيلولة دون انهيار النظام، فالعزلة الدولية لمثل هذه الأنظمة غير المستقرة أو التدخل الأجنبي ضدها، قد تكون من العوامل التي تعجل بوقوعها وانهيارها.

٧- دبلوماسية الأزمات:

تمثلت الدبلوماسية إبان مرحلة الانفراج والوفاق الدولي في ظل الحرب الباردة في الأتي:

أ- تصور الأزمات الدولية من منظور عقائدي، فقد دأبت القوى الكبرى الأطراف في الأزمات الدولية التي نشبت في هذه الفترة على النظر إليها من الزاوية العقائدية، باعتبار أن تلك الأزمات لم تخرج في صميمها عن كونها تحديات بين عالمين نقيضين من المبادئ والمعتقدات والقيم، سواء كانت هذه الذرائع الأيدلوجية التي استخدمت في تبرير مسلك كلتا الكتلتين إزاء الأزمات التي وقعت بينهما حقيقة أم مبالغا فيها، فإنها كانت في ذلك الوقت تمثل مصدرا أساسيا من مصادر

التصلب في تصرفاتهما وعاملا مهما من عوامل تسخين الأزمات الدولية ومضاعفة حدة التوترات الكامنة.

ب- الإثارة الدعائية: أيضا فإنه من العناصر الثابتة و الملحوظة بوضوح في دبلوماسية الأزمات في الحرب الباردة التركيز على أسلوب الإثارة الدعائية المكثفة التي حاولت الأطراف الكبرى في تلك الأزمات أن تحيط بها تصرفاتها، وفي المناخ الممتلئ بكل عوامل الإثارة الدعائية تضعف مقدرة أطراف الأزمة الرئيسية على التحكم في زمامها، وبالتالي فقد كان هناك باستمرار احتمال اتخاذ قرارات انفعالية لا تعبر بدقة عن تحديات الأزمة كما هي في الحقيقة والواقع.

ج- التركيز على وسيلة التهديد بما يصاحبها من تضييق دائرة الاختيارات المتاحة وتصعب مهمة التفاوض الدبلوماسي، فقد تلازم الأسلوب السابق مع شيوع نغمة التهديد المتبادل بين أطراف الأزمات الدولية، وكانت الفكرة المسيطرة هي أن مثل تلك التهديدات كانت أداة فعالة ومؤثرة من أدوات الردع أو الابتزاز، ولأنها في رأيهم كانت هي وحدها القادرة على نقل الانطباع وتعميقه بأن سياسات كل طرف في مواجهة الأزمة كانت تدار من مركز القوة.

هـ- ضعف دور الأمم المتحدة في مواجهة الأزمات الدولية وتعذر تنفيذ ترتيبات دولية مشتركة لاحتوائها وتطويقها، فقد كان واضحا تماما إبان الحرب البادرة أنه فيما عدا الأزمات الدولية التي وجدت فيها القوتان العظميان نفسيهما بحكم الظروف أو بحم ضغوط الواقع في اتجاه واحد، فإن الأمم المتحدة كادت تفقد كل فعالية لها كوسيط دولي في تلك

الأزمات.. وبالتالي فإن الحلول كانت تتقرر دائما خارج نطاق المنظمة الدولية.

٨- الدبلوماسية الثقافية:

تعد الدبلوماسية نمطا جديدا وسمة حديثة من أنماط الدبلوماسية الدولية.. ساعدت على بروزها وتأكيد أهميتها في العلاقات الدولية المعاصرة عدة عوامل رئيسية مثل:

أ- الثورة التكنولوجية الضخمة في قطاع الاتصال الدولي بكل ما ترتب عليها من انهيار للفواصل المذهبية والجغرافية التي باعدت في الماضي بين الدول والشعوب، وتبلور مستويات جديدة من الإدراك الدولي المتبادل، وانفتاح الشعوب على بعضها بدرجة أعلى من الفهم والتجاوب، وهنا تتجلى قيمة الدبلوماسية الثقافية في ربط دول العالم في إطار القيم والمثل والمبادئ والأخلاقيات الدولية المشتركة[٢٨].

ب- إن تضاؤل احتمالات نشوب مواجهات عسكرية مباشرة بين القوى الكبرى في المجتمع الدولي، حلت مكانها مشكلات ذات طبيعة مختلفة، ومنها المشكلات المتعلقة بالتعاون العلمي والتكنولوجي والتبادل الثقافي والمساعدات الفنية، ومشكلات البيئة الإنسانية، وكلها تدخل ضمن اهتمامات الدبلوماسية الثقافية، كما تعد امتدادا طبيعيا لأهدافها بشكل أو آخر.

وتستخدم الدبلوماسية الثقافية في تحقيق أهدافها عدة أدوات من بينها:

١- تركيز الجهود الدولية في اتجاه إقامة شبكة واسعة من علاقات التعاون الدولي في مختلف المجالات العلمية والثقافية والفنية والتكنولوجية، إذ أنه من خلال هذه الشبكات المتخصصة يمكن تزويد الدول بمختلف المعلومات والحقائق التي تحتاج إليها لدعم عملية التنمية فيها بمختلف أبعادها الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

٢- تصميم إطار عام لسياسات ثقافية جديدة، يمكنها التعبير عن القيم الأساسية التي تدين بها كل المجتمعات الإنسانية الكائنة في عالم اليوم، ومن أمثلة هذه القيم، الإيمان بحقوق الإنسان، ونبذ العدوان، وإدانة الحرب، والاعتقاد في مزايا التعاون الدولي، واحترام سلطات المنظمات الدولية ومبادئ القانون الدولي وأحكامه الخ..

وإذا كان ميثاق الأمم المتحدة قد ركز بقوة على هذا المعنى الهام، وأكدته المنظمة العالمية في مئات بل بآلاف التوصيات الصادرة عنها، مثل الدعوة إلى مكافحة الجوع والتخلف والجهل والأمية الثقافية والمطالبة باحترام حريات الأفراد والشعوب، إلا أنه لا يزال أمام العالم الكثير لكي ينتقل بهذه الدعوات والشعارات الإنسانية الخلابة من دائرة القول إلى الواقع المادي، ومن هنا تبدو أهمية المنظمات الإقليمية والوظيفية والوكالات الدولية الاختيارية في تعميق الاقتناع بهذه القيم، وفي إكسابها مضمونا عمليا محددا. ومن المنظمات التي تعمل على تنفيذ أهداف الدبلوماسية الثقافية (اليونسكو) منظمة التربية والثقافة والعلوم التابعة للأمم المتحدة، والتي تعمل على تقارب الشعوب وحضاراتها

الإنسانية، في إقامة المهرجانات العالمية والتجمعات الثقافية في مختلف مجالاتها ويتمثل دور اليونسكو أيضا في:

أولا: الإسهام في تحقيق الأمن والسلم الدوليين عن طريق تنشيط التعاون بين الدول في المسائل الثقافية والعلمية باعتبار أن ذلك يزيد من الاحترام العالمي لمبادئ العدالة وحقوق الإنسان وحكم القانون.

ثانيا: العمل على تدعيم ونشر الثقافة والعلوم عن طريق تيسير الحصول على التعليم والثقافة، وتنشيط الدراسات العلمية وتوحيد جهود العلماء والفنانين والمعلمين، وتحطيم الحواجز التي تحول دون انتقال الأفكار بحرية.

ثالثا: تقديم المساعدات الفنية للدول في ميادين التربية والثقافة والعلوم، وهي تتلقى لهذا الغرض الاعتمادات من برنامج الأمم المتحدة للتنمية لمعاونتها في تنفيذ برامج المعونة الفنية.

وبهذا الصدد نشير إلى مبادرة مثل هذه المنظمات في اختيار العديد من الفنانين المعروفين لتمثيلهم (سفراء لها) في الدعوة إلى نشر مفاهيم الثقافة والفنون والتعليم، وترجمة أهدافها في توجهاتها المعروفة لخلق مجتمع متطور ومنفتح على الثقافات العالمية، وتلبية احتياجات الدول النامية ومساعدتها على مواكبة الركب السريع في مجال المعلومات وتكنولوجيا الاتصالات والحداثة في مجالات التربية والتعليم والثقافة التقنية.

٩- الدبلوماسية الاقتصادية:

تعد الدبلوماسية الاقتصادية أداة هامة من أدوات التعامل السياسي الدولي.. وتتعدد أدوات الدبلوماسية الاقتصادية في:

١- تطبيق روابط التبادل التجاري في قطاعات استيراد وتصدير السلع والخدمات.

٢- التركيز على سياسات الرسوم والضرائب الجمركية إما كإجراءات وقائية مانعة أو على أساس مبدأ المعاملة بالمثل كما تأخذ الدولة بمبدأ الرسوم التفضيلية التي تعني التمييز في المعاملة الضريبية لمصلحة بعض الدول نظرا لوجود روابط مصلحية أو سياسية خاصة معها.

٣- فرض قيود على التحويلات الخارجية، أو فرض ضرائب على الاستثمارات الأجنبية، أو تقديم بعض الإغراءات و الحوافز لها عن طريق إعفائها من تلك الضرائب، وتسعى الدولة من وراء ذلك إلى اجتذاب رؤوس الأموال والخبرات الأجنبية إليها.

٤- تقديم المنح والقروض لبعض الدول الخارجية بتسهيلات ائتمانية خاصة أو بمعدلات فائدة تقل عن سعر السوق.

٥- التعديل في الشروط التي تحكم انتقالات رأس المال أو حركة التجارة إلى الخارج، سواء بالتقييد أو بالإطلاق، مما يترتب عليه بالتالي التعديل في هيكل العلاقات الاقتصادية الخارجية للدولة.

١٠- الدبلوماسية الشعبية:

تقع أساليب الدبلوماسية الشعبية بين أساليب الاتصال الدولي، ذلك أن الاتصال الدولي يشمل المفاوضات التي يقوم بها الدبلوماسيون. ويعرف البعض الدبلوماسية الشعبية بأنها الطرق التي تستطيع بها الحكومات أو الأفراد والجماعات أن تؤثر بصفة مباشرة أو غير مباشرة على الاتجاهات والآراء

العامة، بحيث يكون لهذا التأثير ثقل ووزن على القرارات التي تتخذها الدولة في المجال الخارجي، فالدبلوماسية الشعبية تركز على مختف أشكال الاتصال واللقاءات، أي التقاء أمة بأمة أو جماعة بجماعة أو فرد من دولة معينة بفرد من دولة أخرى أو صحافة بصحافة أو برامج إذاعية ببرامج إذاعية وهكذا[٣٩].

ويبدو جوهرها أي الدبلوماسية الشعبية تعني الدعاية الدولية، ويمكن أن تكون جزء من العلاقات الاجتماعية بين الشعوب والدول، وتدخل ضمن البرامج الثقافية والإعلامية، وهي أسلوب جديد للعمل السياسي، وهي الهيئة المسؤولة داخل البلد عن التنسيق بين الإعلام الداخلي والإعلام الخارجي. إن الدبلوماسية الشعبية هي علم وفن وابتكار، لكن نجاحها يتوقف على الخطط الموضوعة لتحقيق أهدافها، وعلى كفاءة القائمين بتنفيذ برامجها وعلى الأساليب التي تعالج بواسطتها القضايا المطروحة، إذ يجب الاعتماد على المنهج العلمي والبحث وعلى الاستقراء والاستنباط وحسن انتقاء الأساليب والوسائل ودقة التوقيت، وتعمل الدبلوماسية الشعبية على تكوين المواقف وتقويتها كما تعمل أيضا على التغيير السياسي والاجتماعي والتأثير الثقافي، وتنشط في مواجهة الدعاية المضادة.

ويمكن أن نعرف الدبلوماسية الشعبية بأنها عملية مخاطبة الجماهير بشكل مباشر أو غير مباشر خارج الحدود الإقليمية بواسطة وسائل حضارية جديدة، في مقدمتها الإعلام والمؤتمرات والمنظمات الدولية والمهنية، ورجال العلم والثقافة والدين، بهدف المساهمة في تشكيل الرأي العام الدولي سواء عن طريق الإقناع أو من خلال بعض الأنصار والموالين وتركز الدبلوماسية الشعبية جل اهتمامها على إقناع قادة الرأي أو شريحة محددة من الموظفين

الحكوميين في البلدان الأخرى بميزات فكرة معينة، أو موقف سياسي محدد من أجل التأثير على سلوك وقرارات الدوائر السياسية والقيادية التي يعملون فيها، وعلى الرغم من أن ظهور الدبلوماسية الشعبية على مسرح الأحداث الدولية بشكل ملموس لم يتم إلا في ثمانينات القرن العشرين إلا أن للمسألة جذورا تاريخية، ففي عام ١٨٧٠ وخلال الثورة الأمريكية قام (توماس بين) أحد الأعضاء النشطين في المؤتمر القاري بوضع خطة شجاعة، من أجل لغم القرار البريطاني في ذلك الوقت، والذي كان يطمح إلى استمرار النضال ضد الصحافة الأمريكية، إذ اقترح السفر بصفته الشخصية إلى إنكلترا مخفيا هويته الحقيقية من أجل نشر مقالات في الصحافة البريطانية، ممثلا نفسه بالإنكليزي الذي دار حول الولايات المتحدة الأمريكية، إلا أن اقتراحه رفض من قبل الكونغرس الأمريكي، لكن الفكرة لم تقبر بل نمت وازدهرت وتطورت، وأطلق عليها في وقتنا الحاضر (الدبلوماسية الشعبية). وفي خريف ١٩٨١، عقدت مجلة واشنطن كووترلي ندوة المائدة المستديرة لمناقشة موضوع الدبلوماسية الشعبية، وتحديد الوظائف السياسية للقنوات الرئيسية لهذا النوع الدبلوماسي، وضمت تلك الندوة التي أقيمت في مبنى الكابتول ممثلين عن الكونغرس الأمريكي، ومركز البحوث الاستراتيجية والدولية في جامعة جورج تاون، وإدارة راديو أوروبا الحرة، والحرية ومجلس الأمن القومي، ووكالة الأنباء الأمريكية، والوكالة الأمريكية للسيطرة والتسلح ونزع السلاح، وأعلن كارنس لورد عضو مجلس الدفاع القومي وهو أحد المشتركين في الندوة، أن إدارة الرئيس ريغان -آنذاك- تهتم اهتماما كبيرا بالدبلوماسية الشعبية أكثر مما كانت عليه في الماضي غير البعيد، ويلقى هذا النوع من الدبلوماسية اهتماما

كبيرا في الولايات المتحدة الأمريكية من قبل وزارة الخارجية ويحظى بمراقبة مباشرة من الرئيس الأمريكي شخصيا، كما أن هناك هيئات رسمية متخصصة لمتابعة هذا النوع من النشاط بدرجة عالية من الاهتمام والمركزية و الحداثة، وتمتلك هذه الهيئات أحدث الوسائل التكنيكية، والكوادر والإمكانيات المالية، هدفها الرئيس الفوز بأدمغة وقلوب الناس والتأثير على الوعي الجماهيري في الخارج، وكذلك التأثير على سلوك وقرارات الدوائر السياسية في البلدان التي للولايات المتحدة الأمريكية مصالح فيها.

عموما الدبلوماسية الشعبية تعني في صورتها الشعبية مخاطبة الشعب بقصد الاقتناع ومن ثم التأييد، وتتصل به عن طريق الوسائل الحديثة التي تجعل من المخاطبة والمواجهة هذه أمرا ممكنا، أي أن الدبلوماسية تحولت من دبلوماسية الطبقة الحاكمة إلى دبلوماسية الشعب، بمعنى أن هناك رأيا عاما شعبيا تسعى الدبلوماسية لكسبه وتأييده.

وبعد كل ما تقدم يمكننا أن نوجز خصائص الدبلوماسية الحديثة في مجتمعنا الدولي المعاصر فيما يأتي:

١- ظهور الدبلوماسية العلنية أو المفتوحة، فبعد أن كانت سرية في الحرب العالمية الأولى، ولم تكن تعبأ بالرأي العام إلا أنه بعد انتهائها.. تغير طابع الدبلوماسية بانتقالها إلى طور العلنية (الدبلوماسية المفتوحة) والتي تنادي بإقامة السلم والأمن الدوليين على أسس وطيدة وثابتة.

٢- بروز ظاهرة (دبلوماسية المنظمات الدولية)، فقيام هذه المنظمات (عصبة الأمم ـ الأمم المتحدة) يعبر عن الدور الذي تضطلع به هذه

المنظمات في كافة المسائل السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تكتنف العلاقات الدولية، وتأتي مسألة إصلاح الأمم المتحدة وتوسيع عضوية مجلس الأمن كدليل على الاهتمام الدولي بتفعيل دور هذه المنظمات في السياسة الدولية رغم ضعفها أحيانا في اتخاذ القرارات الدولية، بفعل قوى ضاغطة ومؤثرة في العالم اليوم.

٣- التطور الهائل في الفعل الاتصالي الدولي، انتقلت الدبلوماسية من مرحلة الدبلوماسية غير المباشرة إلى دبلوماسية مباشرة، فالسفير على اتصال دائم بوزارة الخارجية يتسلم التعليمات في لحظات، وينفذها حرفيا مما أدى إلى أن تكون إدارة المفاوضات والنشاطات الدبلوماسية الأخرى (مركزية).

٤- التغير الجوهري في الوظيفة الدبلوماسية، فبعد أن كان الشأن السياسي هو الغالب على اهتمام الدبلوماسية، انصرفت إلى البحث في الشؤون الاقتصادية والتجارية والاجتماعية والثقافية، وأصبحت الدبلوماسية شعبية لا تتجاهل الشعب ورأيه في اتخاذ القرارات، إذ تمارس الدبلوماسية الشعبية عملية الإقناع والتأييد في أي قرار تتخذه في أي موقف أو حدث يجري في المجتمع الدولي المعاصر.

ثالثا: أدوات العمل الدبلوماسي

عرفنا بأن الدبلوماسية هي النشاط الذي يمارسه رؤساء الدول والحكومات، وإدارة الشؤون الخارجية والوفود والبعثات الخاصة والممثليات الدبلوماسية، لتحقيق أهداف وشؤون السياسة الخارجية للدولة بالطرق السلمية،

وتحقيق ذلك عن طريق المباحثات والمراسلات والتمثيل اليومي للدولة في الخارج.. وفق قواعد القانون الدولي، وتتولد القواعد العرفية للقانون الدولي مما جرى عليه العمل في العلاقات بين الدول وتصرفاتها في السياسة الخارجية، ومن الطبيعي أن تتكون هذه القواعد في غضون النشاط الدبلوماسي طالما كانت الدبلوماسية تشغل مركزا رئيسا في ميدان السياسة الخارجية، فإقرار الدول للعمل القائم بينها باعتباره قاعدة قانونية دولية يتم بوجه عام بطرق تواتر الاستعمال في الأعمال خاصة بالسياسة الخارجية ولاسيما الدبلوماسية[٣٠].

لما كانت الدبلوماسية تعني تحقيق أهداف وشؤون السياسة الخارجية للدولة بالطرق السلمية .. فإن القصد من الطرق السلمية يحدده مفهومان:

أولا: تأمين الاتصالات بين الدولتين عن طريق وزارتي الخارجية وسفارتيهما المعتمدتين.

ثانيا: حل المنازعات بين الدول بواسطة المباحثات والمفاوضات والمساعي الحميدة والوساطة الدولية، ولجان التحقيق ولجان التدقيق أو هيئات التحكيم، أو باللجوء إلى مجلس الأمن أو القضاء الدولي وبهذا المفهوم تتعارض مع الوسائل القسرية أي القتال المباشر[٣١].

إن العمل الدبلوماسي يعمل في تنفيذ السياسة الخارجية للدولة وفق مسؤوليات عديدة أهمها.

أ- حماية مصالح الدولة والدفاع عن حقوقها في الخارج.

ب- تمثيل الدولة وعرض وجهات نظرها وشرح اتجاهاتها للدول الأجنبية.

ج- متابعة كل ماله صلة بوضع الدولة في الخارج وإعداد التقارير عن ذلك.

د- التفاوض.

ولكي تؤدي الدبلوماسية عملها وتنجح في تحقيق مسؤولياتها لابد أن تستند إلى قواعد وأحكام وأصول تنظم عملها.. خاصة إذا ما علمنا أن للدول مصالح وأهدافا مختلفة مما يجعلها عرضة للتصادم مع بعضها. ومن هنا يأتي القانون الدبلوماسي كقواعد منظمة للدبلوماسية والعمل الدبلوماسي، والتي تشمل تنظيم الاتصال ما بين الدول، وقواعد وأساليب التشاور والتفاوض فيما بينهما، والقواعد المتعلقة بالمبعوثين والممثلين الدبلوماسيين، بما فيها درجاتهم و حصاناتهم وامتيازاتهم[٣٢].

- حق التمثيل الدبلوماسي:

لمباشرة التمثيل الدبلوماسي وجهان: وجه إيجابي يتحصل في المقدرة على إيفاد مبعوثين يمثلون الدولة لدى الدولة الأخرى، ووجه سلبي يتحصل في قدرة الدولة على قبول مبعوثي الدول الأخرى لديها.

ويثبت للدولة الحق في ممارسة التمثيل الدبلوماسي لكل من وجهيه المذكورين كنتيجة لما تتمتع به من سيادة واستعمالها لحقها في هذا هو مظهر من مظاهر سيادتها، وتأكيد لوجودها القانوني، ولاستقلالها السياسي في مواجهة الدول الأخرى، وعلى هذا فالدول تامة السيادة تمتلك إيفاد وقبول

المبعوثين الدبلوماسيين دون قيد أو شرط، وفي الحدود التي جرى عليها العرف الدولي في هذا الشأن. حيث تنص المادة الثانية من اتفاقية فينا للعلاقات الدبلوماسية على أن (إقامة العلاقات الدبلوماسية بين الدول وإيفاد بعثات دبلوماسية دائمة يتم بتراضي الطرفين). ولكي يتم بدأ العمل الدبلوماسي وفق القانون والأعراف الدولية وأحقية الدولة في تمثيل مبعوثيها. لابد لنا من تحديد هيكلية الجهاز الدبلوماسي الذي ينفذ تلك السياسة الخارجية للدولة في:

- الجهاز الدبلوماسي:

يقوم الجهاز الدبلوماسي الذي يبدأ من رئيس الدولة الذي يشكل قمة هذا الجهاز ويمتد إلى أدنى مراتب المبعوثين الدبلوماسيين ومعاونيهم بالعمل على رسم السياسة الخارجية للبلاد والإشراف عليها وإدارتها، حيث إنه يمتلك سلطة كبيرة في تقرير الشؤون السياسية الخارجية، ولهذا فإن مسئوليته كبيرة تجاه البلاد، وفي حالات كثيرة يرتبط أمن وسلامة الدول ومصير الشعوب بالسياسة التي يمارسها الجهاز الدبلوماسي. والدبلوماسيون الذين يصنعون السياسة الخارجية للبلاد ويتلون إدارتها يوجدون في عاصمة بلادهم وفي خارجها بعواصم بلدان العالم الأخرى، لذا فهم ينقسمون إلى قسمين: جهاز الدبلوماسية في العاصمة، وجهاز الدبلوماسية خارج البلاد[٣٣].

أولا: جهاز الدبلوماسية في العاصمة:

إن هذا الجهاز مختص بشكل أساسي بصناعة السياسة الخارجية والإشراف عليها وتوجيهها وإدارتها. فهو صاحب السلطة في التقدير. ويشمل هذا الجهاز رئيس الدولة ووزير الخارجية.

أ- رئيس الدولة:

هو الدبلوماسي الأول لدولته فهو ممثلها الأعلى، والمعبر عن مصلحتها والأمين على سلامتها ورقيها، والمتبع في كل دولة قانونها الذي يجوز لرئيس الدولة ممارسة أدواره، وخاصة في مجال العلاقات الدولية وما يتطلب الرجوع إلى سلطات الدولة بشأن بعض التصرفات الأخرى. ومن الأمور المتعارف عليها هي أن رئيس الدولة عند قيامه بمهمات العلاقات الخارجية مع دول العالم، فإنه يقوم بذلك عن طريق وزير الخارجية والسلك الدبلوماسي الذي يمثل الدولة في الخارج، أما قيام الرئيس بنفسه بعمل يتعلق بالعلاقات الدولية فهذا يحدث في حالات خاصة تتعلق بأمور هامة جدا تدعو إلى معالجتها بشكل مباشر عن طريق رؤساء الدول ذات العلاقة بهذه الأمور.

إن منصب رئيس الدولة يكتسب أهمية أكثر في ميدان العلاقات الدولية في الدول التي تطبق نظام الحكم الرئاسي، حيث يعتبر رئيس الدولة السلطة المختصة بتكوين إرادة الدولة في ميدان العلاقات الدولية، وبإعلان هذه الإرادة بنفسه أو بمن ينوب عنه. أما في الأنظمة البرلمانية فيقتصر دور رئيس الدولة على إعلان إرادة الدولة ويتم تكوينها بمعرفة رئيس الحكومة والأجهزة المختصة. وفي كافة البلاد الديمقراطية تشترك السلطات التشريعية مع رئيس الحكومة في إقرار بعض التصرفات في ميدان العلاقات الدولية، كالموافقة على المعاهدات وإعلان الحرب[٣٤]. لذا فإن دور رئيس الدولة في النظام الرئاسي يبرز بشكل كبير مما يجعله مهيمنا على جميع الوسائل المتعلقة بالسياسة الخارجية، وهذا مما يزيد من تأثير الرئيس على علاقات دولته بدول العالم وفقا لمواقفه الشخصية، وبالتالي قد يعرض بلاده لأضرار كبيرة في

مجال العلاقات الدولية لذلك يقال: بأن وضع مصير البلاد في السياسة الخارجية بيد شخص واحد هو الرئيس، أمر محفوف بالمخاطر، إذ يخشى أن تتحكم العواطف في الرئيس فيطلق التصريحات ويسن سننا في السياسة الخارجية تضر في النهاية ببلاده ضررا بليغا[٣٥].

إن توفير الأجواء الديمقراطية وإعطاء الجماهير دورها في رسم سياسة البلاد من خلال الممارسات الجماهيرية، هي التي تحول دون تحول الرئيس إلى ديكتاتور أو متصرف لوحده في رسم السياسة الخارجية.

ب- وزير الخارجية:

تميزت الدولة الحديثة بأن علاقاتها الخارجية تدار من قبل وزير الخارجية، بحيث أصبح المشرف والمنسق والموجه لعلاقة دولته بصورة دائمة.

إن مهمة وزير الخارجية برزت بشكل خاص بعد الحرب العالمية الأولى حيث كان إنشاء عصبة الأمم فرصة ملائمة لالتقاء العدد الكبير من وزراء خارجية دول العالم في جنيف مقر اجتماع العصبة، مما هيأ لهم المجال للتباحث بشكل مباشر في الشؤون المتعلقة بعلاقات دولهم، وبعد تأسيس منظمة الأمم المتحدة، أصبح دور وزراء الخارجية أكثر فاعلية، خاصة بعد أن هيأت الجمعية العامة التقاء مباشرا لعدد كبير من وزراء الخارجية في كل عام للتباحث في المسائل المتعلقة بالعلاقات بين دولهم[٣٦].

إن دور وزير الخارجية في الدول البرلمانية، من الناحية السياسية يختلف من حيث طبيعة دوره عن الدول ذات الأنظمة الرئاسية، ففي الأولى يشترك

البرلمان في إدارة السياسة الخارجية للدولة، لذا فإن وزير الخارجية يكون مسؤولا عن تصرفاته المتعلقة بالعلاقات الدولية أمام البرلمان، أما في الثانية فوزير الخارجية يكون مسؤولا أمام رئيس الدولة عن جميع تصرفاته في مجال السياسة الخارجية، كما يتطلب أن يلتزم بشكل كبير بتنفيذ سياسة رئيس الدولة(٣٧).

إن مهام وزير الخارجية ومسؤولياته تتجلى في:

أ- الإشراف على سير المفاوضات وتوجيهها الوجهة التي لا تتعارض وسياسة بلاده الخارجية، والوقوف بدقة على الوثائق الرسمية التي تقدمها دولته في سبيل الوصول إلى النتائج المتوخاة.

ب- العمل على حسن تنفيذ المعاهدات والاتفاقات التي تعقدها دولته مع الدول الأخرى.

ج- استقبال الممثلين الدبلوماسيين المعتمدين لدى دولته واستلام نسخ اعتمادهم، وحضوره برفقة رئيس الدولة عند تقديمهم أوراق اعتمادهم، ومنحه البراءة للقناصل.

د- العمل الدؤوب على حماية حقوق ومصالح دولته في الخارج.

هـ- اقتراح تعيين الممثلين السياسيين والاقتصاديين، والإشراف على كتب اعتمادهم وتفويضهم، وتقصي أمر تمتعهم بامتيازاتهم وحصاناتهم.

و- تمثيل الدولة في المؤتمرات والهيئات والمنظمات الدولية.

ز- الكشف عن فحوى ومضمون السياسة الخارجية لدولته أمام الرأي العام الداخلي والخارجي، وتوضيح كل ما يوجه إليه من أسئلة

واستفسارات في المجلس الوطني أو البرلمان، ولجنة الشؤون الخارجية المنبثقة عنه[٣٨].

ويضاف إلى مهام وزير الخارجية أن يكون الصوت المعبر والرأي الفاعل لسياسة بلاده والمخول بالتصريح السياسي لدى الإذاعة والتلفزيون والفضائيات والصحافة الدولية لشرح بعض المواقف والقضايا الداخلية أو شرح الموقف السياسي لدولته بشأن قضايا خارجية.

ثانيا: الجهاز الدبلوماسي خارج البلاد:

يتكون هذا الجهاز من الممثلين الدبلوماسيين الذين يمثلون الدولة عادة في العلاقات الدولية ويطلق عليه السلك الدبلوماسي **Diplomatic Corps** وهو عبارة عن هيئة رسمية مكلفة بتمثيل الدولة الموفدة لدى الدولة المستقبلة، وحماية مصالحها ومصالح رعاياها، وإجراء الاتصالات والمباحثات والمفاوضات باسمها مع كبار المسؤولين في الدولة المستقبلة، والسهر على حسن تنفيذ الاتفاقات المعقودة بين الطرفين، ومتابعة الأحداث التي تجري في الدولة، وتقديم تقرير دوري عنها إلى الدولة الموفدة، وتوثيق أواصر الصداقة وتنمية العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية بين البلدين.

ويترأس هذه الهيئة التي يطلق عليها بعثة دبلوماسية سفير أو وزير مفوض أو قائم بالأعمال أصالة أو نيابة، وتضم عددا من المستشارين، والسكرتيرين، والملحقين الدبلوماسيين كالملحق العسكري والتجاري والثقافي والصحفي، فضلا عن الموظفين الإداريين.

إذن فإن قوام البعثة الدبلوماسية يشمل:

أ- رئيس البعثة: وهو الشخص الذي تعهد إليه الدولة بتمثيلها وبرئاسة بعثتها.

ب- أعضاء البعثة: وهم الموظفون الذين تعينهم الدولة الموفدة للعمل مع رئـيس البعثـة وهم يتولون ثلاث مسؤوليات:

المسـؤولية الأولى: يتولاهـا الموظفـون الدبلوماسـيون، كالمستشـارين والسـكرتيرين، والملحقـين الفنيين.

المسؤولية الثانية: يتولاها الإداريون والفنيون كأمناء المحفوظات ومديري الحسابات والكتبة.

المسؤولية الثالثة: يتولاها المستخدمون الذين يقومون بأعمال الخدمة والصـيانة والحراسـة في دار البعثة كالسعاة والحراس.

- مهام البعثة الدبلوماسية:

لما كانت البعثة الدبلوماسية هي أداة الاتصال بين الدولة الموفدة لها والدولـة الموفـدة إليهـا.. فإن أهـم مهـام البعثـة الدبلوماسـية كـما نصـت عليهـا المـادة الثالثـة مـن اتفاقيـة فينـا للعلاقـات الدبلوماسية لعام ١٩٦١ هي:

١- التمثيل.

٢- المفاوضة.

٣- الملاحظة.

٤- الحماية.

١- التمثيل **Representation:**[٣٩]

وهي تلك المهمة التي ينوب فيها الدبلوماسي عن دولته وحكومته لدى الدولة المعتمد لديها وعملية التمثيل هذه تختص في تبليغ المعلومات ونقل وجهات النظر إلى حكومة الدولة المعتمد لديها الممثل، كما تختص بنقل المواقف الرسمية وغير الرسمية. وثمة ناحية أخرى يتناولها التمثيل لدى الدولة المعتمد لديها ألا وهي مشاركة المبعوث الدبلوماسي في الأعياد الوطنية وحضور الاحتفالات الرسمية وحفلات الاستقبال.

٢- المفاوضة **Negotiation:**

والمفاوضة هي إحدى الواجبات الأساسية الملقاة على عاتق المبعوث الدبلوماسي، ولا تقتصر هذه على ناحية واحدة، وإنما تشمل علاقات الدولة برمتها مع الدول الأخرى، فقد تكون هذه المفاوضات آخذة شكل شكوى، أو قد تتركز على طلب واحد أو عدة طلبات، أو أنها قد تكون ردا، أو دفاعا عما ينسب إلى حكومة المبعوث الدبلوماسي في مفاوضات مستمرة مع الدولة المعتمد لديها بغية عقد معاهدة أو اتفاق بين الدولتين، والهدف الأسمى للمفاوضة هو إيجاد المبعوث علاقات ودية بين دولته والدول الأخرى والعمل على تمتينها، وكل ذلك من أجل الحصول على الاستقرار والسلام في العلاقات بين الدولتين. وقد عبر شارل دي مارتن **Charles Demrtin** عن أهمية هذا الواجب الأسمى في كتابه (المرشد في التعامل الدبلوماسي) بقوله: (على الوزير العمومي أن لا تغيب عنه الحقيقة، وهي أن واجبه في جميع الأوقات هو العمل كوزير للسلام، وأن يكون هدفه الدائم تركيز جهوده على إيجاد

علاقة ودية.. فإذا حصل شيء من عدم الوفاق بين الحكومتين فعليه بذل كل جهوده لتبديد الغيوم والقضاء على كل تعصب، وأن يزكي حكومته من الاتهامات التي توجه ضدها وتقديم شكواها بأفضل الطرق المعتدلة).

أما كامبون **Cambon** الخبير والدبلوماسي المعروف يحدد بعض صفات السفير في أسلوب المفاوضة: (أن يحوز على قدر كبير من النفوذ ذي السلطة الأدبية والشخصية النفاذة) ولا شك فإن تسلح الممثل الدبلوماسي بالمعرفة وتضلعه بتفاصيل تاريخ العلاقات السياسية بين دولته والدولة المعتمد لديها بالإضافة إلى معرفته للتاريخ السياسي هي من مقومات السلطة الأدبية والشخصية النفاذة[٤١].

ويمكن تحديد أهم المساعي التي يقوم بها رئيس البعثة الدبلوماسية (أو السفير) للأغراض المختلفة بما يلي:

١- إبلاغ الحكومة المستقبلة بعض المعلومات أو الحصول منها على مثل هذه المعلومات.

٢- التقدم باقتراحات تتعلق بتنفيذ إجراءات لمصلحة البلدان كعقد اتفاق أو معاهدة.

٣- التقدم ببعض المطالب إلى الحكومة المستقبلة، كالحصول على مساعدة خاصة أو تسهيل الإجراءات النافذة بين البلدين في بعض القضايا.

٤- لفت نظر الحكومة المستقبلة إلى وجوب التوقف عن متابعة الإجراءات الاستثنائية سواء أكانت مقرونة بالاحتجاج أو التهديد أم لا.

٣- الملاحظة:

ويعتبر واجب الملاحظة من واجبات المبعوث الدقيقة جدا، وتشمل الملاحظة كل المواضيع التي تجلب انتباه المبعوث وذات العلاقة أو التأثير على مصالح دولته. وتأتي المواضيع السياسية في مقدمة السلسلة لهذه الواجبات، وملاحظة الحالة السياسية تتطلب الانتباه بدقة لكل الأمور والأشخاص البارزين الذين هم في الحكم وخارجه، والتغيرات والتطورات والانتخابات السياسية. ولكي يحصل على مصادر هذه المعلومات يجب أن تراعى الدقة وأمانة الحصول على المعلومات أو (الاستعلام) بكل الوسائل المشروعة، ومن ثم جمعها وتصنيفها وتهيئة التقارير اللازمة للمهم من هذه الأحداث، ولا تقتصر الملاحظة على تقصي- المواضيع السياسية فحسب، وإنما يدخل ضمن اهتمام المبعوث الأحوال الاقتصادية، بما في ذلك أسس الاقتصاد الوطني للبلد، وموارد الدولة الطبيعة، إضافة إلى تتبع النواحي العسكرية والأحوال الاجتماعية السائدة في الدولة المستقبلة .. ويرسل المبعوث الدبلوماسي تقاريره غالبا بالبريد الدبلوماسي الاعتيادي الدوري، أو عن طريق حملها من قبل موظفين تابعين للبعثة الدبلوماسية، يطلق عليهم حاملو (الحقيبة الدبلوماسية)الذين يتمتعون بالحماية الدبلوماسية.

٤- الحماية:

يقوم المبعوث الدبلوماسي بحماية الرعايا التابعين لدولته ومصالح وحقوق هؤلاء الرعايا الذين يقيمون في دولة أجنبية، ويمارس المبعوث جنبا إلى جنب

مع القنصل الذي يعمل في معيته حق حماية المواطنين الـذين يحملـون جنسـية الدولـة التـي يمثلها. وقد تشترط بعض الدول أن يسجل الرعايا المقيمـون في دولـة أجنبيـة حـق التمتـع بالحمايـة الدبلوماسية من قبل دولتهم، وتمتد الحماية أيضا إلى أشخاص من غير رعايـا الدولـة.. ويحـدث مثـل هذا حين تقوم حرب بين دولتين وتقطع العلاقات الدبلوماسية على إثرها، وحينئذ يوكـل أمـر حمايـة الرعايا إلى دول أجنبية محايدة، وتقدم الحماية الدبلوماسية إلى الرعايا التابعين إلى دولـة محميـة أي أن الدولة الحامية تدير شؤون المواطنين الذين ينسبون إلى الدولة المحمية.

باختصار يمكن أن نوجز مهام البعثة الدبلوماسية فيما يلي:

١- تمثيل الدولة الموفدة للبعثة في الدولة المعتمدة لديها.

٢- التفاوض مع الدولة المضيفة نيابة عن الدولة التي تتبعها في كل مـا يهمهـا، والعمـل عـلى تقريب وجهات نظر الدولتين في الأمور والقضايا المشتركة.

٣- تتبع سير الأحداث ومجريات الأمـور في الدولـة المضـيفة، ونقـل صـورة موضـوعية أمينـة للدولة التي تتبعها البعثة، وذلك فيما يهمها أن تكون على علم بـه، ولكـن بشرـط أن تحصـل البعثة الدبلوماسية على مـا تريـد الحصـول عليـه مـن أخبـار ومعلومـات بـالطرق المشرـوعة والوسائل الشرـيفة، ودون اسـتخدام الأسـاليب غـير الأخلاقيـة، كالتجسـس، ورشـوة المـوظفين وتجنيد العملاء .. الخ.

٤- العمل على تحسين الصلات، وتدعيم الروابط، وتوطيد العلاقات، سواء أكانت هذه العلاقات اقتصادية أم ثقافية أم سياسية أم علمية بين البلدين.

٥- تقوم البعثة الدبلوماسية إلى جانب ما تقدم بما تكلفها به القوانين واللوائح الداخلية لدولتها من أعمال إدارية خاصة برعاياها في الدولة الموفدة إليها كتسجيل المواليد والوفيات وعمل عقد الزواج والتأشير على جوازات السفر وما شابه ذلك. والمتبع أن يعهد بهذه الأعمال للقناصل وتحت إشراف رئيس البعثة الدبلوماسية.

أما فيما يتعلق بحقوق وواجبات المبعوث الدبلوماسي، وما يتمتع به من مزايا خاصة وحصانات لا يتمتع بها المواطن العادي فهي كالتالي:

الواجبات :

١- على المبعوث الدبلوماسي أن يراعي كرامة الدولة التي استضافته وقبلته ممثلا لدولته لديها، وأن يلتزم التزاما تاما بمشروعية كل ما يصدر عنه من أقوال وأفعال.

٢- على المبعوث الدبلوماسي أن يحترم دستور الدولة التي تستضيفه ونظام الحكم فيها، وأن يمتنع عن إتيان أي تصرف ينطوي على امتهان للنظم السائدة.

٣- أن لا يتدخل إطلاقا في أي شأن داخلي يخص الدولة التي تستضيفه أو أي سلطة من سلطاتها.

٤- ألا يقدم على إثارة الاضطرابات والقلاقل لأي غرض كان، أو يساهم في أي حركة مناهضة للحكومة أو تشجع بأي صورة على انقلاب ضدها، أو يشترك في حملات سياسية ضد تصرفات الحكومة القائمة، أو ينتقد هذه التصرفات، ويجب عليه بصفة عامة أن يتجنب تجنبا تاما كل تدخل مباشر أو غير مباشر في الخلافات السياسية الداخلية.

٥- وكذلك يتعين على المبعوث الدبلوماسي ألا يتصرف على وجه يمكن أن يصدم أو يجرح شعور الشعب الذي يستضيفه أو يمس عقائده، ويتعين عليه أن يحترم التقاليد والأديان المتبعة، حتى ولو كانت مخالفة لتلك التي يدين بها هو أو تدين بها دولته، وعليه أن يراعي في سلوكه وتصرفاته ما تقتضيه أصول المجاملة حتى ولو كان ذلك متعارضا مع مشاعره الشخصية.

٦- يجب على المبعوث الدبلوماسي أن يعمل على معالجة كافة المسائل المكلف بها من قبل دولته مع وزارة خارجية الدولة المضيفة، ولا يجوز إطلاقا استخدام مقر البعثة الدبلوماسية أو أي مكان آخر ملحق بها أو تابع لها بشكل يتناف مع مهمتها التي بينتها نصوص الاتفاقات الخاصة المعمول بها بين الدولتين.

الحصانة الدبلوماسية:

اتسعت قوانين قواعد التمثيل الدبلوماسي لتشمل ما يتمتع به الدبلوماسيون من مزايا وحصانات. ويحدثنا (بيتري بان) في معرض دراسته لنظرية امتداد

الإقليم وفي الحصانة الدبلوماسية (حرمة المبعوث الدبلوماسي ليس مجرد الحماية العادية التي تمنحها كل دولة لأي شخص يعيش على أرضها، وإنما هي الحق في الأمان المطلق الكامل، وفي الحرية التي لا قيد عليها من جواز المساس بشخصه في كل الظروف). وجاء في المادة الأولى من اللائحة التي أقرها مجمع القانون الدولي في اجتماع أكسفورد (١٨٩٥) ما يلي:

(للمبعوثين الدبلوماسيين حرمة مصونة). كما جاء في المادة الثالثة من ذات اللائحة: (على الحكومة المعنية أن تمنع من أن يقع على أعضاء البعثة الدبلوماسية أي امتهان أو إهانة أو عنف، وأن تعطي المثل في الاحترام الواجب لهم، وأن تحميهم من أي اعتداء من هذا القبيل قد يقع عليهم من سكان البلاد).

أي أن الحصانة الدبلوماسية عموما تتضمن:

١- اعتبار الحماية الشخصية للمبعوث الدبلوماسي قانوني على الدولة المضيفة، وهي لا تقتصر على رئيس البعثة فحسب وإنما تشمل جميع الموظفين والدبلوماسيين الذين يعملون معه في البعثة الدبلوماسية لدولته.

٢- الحصانة القضائية: وتشمل حصانات الدبلوماسيين القضائية الإعفاء من القضاء الجنائي والإعفاء من القضاء المدني والإعفاء من الإدلاء بالشهادة أمام المحاكم.

إن القانون الدبلوماسي لا يقتصر على ما يتمتع به المبعوثون الدبلوماسيون من مزايا وحصانات، بل امتدت رعاية القانون وحمايته إلى مقر البعثة الدبلوماسية ذاته، وإلى ممتلكاتها ووثائقها على الوجه التالي:

المادة(٢) فقرة(٣) من اتفاقية فينا على سبيل المثال تنص على: (الأماكن الخاصة بالبعثة الدبلوماسية وأثاثها والأشياء الأخرى التي توجد بها، كذا وسائل المواصلات التابعة لها لا يمكن أن تكون موضع أي إجراء من إجراءات التفتيش أو الاستيلاء أو الحجز التنفيذي) كما أن (لمحفوظات ووثائق البعثة الدبلوماسية حرمة مصونة في كل الأوقات في أي مكان توجد فيه).

مصادر الفصل الرابع

١- القاموس السياسي، إصدار المطبوعات السياسية، موسكو ١٩٨٧، ص١٢٣.

٢- ج.أ. تونكن، المبسوط في الدبلوماسية، دائرة المعارف السوفيتية، ص٤٦٥.

3- Douglas Busk. The craft of Diplomacy, London, 1967.

4- Harold Nicolson, Diplomacy, 3rd ed, London Oxford, University, Press, 1963. P3.

٥- علي صادق أبو هيف، القانون الدبلوماسي، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٧، ص ١١-١٢.

6- Sir Ernest Satow, The Diplomatic Practice, London, 1957, P4.

7- Charles Colvo, Dictionniree De Dratint Public & Prive Paris, 1885, P250.

٨- محمد شمس الدين مشعل، المراسم وحصاد السنين، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة ١٩٩٥، ص١٣.

٩- محسن الشيشكلي، الوسيط في القانون الدولي العام، الجامعة الليبية ١٩٧٣، ص٣١٠.

١٠- أنظر كتاب الدبلوماسية لمؤلفه هارولد نيكسون، مصدر عربه الزقزوقي، ص٦٤.

11- James Macamy, Conduct The new Diplomacy, New York, Harper and Raw, 1964, P.7.

12- C. Roetter. The Diplomatic Art, London, Sig. wick, 1965, P.11.

١٣- حيدر بدوي صادق، مستقبل الدبلوماسية في ظل الواقع الإعلامي والاتصالي الحديث، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، العدد (٥) أبو ظبي ١٩٩٦، ص١٣.

١٤- عدنان البكري، العلاقات الدبلوماسية والقنصلية المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨٦، ص٢٤.

١٥- سهيل الفتلاوي، الدبلوماسية عند العرب، دار القادسية للنشر، بغداد ١٩٨٠، ص٢٩ وما بعدها.

١٦- أنظر كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية أمين فارس ومنير البعلبكي، ط٥، دار العلم الملايين، بيروت ١٩٦٨، ص٥٥.

١٧- عدنان البكري، العلاقات الدبلوماسية والقنصلية، مصدر سابق، ص٢٤.

١٨- ابن الغراء، رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد، ص٢٨.

١٩- أبو يوسف (الخراج) ص١٨٨-١٨٩.

٢٠- أنظر الإمام محمد بن حسن الشيباني في كتابه (شرح السرخسي على السير الكبير) جزء ٤ ص٦٦-٦٧.

٢١- يوسف الحسن، نحو دبلوماسية عربية معاصرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٩٤، ص٧٢.

22- Wilson, International Law, P. 16.

23- James Macamy. Conduct of the new diplomacy, New York, Harper and Raw, 1964, P. 7.

24- News Week, Culfwar Commemorative Edition, Spring, Summar 1991. P. 84.

٢٥- اعتمدنا الدكتور إسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية، المكتبة الأكاديمية، القاهرة ١٩٩١، ص٣٩٣ وما بعدها.

26- W.W.Kulski, International Politician Revolutionary Age, OP, Cit PP 660-668.

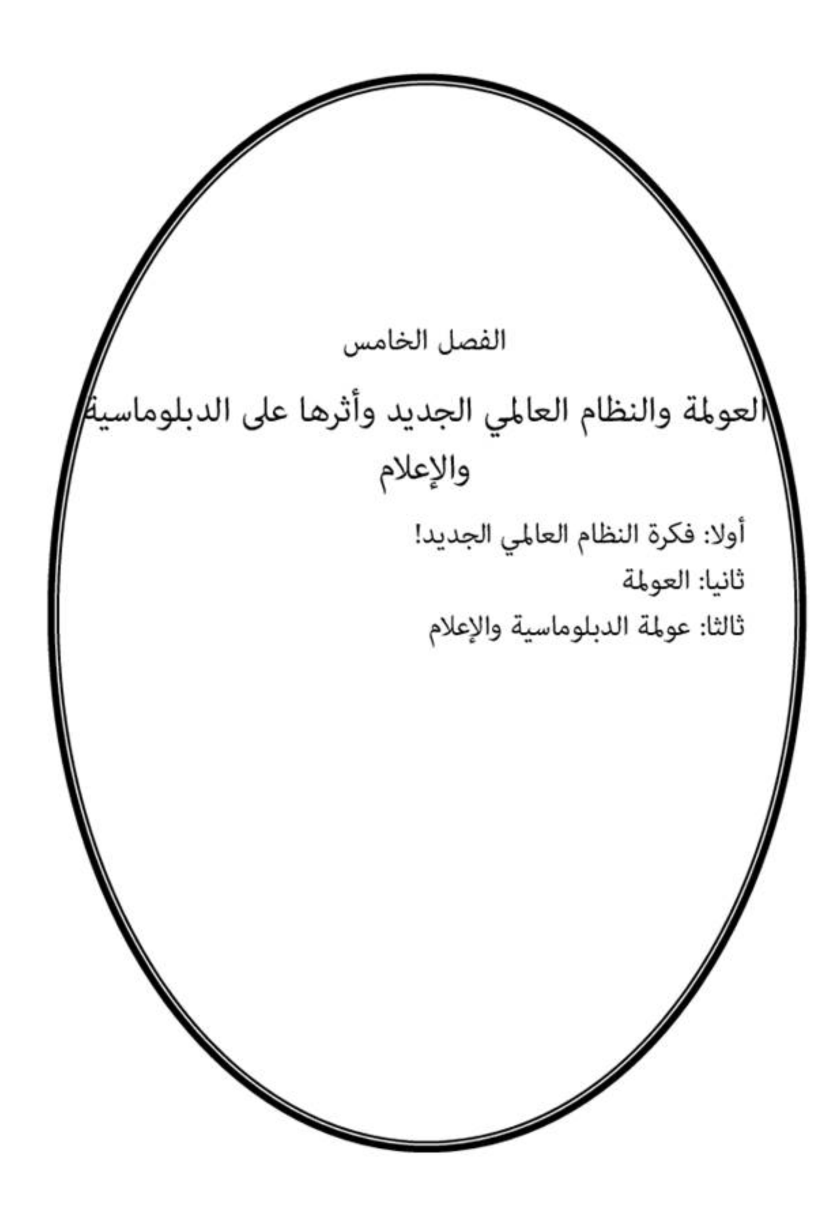
٢٧- يمكن الرجوع إلى مقال داج همر شولد (الدبلوماسية الوقائية) في:George Lanyicled, Crisis and continuity in world politics, Op, Cit, PP. 434-437.

28- Soed Jatmoko and Kenneth Thomspon, Cultural Dilomacy, Rosenau, World Polirics, OP. Cit PP. 404-412.

29- Hoffman Aled, International Communication and New Diplomacy, P. 3.

٣٠- ج. أ. تونكين (القانون الدولي العام) مرجع سابق ، ص٢١٢.

٣١- سموحي فوق العادة، معجم الدبلوماسية والشؤون الدولية،مكتبة لبنان - بيروت ١٩٨٦، ص١٢٩.
٣٢- د. علي صادق أبو هيف، القانون الدبلوماسي، مصدر سابق، ص٢١.
٣٣- اعتمدنا الدكتور عدنان طه مهدي، العلاقات الدولية المعاصرة، منشورات الجامعة المفتوحة، الجمهورية العربية الليبية الشعبية العظمى، ص٩٦-٩٧.
٣٤- د. محمد حافظ غانم، الوجيز في القانون الدولي العام، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٧٩، ص٣٧٢.
٣٥- د. الشافعي محمد بشير ، القانون الدولي العام في السلم والحرب، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٧٩، ص٥٠٥.
٣٦- الشافعي ، المصدر السبق، ص٥١٤.
٣٧- د. محمد حافظ غانم، مصدر سابق ذكره، ص٣٧٥.
٣٨- د. فاضل زكي محمد، الدبلوماسية في العالم متغير، دار الحكمة بغداد ١٩٩٢، ص٢٠٢.
٣٩- د. علي صادق أبو هيف، القانون الدبلوماسي، ص١٠٠.
٤٠- د. فاضل زكي مصدر سابق، ص٣٢٥.
٤١- أنظر في هذا العدد Stranz-Hupe, International Relations.



الفصل الخامس

العولمة والنظام العالمي الجديد وأثرها على الدبلوماسية والإعلام

أولا: فكرة النظام العالمي الجديد!

ثانيا: العولمة

ثالثا: عولمة الدبلوماسية والإعلام

العولمة والنظام العالمي الجديد

وأثرها على الدبلوماسية والإعلام

أولا: فكرة النظام العالمي الجديد!

اختلف العديد من المختصين في حديثهم عن (النظام العالمي الجديد)، واعتبر البعض أن ليس هناك نظام عالمي، بل فوضى عالمية جديدة، النظام العالمي الجديد يتحدث عنه وكأنه قائم مع أنه عمليا ليس هناك شيء واحد قائما حاليا، هناك روما وليس هناك سوى وسيلة واحدة للتعامل معها، ألا وهي خدمتها فهل هذا مصير العالم؟ وهل هذا مستقبل الإنسانية؟ الجواب .. إرادة الإنسان في العالم الثالث، إرادة الإنسان الأوروبي، حقوق الشعوب، وحريات الشعوب، وتحرك العالم الثالث، وتحرك العالم العربي، وتحرك أوروبا الموغلة في الحضارة الضاربة بجذورها في المسألة الإنسانية، هذا التحرك هو الذي سيعدل مسار النظام العالمي ويجعله نظاما عالميا، وليس نظاما أمريكيا يشمل العالم، هناك فرق بين أن يكون هناك نظام عالمي لأمريكا فيه دور ولكل العالم فيه دور وبين أن يكون نظاما أمريكيا يغطي العالم[1].

وكثر الحديث عن النظام العالمي الجديد عند انتهاء الحرب الباردة وتفسير نهاية فترة القطبية الثنائية، التي كانت تتقاسم العالم، يحف بها أقطاب خمسة أصغر حجما وتأثيرا هم: الصين وفرنسا وبريطانيا واليابان وألمانيا.. إذ مع سقوط جدار برلين عام ١٩٨٩ شاعت التفسيرات المتنوعة والمتناقضة حول طبيعة النظام العالمي الذي سيسود بعد انتهاء الحرب الباردة، وبذلك وخلال

السنوات الأخيرة قد تم الانتقال من التفسيرات التي كانت عن نظام متعدد الأقطاب، ويعطي الأولوية لتفوق العامل الاستراتيجي إلى التفسيرات التي تعطي الأولوية للعامل الاقتصادي ، ومن ثم وبشكل مفاجئ بعد نشوب حرب الخليج بدأ الحديث عن نظام القطب الواحد بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، ومن ثم التعويض عن الضعف الاقتصادي بقوة عسكرية لا تضاهى. والملاحظ أنه مع سقوط الأنظمة في أوروبا الشرقية وتحديدا في الاتحاد السوفيتي لم يتردد البعض في استنتاج أن ما حصل يشكل (نهاية التاريخ)، وهذا الاستنتاج توصل إليه فرنسيس فوكوياما في كتابه، وقصد بنهاية التاريخ أنه نهاية تاريخ الأيديولوجيا، والانتصار النهائي للقيم الغربية التي تعتبر عالميا أنها كناية عن اقتصاد السوق وعن التعددية السياسية. هذه النهاية للتاريخ قد تولدت برأي البعض من نظام دولي أفضل تركيبا وتنظيما وقيادة وأكثر ثباتا، على عكس وجهة نظر دول أخرى، والتي ترى أن عالم ما بعد الحرب الباردة◆ هو أكثر

◆ ورد مصطلح الحرب الباردة كثيرا في مدخل الموضوع ولمزيد من الإيضاح نقدم اختصارا لهذا المفهوم لم يتفق الباحثون على (تحديد قانوني) لهذا المصطلح ولا يوجد تعريف واحد متفق عليه، ومع ذلك فهناك نوع من الإجماع على توصيف الحال أو الحقبة التي تعد أنها (حرب باردة) وهي الحال التي تميزت بها العلاقات الدولية في عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية، وما نتج عنها من صراع وتنافس بين النظامين الدوليين الاشتراكي والرأسمالي. كما يقصد بها قيام صراع بين دولتين أو كتلتين من الدول يصل إلى مستوى الحرب الساخنة من حيث كسر معنويات العدو ودفعه إلى الاستسلام لكن من دون استخدام الوسائل والأدوات المستخدمة في العنف المسلح، فإنها صراع عقائدي، وتوتر سياسي، وتهديد دبلوماسي، وحرب نفسية ودعائية، وضغوط اقتصادية، وسباق تسلح، وتفجير حروب محدودة، وهي تمثل أيضا إجراء المناورات والاستعراضات العسكرية، وإقامة الأحلاف والتكتلات العسكرية لتطويق العدو، ولكنها تبقى دون تصاعدها لتصل إلى مستوى الحرب

تزعزعا من سابقه، وما الصراعات التي تدور في العالم برأي المتمسكين بهذه الفرضية إلا نتيجة الاضطرابات العالمية، ونتيجة اختفاء وجود قطبين من العالم وانتهاء الحرب الباردة قد أدى إلى سياق المنطق الإقليمي للصراعات والذي كان سابقا مجمدا ومستوعبا بفضل الرقابة التي كان يمارسها القطبان كل أقرب منطقة نفوذه[٢].

- صراع القطبين لزعامة العالم:

لم يتردد الرئيس الأمريكي (ريغان) في الإعلان من البيت الأبيض أن الولايات المتحدة الأمريكية يجب أن تكون (ترسانة الديموقراطية) قائلا: (لم نحاول قيادة العالم الحر فعلا، ولكن أحدا غيرنا لا يستطيع ذلك، ومن غير قيادتنا لا مجال للسلم في العالم) إن تفكك وانهيار الإمبراطورية السوفيتية قد أدى إلى إحداث تغيرات جذرية وجوهرية في صورة توزيع القوى على مستوى النسق العالمي، الأمر الذي ظهرت معه الحاجة إلى إرساء قواعد

A.Fontaine, Histoire de laguerre, t I, de larevolutiond, October, a laguerre decorree, العامة.
.Paris, fayard, P.15

لتبقى العلاقات الدولية مقتصرة على (تعايش عدائي) بين الدول وحذر لا يتيح المجال للتوصل إلى تسوية. إنها سياسة (تأزيم) العلاقات بين الدول أو بين الكتل، مما يجر على هذه العلاقات أوخم العواقب، وبذلك تكون (الحرب الباردة) هي حربا أقرب إلى الصراع الدولي منها إلى الحرب الحقيقية. إذا اعتبرنا الصراع يظل بكل أدواته وتوتراته وضغوطه دون نقطة الحرب المسلحة. وللمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى (١) محمد منذر، مبادئ في العلاقات الدولية من النظريات إلى العولمة، مجد/ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان .

جديدة للتعامل الدولي تتوافق مع المصالح الغربية بوجه عام، ومع الأهداف القومية الأمريكية بشكل خاص..

إن النظام العالمي في نهاية القرن العشرين هو مختلف جدا عن نموذج السياسات العالمية عند بدايته. فالعلاقة الأمريكية - السوفيتية (سلبا أو إيجابا). تبقى حسب رأي وزير خارجية الولايات المتحدة جورج شولتس (المقرر الحاسم لآفاق السلام العالمي، برغم أن الهيمنة السياسية للقوتين العظميين أقل مما كانت عليه قبل عقود مضت. وكيفية إدارة هذه العلاقة في ظل تغير الأوضاع تظل التحدي الفكري الرئيسي للولايات المتحدة)[٣]. وبما أن النظام السوفيتي مغاير بأيديولوجيته ومصالحه وأهدافه ويعمل على (تقويض) مصالح الغرب، فإن الصداقة والتعاون بين النظامين الغربي والسوفيتي سيبقيان بعيدي المنال. فعلى الغرب العمل على مواجهة التوجهات السوفيتية، عليه إيجاد الطريقة التي تساعد على (ضبط السلوك السوفيتي) و(صقله). وهذه الطريقة تقوم على (مقاومة الانتهاكات السوفيتية بحزم مع إبقاء الباب مفتوحا أمام احتمالات بناءة أكثر)، بحيث أن لكل منهما في العصر النووي، مصلحة مشتركة في بقاء. وعليهما تليين المنافسة بينهما والسعي المشترك لإيجاد سبل للسيطرة على الأسلحة النووية وتقليل مخاطر الحرب. فعلى الولايات المتحدة إن أرادت بناء علاقة أمريكية - سوفيتية مستقرة في القرن المقبل، عليها حسب وزير خارجيتها (أن تتعلم ممارسة استراتيجية معدة للمدى الطويل تستند إلى المفاوضات وتعزيز القوة في آن) ، في سبيل تحقيق أهداف سياستها الخارجية في السلام، والديموقراطية والحرية وحقوق الإنسان، والمساواة العرقية، والتقدم الاقتصادي والاجتماعي وتعزيز التعاون وتطبيق القانون إنها

أهداف مهمة للشعوب، حسب شولتس، والدول على امتداد العالم، وقد تتحول إلى مبادئ لنظام عالمي يجمع وراءه الغالبية العظمى من الجنس البشري).

ويتبادر إلى الذهن سؤال مهم: هل التزمت الولايات المتحدة بما نادى به وزير خارجيتها؟

عمليا: إن الخيار الذي لجأ إليه الرئيس الأمريكي ريغان كان برنامج (حرب النجوم). هذا البرنامج يهدف إلى تأمين مظلة دفاعية فوق القارة الأمريكية عن طريق إقامة أجهزة دفاعية في الفضاء الخارجي عبر الأقمار الصناعية تتولى تدمير الصواريخ النووية في الفضاء قبل وصولها الأرضي الأمريكية. بلجوء أمريكا إلى هذا الخيار تكون قد فاضلت بين أحد عاملي التوازن في علاقاتها الخارجية، فهي هنا قد فضلت عامل القوة على العامل الدبلوماسي. والمفاضلة تظهر هنا ليس في توجيه ضربة عسكرية مباشرة إلى الاتحاد السوفيتي، بل في استغلال عجزه عن الخوض في سباق التسلح الاستراتيجي -إلا إذا ضحى بالتنمية المدنية والإصلاحات المرتبطة بها- مستغلة الصعوبات الاقتصادية البنيوية التي يمر بها هذا البلد لتحقيق تفوق في (ميزان القوى) يميل لمصلحتها بعد أن كان هذا الميزان في غير صالحها قبل عشر أو خمس عشرة سنة، أما عن المبررات التي أعطتها الولايات المتحدة الأمريكية للمضي قدما في برنامج الدفاع الاستراتيجي، برنامج حرب النجوم، فتتلخص بالتالي:

- أنها ترى فيه: احتمالا إيجابيا، بل ثوريا في إمكانية توفير إجراءات دفاعية تستطيع أن تجهض. إلى حد بعيد أي هجوم عليها.

- ومبادرة لا مفر منها لتحقيق الحد من التسلح، إذ من دونها لن يشجع الاتحاد السوفيتي على الحد من أسلحته الهجومية.

وقد كتب الرئيس الأمريكي السابق نيكسون، مبررا ما أقدم عليه الرئيس الحالي ريغان حيث يقول: (إن الرئيس ريغان على حق في الإصرار على أن الأبحاث في مجالات حرب النجوم غير قابلة للتفاوض لأنه لا يمكن التأكد من خطر لأبحاث، وكذلك فإنه إذا كان الهدف من وراء هذا البرنامج الوصول إلى دفاع كامل عن السكان، فيجب أن يكون الهدف الأول لبنائنا الدفاعي. كذلك إن نشر هذا البرنامج (كونه أمرا مميزا عن الأبحاث) بهدف الدفاع عن حقول صواريخنا هو ورقة تفاوضية نهائية؛ لذلك علينا ألا نوافق على نشر أسلحتنا إلا إذا قلل السوفيت وحدوا من أسلحتهم الهجومية بدرجة كبيرة. إن الخيار أمام غوربا تشوف الآن، حسب الرئيس نيكسون، هو (إما أن يخفف السوفيت من قواهم الهجومية، وإما أن نقوم بنشر قواتنا الدفاعية لمجاراة بنائهم العسكري).

لم يقتصر الهدف الأمريكي على الاتحاد السوفيتي فحسب، بل تعداه إلى الديموقراطيات الشعبية، بهدف زعزعة استقرارها وإضعافها، وأخيرا لأبعادها عن النفوذ السوفيتي. فقد كتب وزير خارجيتها محددا أهداف بلاده في هذه المنطقة من العالم قائلا: (بينما كنا نفكر في تطوير أوروبا، لا نستطيع نسيان أوروبا الشرقية. فمنذ أيام مشروع مارشال، عندما دعا الغرب الشرق إلى الانضمام، أردنا دائما أن يكون نجاح أوروبا الغربية مرشدا لكل أوروبا، فالانقسام السياسي الحالي للقارة اصطناعي تماما، وهو قائم فقط لأنه فرض

بالقوة السوفيتية المباشرة، والولايات المتحدة لم تعترف به أبدا كانقسام شرعي أو دائم. هناك في بعض الدول جهود للتحرير، لكن كل شعوب أوروبا الشرقية تستحق شيئا أفضل، وهي قادرة على تحقيقه، وفي السنوات الأخيرة شهدنا التطلعات القومية إلى اتحادات عمالية حرة، وإصلاح اقتصادي وحرية سياسية ودينية وإلى سلام وأمن حقيقيين، وإلى حقوق الإنسان كما وعدت بها اتفاقات هلسنكي ونأمل اليوم الذي يغير فيه الاتحاد السوفيتي أسلوب تفكيره، ويعيد النظر في مفهوم أمنه بشروط تتلاءم مع حرية وأمن واستقلال جيرانه).

- هذا كان أسلوب السياسة التي تريد اتباعها الولايات المتحدة الأمريكية في سياستها الخارجية، فماذا كان الأسلوب الذي ستختاره القيادة السوفيتية التي تزعمها ميخائيل غورباتشوف في عام ١٩٨٥؟

جاء انعقاد المؤتمر السابع والعشرين للحزب الشيوعي في ٢٥ شباط ١٩٨٦ بعد تولي ميخائيل غورباتشوف السلطة في الاتحاد السوفيتي في آذار ١٩٨٥. وكان هدف المؤتمر تحديد الخطوط العريضة للسياستين الداخلية والخارجية، وجاء في التقرير السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي الذي قدمه أمينها العام غورباتشوف، ستة أبواب رئيسية فيها باب يتعلق (باستراتيجية الحزب في السياسة الخارجية) ويستعرض هذا التقرير أيضا وصف العلاقات بين البلدان الاشتراكية والرأسمالية في بعض النقاط الأساسية التي تحكم هذه العلاقة، أهمها:

- استبعاد الحروب من حياة الشعوب، وإقامة سلام وطيد، عادل وديموقراطي.

- وقف سباق التسلح وتفادي عسكرة القضاء، وتصفية مخزون السلاح النووي.
- تصفية أسلحة الإبادة الشاملة، ودرء خطر حرب عالمية جديدة.
- إقامة نظام شامل للأمن الدولي.

كما يؤكد التقرير على علاقات طبيعية بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية، على أساس أن الانقسام العالمي بين المنظومتين الاجتماعيتين المتعارضتين يمكن (بل يجب أن يعالج بالطرق السلمية) انطلاقا من مبدأ التعايش السلمي.

هذا المبدأ يقوم في رأي الحزب الشيوعي السوفيتي على الأسس التالية:

- رفض اللجوء إلى الحرب وإلى استخدام القوة أو التهديد باستخدامها، باعتبارها وسيلة لحل المسائل المتنازع عليها، وتسويتها عن طريق المفاوضات.
- عدم التدخل في الشؤون الداخلية، ومراعاة المصالح المشروعة لكل الأطراف.
- حق الشعوب في تقرير مصيرها.
- احترام سيادة الدول ووحدة أراضيها وحرمة حدودها.
- التعاون على أساس التكافؤ التام والنفع المتبادل، والعمل بنزاهة على التزام التعهدات النابعة من المبادئ المتعارف عليها والقانون الدولي، ومن الاتفاقات الدولية المعقودة.

كما أن الحزب سوف يناضل في سبيل تطوير (مسيرة الانفراج الدولي باعتبارها مرحلة طبيعة ضرورية في الطريق نحو إنشاء نظام أمن وطيد وشامل)[٥].

- ما البيريسترويكا؟

إن البيريسترويكا .. كانت مشروع ميخائيل غورباتشوف منذ أن استلم السلطة في الاتحاد السوفيتي .. وهي كلمة روسية تعني إعادة البناء، وعرفها بأنها (تكثيف للاقتصاد السوفياتي في شتى المجالات، وبعث الديموقراطية وتنميتها في إدارة الاقتصاد الوطني، وتعميم روح التجديد والهمة الاشتراكية.. وهي تطوير أولي للمجال الاجتماعي، موجه نحو تلبية أكمل لحاجات المواطنين السوفيت، بشروط جيدة في العمل والعيش والراحة والخدمات الطبية، إنها رعاية مستمرة واهتمام دائم بالغنى الروحي، وثقافة كل مواطن، وثقافة المجتمع بأكمله)[٦].

أما عن الهدف من طرحه البيريسترويكا: (تجديد معمق لجميع أوجه حياة البلاد، وإعطاء الاشتراكية أحدث أشكال التنظيم الاجتماعي، والكشف الكامل عن الطابع الإنساني لنظامنا في كل أبعاده ودلالاته). هذه الدعوة ذات الطابع الإنساني التي طرحها غورباتشوف، رأى فيها البعض بأنها الخطوة الأولى في الثورة على الثورة، أو (ثورة بيضاء)[٧]. فما الأثر الذي تركته البيريستريكا على سياسة الاتحاد السوفيتي الخارجية؟

يربط غورباتشوف بين السياسة الداخلية والسياسة الخارجية، فإن كان المجتمع يتطلب (إعادة بناء) فهذا التجديد يفرض نفسه على العلاقات الدولية. (إن سياستنا الدولية) على حد تعبير غورباتشوف:

(تحددها أكثر من أي وقت مضى سياستنا الداخلية، واهتمامنا في التركيز على العمل والبناء في تطوير بلادنا) ويضيف: (نحن بحاجة إلى سلام وطيد ووضوح العلاقات الدولية وتوجهها البناء، ومن هنا تنشأ مهمة إضفاء (الروح الإنسانية) على هذه العلاقات لأنها الآن (خاوية الروح بفعل عبادة القوة وعسكرة الوعي) إن إعادة الروح للعلاقات الدولية، وإضفاء الروح الإنسانية عليها يأتي من خلال (الإعلام والاتصالات بين الناس، والمبادلات الإبداعية وما إلى ذلك). وهذا يساعد على (إيجاد الضمانات الأخلاقية) لصيانة السلام، وتوفير الضمانات المادية. ويرى غورباتشوف: أن (إقامة عالم خال من السلاح أمر ممكن، وسنبذل كل ما من شأنه لضمان النجاح النهائي لهذه البداية، التي ربما تعد أضخم البدايات الاجتماعية)[٨].

- صراع القطبين:

بعد انقطاع دام أكثر من ست سنوات بين السوفيت والأمريكان عملت لقاءات القمة كأداة صالحة لتقليص التوتر الدولي بين العملاقين، وتخفيف التوتر وسباق التسلح.. يقول وزير خارجية الاتحاد السوفيتي شفير نادزة: (لقد كان بيننا وبين الأمريكيين، جدار من صخور الريبة، وحجارة الأيديولوجيا الضخمة، ومن الخطأ الفادح التأكد أننا نحن الممثلين السوفيت كنا وحدنا نتبنى المقاربات الأيديولوجية)[٩]. وبعد استقراء سياسة القطبين نستنتج أن لكل من

الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة مصلحة، الواحدة منها على نقيض الأخرى، بالإضافة إلى كونهما عدوين لدودين إيديولوجيا، فإذا كانت للاتحاد السوفيتي مصلحة في تحقيق السلام عن طريق استئناف مباحثات الحظر التام للتجارب النووية، والتعاون السلمي لدرء سباق التسلح في الفضاء ليتفرغ ويستعجل في عملية التنمية الداخلية اقتصاديا واجتماعيا، لتحسين معيشة المواطنين السوفيت. فليس هناك مصلحة للولايات المتحدة الأمريكية في تقييد التجارب النووية، بل مصلحتها في تفجير نووي جديد، وليس لها مصلحة بأن يبقى الفضاء الخارجي خارج سباق التسلح، لذلك اتخذت قرارها بإجراء أول تجربة متتالية للسلاح المضاد للأقمار الصناعية، منطلقة من الحجة القائلة بأنه طالما أن الروس يعارضون (حرب النجوم) فإن ذلك برنامج جيد وصائب. إنه (سيناريو الضغط ومحاولات التضييق علينا) يقول غورباتشوف (ويبدو أن الأمريكيين يسيرون بالأمر نحو صراع بين ما أشبه بـ(مصارعين عظيمين) سياسيين، لا يفكرون إلا في كيفية إصابة الطرف الآخر، بطريقة أذكى والحصول على نقطة تضاف إلى رصيدهم في هذا (الصراع).. لعلني أقول تفسيرا فريدا من نوعه للمفاوضات المرتقبة، وعلى ما يبدو فإن أدنى تقدم إلى الأمام لا يتوقف سوى على تنازلات الاتحاد السوفيتي نفسه)[١٠].

وهكذا كان، فما أن حل موعد انعقاد قمة جنيف في تشرين الثاني ١٩٨٥ بين رئيسي الولايات المتحدة (ريغان) والاتحاد السوفيتي (غورباتشوف) حتى أقدم الاتحاد السوفيتي على خطواته التراجعية أمام الولايات المتحدة الأمريكية. فأوقف لفترة زمنية محددة تجاربه النووية المعروفة بـ(الموراتوريوم) بدون أن توقف الولايات المتحدة برنامجها للدفاع الاستراتيجي، أو برنامج حرب

النجوم، لتنفرط بعد ذلك سبحة فشل سياسة القمة، ولم يحصد منها غورباتشوف إلا الفشل.. حتى جاء موعد قمة مالطا في كانون الأول ١٩٨٩، ليعلن غورباتشوف ومعه بوش في نهايتها، انتهاء حقبة الحرب الباردة وبدء عهد جديد من العلاقات السوفيتية الأمريكية. إن إعلان نهاية الحرب الباردة قضى على القطبية الثنائية.. ليعود صراع المصالح.. صراع في سبيل الهيمنة العالمية التي أعطت صفة العولمة. بعد أن زال الاتحاد السوفيتي وأقيمت روسيا الاتحادية بديلا عنه، وبعد أن حل حلف وارسو والكوميكون. وبعد أن اختارت دول المنظومة الاشتراكية الطريق التي تناسبها، لتزعزع البيريسترويكا تماما، وما كان معترفا به كثوابت في الترتيب الدولي خلال نصف قرن و(دفنت) الاشتراكية لتنتصر الرأسمالية ولتهيمن على العالم[11].

لقد أدى تفكك وانهيار الإمبراطورية السوفيتية إلى إحداث تغيرات جذرية وجوهرية في صورة توزيع القوى على مستوى النسق العالمي، الأمر الذي ظهرت معه الحاجة إلى إرساء قواعد جديدة للتعامل الدولي تتوافق مع المصالح الغربية بوجه عام، ومع الأهداف القومية الأمريكية بشكل خاص.

- بوش والنظام العالمي الجديد:

كانت دعوة الولايات المتحدة الأمريكية مع مطلع عقد التسعينات إلى ما يسمى بـ(النظام العالمي الجديد) **System International** -والذي كان الرئيس الأمريكي جورج بوش السابق يلح في التأكيد عليه- قد تزامنت هذه الدعوة الأمريكية مع ذلك الحدث العالمي التاريخي الذي تجسد في تحشيد التحالف الدولي ضد العراق عام ١٩٩١-١٩٩٥.. هذا الحدث مهد لأمريكا

زعامة النظام العالمي الجديد، حيث مررت هذه الفكرة (النظام الجديد) إطار أخلاقيا لتغطية التدخل العسكري الأمريكي في الخليج .. ومبررا لدور الائتلاف الغربي في إعادة الشرعية الدولية للكويت.. يعلق بوش بهذا الخصوص: (إن الأمر ليس قاصرا على مجرد دولة صغيرة تعرضت للعدوان وإنما هو أكبر من ذلك، إنه نظام عالمي جديد تلتقي من خلاله مختلف دول العالم حول قضية مشتركة، يتمثل في السعي إلى تحقيقي تطلعات البشرية إلى السلام والأمن والحرية وسيادة القانون)[١٢].

- ما النظام؟:

يقصد بالنظام الذي نتحدث عنه، مجموعة من الترتيبات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية، تسود مجتمعات إنسانية تتصرف وفق سلوكية منبثقة من أعراف وقوانين واتفاقات ترعى تطبيقها واحترامها قوة أو قوى متفوقة في زمان ومكان معينين. وما يسمى بالنظام العالمي الجديد هو مجموعة الترتيبات الآنفة الذكر -التي سادت أطراف المجتمعالدولي- وتشريعات واتفاقيات نشأت وجرى اعتمادها في أعقاب انهيار الاتحاد السوفيتي كما أشرنا وانتهاء حرب الخليج الثانية وانفراد الولايات المتحدة بزعامة العالم منذ العام ١٩٩١.

لقد أدركت الولايات المتحدة أن ثمة ضرورة ملحة وحيوية لتصوير ملامح ذلك النظام العالم الجديد، لكي تضفي على هيمنتها العالمية بعدا قيميا أو أخلاقيا يسوغ لها أن تأخذ بزمام بقية الدول الكبرى في أيديها، فضلا عما سوف يتيحه لها ذلك من أن تضفي مسحة من الشرعية على مواقفها وسياساتها

إزاء دول العالم المختلفة، باعتبارها الحاملة للواء النظام العـالمي الجديـد والمدافعـة عـن قـيم العدالة والحق وسيادة القانون في العالم، ولكي تنصب نفسها بذلك كحكومة عالميـة شرعيـة. وتأكيـدا لما تقدم يمكننـا أن نـورد بعـض الفقـرات التـي وردت في التقريـر السري الـذي أعـده وزيـر الـدفاع الأمريكي في شباط ١٩٩٢ بشأن التوجهات الأمريكية في مجال التخطيط الاستراتيجي حتـى عـام ٢٠٠٠ فقد ورد في هذا التقرير ما يلي: (إن على الولايـات المتحـدة الأمريكيـة الحفـاظ عـلى موقفهـا كقـوة عالمية، التي تحافظ على (النظام العالمي الجديد) بينما تسمح للآخرين بمتابعة سـعيهم نحـو حمايـة مصالحهم وأهدافهم الشرعية، على نحو ما تحدده الولايات المتحدة ذاتها. إن على الولايـات المتحـدة الأمريكية أن توضح للدول الصناعية المتقدمة المصالح التي ستحقق لهـذه الـدول، لـكي تحـول بينهـا وبين مناوأة زعامتها، ولكي تثنيها عن محاولة زعزعة النظام السياسي والاقتصادي العـالمي الـراهن، أو حتى عن مجرد التطلع إلى ممارسة أدوار إقليمية أو عالمية أكثر نشاطا. إن من المتعين الحيلولـة دون قيام نظام أمني أوروبي مستقل، وإنما ينبغي العمل على أن يظل (حلف الناتو) هو الركيزة الأساسـية للدفاع عن العالم الغربي وأمنه، فضلا عن كونه القناة التي يمكن من خلالها للولايات المتحدة أن تؤثر وأن تشارك في الشؤون الأمنية الأوروبية، كذلك من المتعين أن نظل محتفظين بقدرتنا على تقريـر مـا يعتبر صوابا أو ما يعد خطأ فيما يتعلـق بالسياسـات والسـلوكيات الدوليـة بصـورة (انتقائيـة)، عـلى النحو الذي يتفق مع مصالحنا. وفيما يتعلق بالشرق الأوسط، تلك المنطقة لا تـزال تعـد كـما كانـت دائما ذات أهمية خاصة بالنسبة إلينا، يتعين أن نظل نحـن القـوة الخارجيـة الوحيـدة القـادرة عـلى التدخل في المنطقة ضمانا

لاستمرارية تدفق نفط الشرق الأوسط إلى الولايا المتحدة الأمريكية وإلى أوروبا الغربية، فضلا عن تأكيد قدرتنا على ردع العدوان بصورة انتقائية .. وكذلك الإبقاء على سيطرتنا الاستراتيجية على المنطقة تأمينا للاستقرار الإقليمي وحماية لمصالح الولايات المتحدة الأمريكية ولرعاياها وممتلكاتها في المنطقة)[١٣].

وفي الإطار العام لهذا السياق، قامت الإدارة الأمريكية بإدخال تغيرات جادة على سياستها الخارجية واستراتيجيتها الأمنية، لتتواءم مع مفاهيمها للعصر الجديد، عصر القطبية الأحادية والدبلوماسية العالمية، الذي خلقته التغيرات الدولية والإقليمية التي جرت في السنوات الأخيرة، حيث استخلصت الرؤية الأمريكية عدة حقائق أساسية من خلال الأحداث، اتخذت منها مرشدا لتوجيه مسارها وتحديد أهدافها، هذه الحقائق هي:

- إن التعاون الدولي غير المسبوق إبان أزمة الخليج، أكد أن هناك عالما جديدا، بدأ يأخذ طريقه وفقا لمفاهيم جديدة ونوعية مختلفة من القضايا الأمنية.
- إن هذه القضايا الأمنية قد أكدت أن الأمن القومي الأمريكي يمكن أن يتأثر بشدة، وإذا ما ضعفت القدرات الاستراتيجية للدولة في حماية مصالحها الخارجية، وإذا ما افتقرت الممارسات الاقتصادية إلى الأداء السليم والإحساس بالمسؤولية – وأن إيجاد الحلول المناسبة للمشاكل العالمية والإقليمية، أصبح أمرا ضروريا لمصلحة الأمن القومي الأمريكي والاستقرار السياسي.

- إن دعم النظام الاقتصادي هو أفضل طرق تقوية الاستقرار السياسي ودفع التنمية بالاستفادة من (الفرص) المترتبة على انتهاء الحرب الباردة والنجاح في أزمة الخليج ومواجهة (التحديات) الناجمة عن زيادة القوة الاقتصادية للشركاء الرئيسيين في التجارة العالمية والخلل في العلاقات السياسية والأمنية(١٤).

إن التوترات والعداوات التي حددتها الوثائق الأمريكية – خطر المجهول أو خطر اللايقين من المسؤولين الأمريكيين - قد حملت نوعيات عديدة تجمع الآتي(١٥):

- الصراعات السياسية والاقتصادية الإقليمية، والتي يمكن أن تتحول إلى مصادمات دامية تهدد استقرار بعض الدول ونموها الديمقراطي.

- النظم المعادية للغرب والقادة السياسيين المشبعين بروح المغامرة، والمتطلعين إلى مناطق الضعف المجاورة التي يمكن استغلالها لمصلحتهم بفرض نفوذهم السياسي والاقتصادي على هذه المناطق أو محاولة الإضرار بالاحتياجات الاستراتيجية للولايات المتحدة، مثل محاولة قطع إمدادات البترول أو التعرض له.

- استمرار سباق التسلح في بعض المناطق الخطرة، وعلى رأسها منطقة الشرق الأوسط وتأثيره السلبي على الاستقرار الإقليمي، وإمكان تحوله إلى أداة لإشعال الصراعات الإقليمية المسلحة.

- احتمالات انتشار أسلحة الدمار الشامل في المناطق الخطرة وصعوبة التصدي لهذا الاتجاه بكفاءة خاصة بعد انفراط عقد الاتحاد السوفيتي وانتشار قدراته النووية الهائلة في الجمهوريات المستقلة العديدة.

- استمرار التهديد الدولي الموجه ضد الولايات المتحدة، حيث لا ينتظر تراجعا كاملا وخاصة أنه يمثل القوة الوحيدة التي تملكها بعض الجماعات المناهضة للولايات المتحدة.

- وفي مجال حصر الأعداء الفعليين والمخاطر غير الواضحة المعالم، تصنف العديد من الجهات الرسمية الأمريكية (الإسلام السياسي) باعتباره من التحديات المحتملة أمام الولايا المتحدة، خاصة بعد سقوط الأيديولوجية الشيوعية، مع التصاعد الملحوظ في ظاهرة الإسلام السياسي في العديد من الدول الإسلامية، لذلك تولي الولايات المتحدة اهتماما واضحا لهذه الظاهرة، وتعتبر انتشارها خطرا على المصالح الأمريكية والغربية وقد ازدادت أهمية ذلك بعد استقلال الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى، وتزايد النشاط الإيراني الأصولي، سواء في العالم العربي أو في هذه الجمهوريات، في ظل هذه الظروف تعتبر السياسة الأمريكية الإسلام الأصولي عنصر تهديد أيديولوجي موجه للحضارة الغربية شأن التهديد الأيديولوجي الشيوعي السابق، غير أنه من الممكن أن يؤثر على الانفراد الأمريكي بالقيادة العالمية ويخلق بؤرا للتمرد ضد السياسة الأمريكية في أنحاء مختلفة من العالم الإسلامي.

ومن هنا تحاول الإدارة الأمريكية تشويه صورة الإسلام محاولة ربطه بالإرهاب وخاصة بعد أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١ في حملتها وحربها على ما يسمى (الإرهاب العالمي) هذا ما سنتناوله في المبحث الأخير من الكتاب.

لقـد أدت زعامـة الولايـات المتحـدة الأمريكيـة لمـا سـمي بالنظـام العـالمي الجديـد إلى خلـق (اضطراب عالمي جديد) على حد قول الـرئيس السـوفيتي السـابق مخائيـل غورباتشـوف، لأن فكـرة النظام العالمي تتمحور باعتبار قدرة المجتمع الدولي على القيام بضبط النفس والسيطرة على نفسـه، وقدرته على الاستجابة الملائمة والمنظمة مسبقا للتعامل مـع متطلبـات عـالم متغـير مـع احتفاظـه في الوقت ذاته بقدرته على تحقيق توازن بين مصالح الشعوب والدول، وبموجـب هـذا التـوازن يـتمكن المجتمع الدولي من الحفاظ على استمرار ظروف الاستقرار اللازمة لتطور العالم بشكل عام، ويتساءل غورباتشوف في المحاضرة التي ألقاها في مركز الإمـارات للدراسـات والبحـوث الاسـتراتيجية في كـانون الأول ١٩٩٤.

- ما هي الكيفية التي يجب أن يتم التعامـل بهـا مـع القـوى القوميـة والعرقيـة؟ يقـول : (إن المشكلة الماثلة هنا لا تنحصر في حقيقة وجود نمو متعاظم للشعور القومي، عـلى شـكل مجموعـات تسعى جاهدة لتأكيد هويتها الوطنية، ذلـك أن العديـد مـن الـدول في أنحـاء العـالم لا تـزال تشـهد صراعات قومية دامية، يمكن أن تنفجر على شكل حرائق تلف مناطق بأكملها، ونتيجة لذلك لا يمكن للدول أن تتولى منفردة حل المشكلات التي أسلفنا ذكرها، وليس هناك مـن جهـة تسـتطيع معالجـة هذه المشكلات إلا المجتمع الدولي ككل، وذلك بدراسـة الحلـول اللازمـة لهـا، واعتبـار تلـك الحلـول هدفا مرادفـا لمصـالحها الوطنيـة، أو حتـى بإخضـاع المصـالح الوطنيـة للمصـلحة المشـتركة للبشريـة بأجمعها، وإخضاع السيادة الوطنية لإرادة المجتمع الدولي، ويبدو أن هذه المهمـة سـتكون الأصـعب خلال القرن الحادي والعشرين ، ويمكن أن يتحقق

الحل بالمساواة بين الشعوب والقوميات وإلا فإن التعاون والتعايش الطبيعي بينها سيكون مستحيلا، إن السبيل لتحقيق هذا الهدف سيتحقق عبر الديموقراطية والتنمية، وهذه هي الصفة الثنائية التي ستحقق أفضل السياسات، وتتيح الوصول لأنجع السبل لمواجهة وتجنب جنون التعصب القومي، وتصلح هذه المعالجة لتنطبق على المستوى الداخلي وفي العلاقات الدولية أيضا. ويشير غورباتشوف إلى ضرورة خلق نظام عالمي قائم على قوة القانون، وليس على قانون القوة، ويجب أن يخدم هذا النظام مصالح الجميع من خلال التكامل في الاقتصاد العالمي وفي الدور المتعاظم للمؤسسات العابرة للحدود وتشكيل هياكل اقتصادية عالمية، أي أن النظام العالمي المستقبلي يجب أن يكون من شبكة واسعة من المنظمات الحكومية وغير الحكومية على المستويين العالمي والإقليمي، وليس نظاما قطبيا واحدا يقوم بدور الحارس على مصالح وأمن الشعوب مع رفض تلك الشعوب لتلك الزعامة المتفردة لتقرير مصيرها والتدخل في شؤونها الداخلية والخارجية وإخلال أمنها وسيادتها، بل وزعزعة وجودها، بسبب الوصاية التي تمنحها أمريكا لنفسها في زعامة المجتمع الدولي.

إن النظام العالمي الجديد الذي تحدثوا عنه بعد حرب الخليج كان من المفترض أن ينفذ عبر إعطاء دور أكبر لمنظمة الأمم المتحدة في عملية الدفاع عن حقوق الإنسان والشعوب، وتحديد حقوقهم المشروعة في التدخلات الإنسانية، إلا أن التفرد الأمريكي بقرارات الأمم المتحدة من جراء استهتارها بالهيئات الدولية يعبر تعبيرا صادقا عن سياسة الهيمنة، فهي تعمل على تسيير المنظمة الدولية حسب إرادتها ورغباتها، وحسب ما تقتضيه مصلحتها بعد أن

انهار الاتحاد السوفيتي، وطالما أن الاتحاد الأوروبي لم يتوصل إلى اتخاذ قرار مواجهة بعد، فهو راض عن ضعف بالدور المسموح له القيام به، خصوصا بعد الهيمنة الأمريكية على حلف شمال الأطلسي الذي كان يشمل شرق القارة الأوروبية، وعملت الولايات المتحدة الأمريكية على توسيعه منذ عام ١٩٩٧ بانضمام ثلاث دول أوروبية شرقية إلى عضويته: بولونيا وتشيكيا والمجر. إن استمرار وجود هذا الحلف وتوسيع عضويته لهما دليلان على توسيع دائرة الهيمنة الأمريكية على أوروبا، ومنها تنطلق نحو العالم. إن قيادة الولايات المتحدة الأمريكية لدول الحلف بثقلها الاقتصادي والمالي والتكنولوجي والعسكري الذي يفوق أوروبا الأطلسية بمجملها ومساهمتها بحوالي ٩٥% من المجهود الحربي لدول الأطلسي، لهو إصرار منها على تهميش الدور الأوروبي وتأكيد زعامتها للعالم، في الوقت الذي أكدت فيه دوله في نهاية احتفالاتها في واشنطن في نيسان ١٩٩٩، بمناسبة الذكرى الخمسين على إنشائه أن دور الحلف سيتحول من الدفاع عن أوروبا الغربية إلى دور أوسع يتيح له التدخل المباشر في كثير من الأماكن الساخنة في العالم، فكان تدخله في صربيا عام ١٩٩٩ تطبيقا لاستراتيجية جديدة وهي إدارة الأزمات خارج أراضي أعضائه في المنطقة الأوروبية - الأطلسية، وهذا يعني إطلاق يد الحلف في مواجهة العديد من النزاعات الدولية، بغطاء أو بدون غطاء من الشرعية الدولية، إلى جانب بعض المهام التي أنيطت به (لمواجهة تحديات انتشار أسلحة الدمار الشامل ومواجهة (الإرهاب الدولي) بهذا يكون حلف الأطلسي قد تحول إلى قوة تدخل عالمية بزعامة الولايات المتحدة التي أعطت لنفسها التفويض بالتصرف خارج إطار الشرعية الدولية)[١٦].

ثانيا: العـولمــة

- المدخل التاريخي للعولة:

مع بداية العقد الأخير مـن القـرن المـاضي اتسـعت دائـرة النقـاش وتحديـد التطـورات بشـأن مستقبل النظام العالمي في أعقاب الحرب الباردة، أو بالأحرى فقـدان التـوازن الـذي حكـم العلاقـات الدولية في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية، فسقوط الاتحاد السوفيتي لم يكـن يعنـي للولايـات المتحدة الأمريكية مجرد التخلص مـن منـافس أيـدلوجي وحسـب، وإنمـا راح يعنـي انتصـارا حاسـما ونهائيا لمشروع الرأسمالية التاريخي، الهادف إلى تسـييد العلاقـات الرأسـمالية في إطـار مـن الهرميـة الدولية التي تقف الولايات المتحدة الأمريكية على رأسها، والتي تسـتطيع معهـا صـناعة عـالم جديـد قائم على الإلحاق والتبعية. وتحتد دائرة النقاش والجدل الواسع في أوساط المفكرين والباحثين بشأن المتغيرات السريعة الجاريـة في العـالم عـلى كـل مسـتويات السياسـة والاجـتماع والاقتصـاد والثقافـة والإعلام، وبالتحديد حول شيوع مصطلح العولمة **Globalization** والاتفاق إلى حد مـا عـلى سـمات نظامها وتحديد أهدافها وتنسيق وسائلها.

ويرى البعض أن للعولمة تاريخا قديما بدأ مع ظهور (الدولة القومية الموحدة)[١٧]، عـلى أسـاس أن هذه النشأة تسجل نقطة تاريخية فاصلة في تاريخ المجتمعات المعاصرة، ذلك أن ظهـور المجتمـع القوي منذ حوالي منتصف القرن الثامن عشر يمثل بنية تاريخية فريدة.

وإن شيوع المجتمعات القومية في القرن العشرين هو فعل من أفعال العولمة، بمعنى أن إذاعة ونشر الفكرة الخاصة بالمجتمع القومي كصورة من صور الاجتماع المؤسسة ، كان جوهريا بالنسبة إلى تعجيل العولمة التي ظهرت منذ قرن من الزمان، وهناك مكونان للعولمة بالإضافة إلى المجتمعات القومية وهما مفهوما (الأفراد) و(الإنسانية) وبالتالي ينقسم النموذج إلى خمس مراحل(١٨):

١- المرحلة الجنينية (١٥٠٠-١٧٥٠):

شهدت هذه المرحلة نمو المجتمعات القومية في أوروبا، وإضعاف القيود التي كانت سائدة في القرون الوسطى، كما تعمقت الأفكار الخاصة بالفرد والإنسانية.

٢- مرحلة النشوء (١٧٥٠-١٨٧٠):

وقد شهدت أوروبا فيها تحولا حادا في فكرة الدولة المتجانسة الموحدة، ونشأ مفهوم أكثر تحديدا للإنسانية، وزادت الاتفاقيات الدولية إلى حد كبير، وبدأت مشكلة قبول المجتمعات غير الأوروبية في (المجتمع الدولي) والاهتمام بموضوع القومية والعالمية.

٣- مرحلة الانطلاق (١٨٧٠-١٩٢٠):

وبدأت فيها عملية الصياغة الدولية للأفكار الخاصة بالإنسانية ومحاولة تطبيقها، وحدث تطور هائل في عدد وسرعة الأشكال الكونية للاتصال،

وظهرت المفاهيم المتعلقة بالهويات الثقافية والفردية إلى جانب مفاهيم كونية مثل (خط التطور الصحيح) والمجتمع القوي المقبول.

٤- الصراع من أجل الهيمنة (١٩٢٠-١٩٦٥):

وشهدت بدأ الخلافات والحروب الفكرية، حول المصطلحات الناشئة الخاصة بعملية العولمة والتي بدأت في مرحلة الانطلاق ونشأت صراعات كونية حول صور الحياة وأشكالها المختلفة.

٥- مرحلة عدم اليقين (١٩٦٥- ..):

وبدأت منذ الستينات وأدت إلى اتجاهات وأزمات في التسعينات وقد تم دمج العالم الثالث في المجتمع العالمي، في الستينات ونهاية الحرب الباردة بعد سنوات من الرعب النووي المتبادل .. ويرى البعض الآخر أن مشروع العولمة قد ارتبط بـ(دافوس) المنتجع السويسري الراقي، حيث ظل لقاء منتجع دافوس الذي ينعقد سنويا منذ عام ١٩٦٥ بمبادرة من أصحاب الثروة وأهل السلطة في الدول الأكثر غنى، ومما ميز لقاءات أهل الثروة وأهل السلطة في دافوس، وأن ما كان يدور فيها، يدور في محيط مغلق، محيط طرف واحد، فيغيب فيها الحوار، وفي هذا المحيط المغلق تبلورت الأفكار، وحددت الأهداف واقترحت الوسائل، غير أن هذا المشروع الذي اصطلح على تسميته (العولمة)وكان قد تم التركيز في بداياته على الاقتصاد ، فإن أهدافه في السيطرة على العالم ظهرت بوضوح مع نهاية القطبية وانفراد الولايات المتحدة الأمريكية بأحادية القوة، وما عاد بالإمكان الفصل بين أهداف لقاءات

دافوس ونزعة السيطرة الأمريكية، حتى يمكننا القول إن الدعوة إلى عولمة الاقتصاد انتهت إلى مخطط لأمركة العالم.

● تعريف العولمة:

طرحت العديد من الكتابات السياسية والاقتصادية والثقافية ووسائل الإعلام مفهوم العولمة **Golbalization** كظاهرة متميزة متميزة منذ أوائل التسعينات إي مع بداية نشوء ما يسمى بالنظام العالمي الجديد الذي دعت إليه الولايات المتحدة الأمريكية.. ويبدو أن عصرا أمريكيا اجتاح العالم مما جعله (يتعولم).

لغويا: ترد العولمة في اللغة على أنها اشتقاق من العالم ومن العالمية، فهي من (العالم) ويتصل فعل (عولم)، على صيغة (فوعل) وهي من أبنية الموازين الصرفية العربية، ويلاحظ على دلالة هذه الصيغة أنها تفيد، وجود (فاعل، يفعل). وهذا ما نلاحظه على صيغة **Zation**- في الإنكليزية، على خلاف صيغة **Globalism** والتي تعني العالمية[١٩].

اصطلاحيا: هي مرحلة من مراحل التفكير الإنساني في العالم المعاصر بدأت بالحداثة، ما بعد الحداثة، العالمية ثم العولمة ونحن الآن في مرحلة الأمركة، ثم تأتي بعد ذلك مرحلة الكوكبة (نسبة إلى كوكب الأرض، ثم يتطلعون بعد ذلك إلى مرحلة الكونية)[٢٠].

الكوكبة أو العولمة هي: التداخل الواضح لأمور الاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافية والسلوك دون اعتداد يذكر بالحدود السياسية

للدول ذات السيادة أو الانتماء إلى وطن محدد أو لدولة معينة، ودون الحاجة إلى إجراءات حكومية[21]. ويعرفها البعض بأنها الاتجاه المتنامي الذي يصبح به العالم نسبيا كرة اجتماعية بلا حدود، حيث تكتسب العلاقات الاجتماعية نوعا من عدم الفصل (الحدود) أو بعد المسافة حيث تجري الحياة في العالم كمكان واحد، ومن ثم فالعلاقات الاجتماعية التي لا تحصى عددا، حيث يتفاعل الناس ويتأثر بعضهم ببعض، ويصبح العالم أكثر اتصالا وأكثر تنظيما على أساس وحدة الكوكب[22].

سياسيا: العولمة تعمل على تعميم نمط حضاري يخص بلدا معينا.

وإذا أردنا أن نقرب من صياغة تعريف شامل للعولمة فلابد أن نضع في الاعتبار ثلاث عمليات تكشف عن جوهرها[23].

العملية الأول: تتعلق بانتشار المعلومات بحيث تصبح متاحة للجميع.

العملية الثانية: تتعلق بتذويب الحدود بين الدول.

العملية الثالثة: هي زيادة معدلات التشابه بين الجماعات والمجتمعات والمؤسسات، وأيا كان الأمر فيمكن القول إن جوهر العولمة يتمثل في سهولة حركة الناس والمعلومات والسلع بين الدول على النطاق الكوني.

ويرد مفهوم العولمة اقتصاديا: في تعريف وضعه صندوق النقد الدولي في تقريره السنوي الصادر عام ١٩٩٧ على أنها تعني (التعاون الاقتصادي المتنامي لمجموع دول العالم، والذي يحتمه ازدياد حجم التعامل بالسلع والخدمات وتنوعها عبر الحدود، إضافة إلى تدفق رؤوس الأموال الدولية والانتشار المتسارع للتقنية في أرجاء العالم كله[24].

ومن الناحية الأيدلوجية: فالعولمة تعبر بصورة مباشرة عن إرادة الهيمنة على العالم. وتبرز الولايات المتحدة الأمريكية هنا كقوة (هيمنة عالمية) من خلال لجوئها إلى:

- السوق العالمية واستعمالها كأداة للاحتلال في الدول القومية، في نظمها وبرامجها الخاصة بالحماية.
- اللجوء إلى الإعلام لإحداث التغيرات المطلوبة.
- وأن القوة الهيمنة العالمية تسعى بإطراد لمنع ظهور أي قوة إقليمية وذلك بسعيها إلى ..
- إضعاف قوى الهيمنة الإقليمية الساعية إلى تحقيق استقلالية تامة لسياستها الخارجية.
- ممارسة الضغوط على اللاعبين الإقليميين الذين يسعون لتحقيق سياسة خارجية مستقلة برغم افتقادهم للقوة التي تؤهلهم للتحول إلى قوة هيمنة إقليمية.
- السيطرة على قوى الهيمنة الإقليمية الغنية بالمواد الطبيعية الحيوية بالنسبة لمصالح القوى العالمية.
- العمل على التخفيف من سلوكها المعادي لقوى الهيمنة الإقليمية حين تجنح قوة الهيمنة العالمية إلى تبديل السلوك الاستقلالي لأي قوة هيمنة إقليمية والعكس صحيح.
- خلق قوة هيمنة إقليمية تكون حليفة أو تابعة لها[٢٥].

إن تغليب مصطلح (الأمركة) على المصطلحين الشائعين: العولمة والليبرالية الجديدة، أو على غيرها من مصطلحات، ليس من قبيل الهجاء السياسي، أو تغليب التعبوي على الموضوعي، وإنما يعبر بدقة ووضوح عما نريد التعبير عنه.

إن الأمركة (الهيمنة على العالم) لم تعد مجرد إطلاق أطروحة نظرية عن نهاية التاريخ كما فعل (فرانسيس فوكوياما) ليقول (إن أمريكا هي الحقيقة المطلقة، وأن كل حركة خارج جغرافية التطور الأمريكي، ليست سوى وهم، وأن الانتماء إلى المستقبل لا يكون إلا بالانتماء إلى التاريخ الأمريكي)!

ويرد في بحث كتبه السيد (جان ماري كنو) حول (أمركة العالم، أم عولمة أمريكا) أن مسيرة العولمة تعني في الواقع أمركة العالم، أي بسط الحلم الأمريكي على مستوى كوكب الأرض. والأمريكي لا يشعر بأي تناقض مع العولمة؛ لأن هوية المجتمع الأمريكي تتمثل في كنوه مجتمع (هجرة)؛ لذلك فإن العولمة، تتوافق مع هويته ولا تتعارض معها، فالأمريكي لا يحتاج في ظل العولمة إلى هوية ثانية تبعده عن هويته القديمة، ولا يحتاج النموذج الأمريكي لأن يغير من طبيعته، فالعوملة والأمركة (بالنسبة للأمريكي) مسيرة واحدة، وهذا يسمح للأمركة أن تصبح صورة لعالم لا يقترن فيه الانتماء القومي، بالمصلحة القومية، فالعالم حين يكون على صورة الولايات المتحدة الأمريكية تصبح السياسة الخارجية للولايات المتحدة امتدادا لسياستها الداخلية.. حيث الأسطورة وحدها تجمع الشتات المجزأ للبلدان .. وهنا لابد من الإشارة إلى أن (صموئيل هنتنغتون) يكاد يقترب من رؤية جان ماري

كنو، حيث يرى أن العولمة تشكل صدمة عنيفة لجميع المجتمعات البشرية التي تكون فيها الذاكرة التاريخية عنصرا أساسيا في تكون هويتها وانصهارها الاجتماعي .. وهذا يعني أن أمريكا معولمة بفعل ضعف وتشتت ذاكرتها التاريخية.

ويفصح مايكل جي غينون، أستاذ القانون في جامعة كاليفورنيا، عن الموقف الأمريكي الهادف إلى فرض رؤيته على العالم .. قائلا:

(أن الفكرة القديمة القائلة بالمساواة في السيادة بين جميع البلدان كبيرها وصغيرها، مفهوم أجوف، وأن جميع الدول ليست متساوية في الواقع بقوتها أو ثروتها أو التزامها بحقوق الإنسان والسلام، وأن النظام الجديد يقر بشيء مختلف يغفل عنه ميثاق الأمم المتحدة، وهو أن التهديدات الكبرى للاستقرار والرفاه تتأتى الآن من العنف الداخلي بشكل مواز أو أكثر مما يأتي من القتال عبر الحدود) وهو أقصد غينون.. يرى أن تجاوز القوانين الدولية التي تنتسب إلى مرحلة الثنائية القطبية ينبغي أن لا يلقى من يأسف عليه، وأن إخفاق النظام السابق كانت فاجعة؛ ولذلك يقول: إننا لن نخسر شيئا في مسعانا لصياغة نظام جديد .. فالسياسة الأمريكية هنا يصفها عالم الاجتماع الأمريكي فكتور بالريدج بالقول: .. إن ما يسود العالم الآن، هو أسلوب حياة ونظام تكون على أسس معطيات الرأسمالية في ذروة تطورها، الذي تمثله أمريكا، ويرى أن فرض القيم الأمريكية على العالم يأتي في سياق إمبريالية حضارية[٢٦].

- مظاهر العولمة:

إذا كانت العولمة تعكس مرحلة تاريخية من مراحل تحول العالم، أي (تعني خضوع البشرية لتأريخية واحدة) أي أنها تجري في مكانة ثقافية واجتماعية وسياسية موحدة أو في طريقها إلى التوحد، ويمكن تلخيصها في كلمتين: كثافة المعلومات وسرعتها إلى درجة أصبحنا نشعر أننا نعيش في عالم واحد موحد، أي أن هناك ميلا لا راد له، إلى توحيد الوعي وتوحيد القيم وتوحيد طرائق السلوك وأنماط الإنتاج والاستهلاك، أي إلى قيام مجتمع إنساني واحد، إن العولمة تبشر بمرحلة جديدة للتنظيم العالمي الإنساني، تمثل نقيض المرحلة السابقة التي نحن بصدد الخروج منها، أعني مرحلة الدولة القومية، والانكفاء على الحدود السابقة للدول كإطار جغرافي لتحقير المادي والروحي عند الجماعات البشرية عموما[٢٧]. هذه المرحلة التاريخية التي حولت العالم بفعل العولمة، لها مظاهرها وأبعادها الاقتصادية والمعلوماتية والإعلامية والتكنولوجية والثقافية يمكن أن نوضحها كالتالي:

١- المظاهر الاقتصادية للعولمة:

ارتبطت ظاهرة العولمة بنشوء الرأسمالية الصناعية، وإن التغيرات التي طرأت في بنية النظام الرأسمالي -الذي تبلورت توجهاته في السبعينات وانتظمت خطوطه وملامحه الرئيسية مع بداية عقد التسعينات- تتمثل أساسا في انهيار نظام بريتون وودز، عولمة النشاط الإنتاجي، عولمة النشاط المالي، واندماج الأسواق، تغير مراكز القوى المالية، وتغير هيكل الاقتصاد العالمي، وسياسات التنمية[٢٨]. ومنذ انبثاق منظمة التجارة العالمية في سنة ١٩٩٣

والتوقيع على اتفاقية التجارة الدولية ودخول العالم فيما يسمى المرحلة الانتقالية والتـي تمتـد من ١٩٩٥-٢٠٠٥، يبدأ عصر العولمة وينتهي عصر التـدويل والـذي امتـد مـن بعـد الحـرب العالميـة الثانية ولغاية عقد التسعينات، إن العولمة تدافع عن مبدأ (حرية التجارة)بمعنى أنها تـدعو إلى فـتح حدود الدول وأسواقها أمـام حركـة البضـائع والعمـلات ورؤوس الأمـوال فتصـبح الحمايـة الجمركيـة والدعم العام للصناعات الناشئة محرمة بدعوى تكافؤ المنافسة، وإنها تعني من ناحية ثانيـة تفكيـك كل المعوقات أمام التجارة مثل الرسـوم الجمركيـة، والتـي كانـت مـن الخصـائص الرئيسـية للتجـارة العالمية بعد الحرب العالمية الثانية، وتخلي الدولة عن تدخلها في الاقتصاد وفي عملية التوزيع وإعادة التوزيع، لتسيطر الشركات العالمية الكبرى، الشركات المتعددة الجنسيات، وتزيد أهميتها في الاقتصـاد العالمي، ولتجتاح موجة الخصخصة العـالم فتفكـك بـذلك سـيطرة الدولـة عـلى الخـدمات الأساسـية. وكضمان لنجاح (العولمة الاقتصادية) تم إنشاء (منظمة التجارة العالمية) **W.T.O** عام ١٩٩٥ كقيـادة اقتصادية للعالم على الصعيد التجـاري، وأنيطـت بهـذه المنظمـة صـلاحيات أوسـع في مجـال مراقبـة النظم التجارية وفرض الانضباط على النشاط التجاري، وأقر ميثاقها إجراء تخفيضـات ضريبيـة تصـل إلى الثلث على آلاف السلع، وتحرر المعلومات في مجال الخدمات المصرفية والسياسية، واتفق على أن تكون هذه المنظمة ذات شخصية قانونية مستقلة تلعب الدور الأساسي في النظام التجاريـة الـدولي، وهي بمثابة الركن الرابع للنظام الاقتصادي الدولي إلى جانب كل من صـندوق النقـد الـدولي والبنـك ومنظمة التعاون والتنمية الاقتصادية[٣٩].

البعض أيد هذه المنظمة ورأى أنها تمثل الحل لمشاكل التبادل التجاري العالمي، والأداة العملية لإسقاط الحواجز بين الدول، والوسيلة الضامنة لتنفيذ صحيح لقوانين التجارة ولتسريع مطرد لانفتاح عمليات التبادل التجاري بهدف تحقيق الازدهار العالمي. أما المعارضون فإنهم يرون بهذه المنظمة (محاولة جديدة تفرضها بعض الدول المتقدمة وفي طليعتها الولايات المتحدة الأمريكية لانتهاك سيادة الدول والتدخل في شؤونها الداخلية بحجة حماية التجارة الدولية الحرة، في حين لا يحتل مصطلح (تحرير التجارة) واتفاقيات التجارة العالمية إلا حيزا صغيرا من السياسة الدولية التي عرفت بـ(اتفاق واشنطون).

ومن أجل أن يفهم الإطار الذي يلائم (تحرير التجارة) حسب هذا المفهوم، يجب أن تشخص العلاقة بين تحرير التجارة وبين الاستثمار الخارجي المباشر، والخصخصة وتخفيف أو إلغاء القيود التجارية وتوفير الحماية القانونية لحقوق الملكية الفكرية، وبعد مرور سنوات من تبني هذه المقترحات، أظهرت الأوضاع الاقتصادية العامة بأنها لا تقود إلى تنمية عادلة وفاعلة، فقد ارتفعت المخاطر في العمليات الاقتصادية وازدادت حالة عدم الاستقرار بالنسبة للشركات ونشاطها، وأدى ذلك إلى تعزيز اتجاهات تركز رؤوس الأموال ومركزيتها بحيث ساهمت في رفع معدلات البطالة على امتداد العالم، بالإضافة إلى ذلك، فإن ارتفاع وضخامة حجم الديون الخارجية والداخلية مع ارتفاع درجة التحكم الخارجي بحركة رأس المال سيؤدي إلى زيادة ذلك الجزء من الميزانية القومية الخاص بدفع وتسديد الأعباء المالية الباهضة

الناجمة عن هذه المديونية، مما يحرم الدولة من الموارد المالية التي تحتاجها لتنفيذ سياستها الاجتماعية والتنموية.

إن تحرير حركة رؤوس الأموال من القيود والتدفق المتزايد للاستثمارات الخارجية أدى إلى زيادة تبعية اقتصاديات معظم البلدان، وإلى اختلال حسابات ميزان مدفوعاتها، لقد ساهم تدفق الاستثمارات الخارجية مع إلغاء القيود التجارية والخصخصة، في إلغاء التأميم العديد من القطاعات التجارية المهمة داخل معظم الدول المسماة بالنامية[٣٠].

لقد بدت الدول النامية في حالة سباق تنافسي لاستقطاب المزيد من الاستثمار الأجنبي. من هنا انطلقت الحملة ضد العولمة والليبرالية الاقتصادية الجديدة ومنظمة التجارة العالمية في أمريكا اللاتينية من كوبا وفنزويلا مثلا .. فقد صارعت (كوبا) منفردة لعدة سنين وانضمت فنزويلا حديثا إلى الصراع، كلتا الدولتين تعتبران في وضع حرج بسبب المحاولات التي تقوم بها الولايات المتحدة لتأسيس منطقة تجارة حرة في أمريكا اللاتينية **LAFTA** والتي تخدم المصالح الأمريكية، إذ كررت كوبا إصرارها لاستعادة نظامها الاقتصادي في الاشتراكية والتخطيط الدولي، والذي أسس منذ حوالي أكثر من أربعة عقود، بمعارضة مستمرة لطلبات منظمة التجارة العالمية **WTO**، بينما عارضت فنزويلا الهيمنة الاقتصادية الأمريكية ومارست دورا مهما في تفعيل مؤسستين عالميتين مضادتين لطموحات منظمة التجارة العالمية **WTO** هاتان المؤسستان هما منظمة الدول المصدرة للنفط **OPEC** ومجموعة الـ ٧٧ المنظمة غير الرسمية داخل الأمم المتحدة، والتي تربط دول العلام الثالث[٣١].

إن معظم ما يسمى بالمنظمات غير الحكومية تقف موقفا معارضا للعولمة والليبرالية ويمكن إيضاح هذا الموقف المعارض من خلال ثلاثة أشكال من المنظمات:

أولا: المنظمات التي تعارض العولمة، بدون التعرف بالضرورة على مبادئها الأساسية.

ثانيا: المنظمات التي تنتقد ليس فقط الآثار بل المبادئ المتعلقة بالعولمة، ولكنها تأخذ موقفا من الحوار مع المؤسسات الرئيسية التي تستطيع تنظيم ودفع العملية إلى الأمام، مثل صندوق النقد والبنك الدوليين ومنظمة التجارة العالمية.

ثالثا: المنظمات التي تنتقد وتعارض آثار العولمة ومبادئها، ولكنها ترفض الحوار مع مؤسسات مثل صندوق النقد الدولي ومنظمة التجارة العالية وتصر على حشد طاقاتها كلها في الشارع وعند الرأي العام لمعارضة سياسات مثل هذه المنظمات والحكومات التي تمثلها.

العولمة والتحول في دور الدولة:

إن تأثير العولمة على دور الدولة في العالم الثالث يمكن استقراؤه من خلال آليات العولمة ونتائجها. ونعني بآليات العولمة سياستي التصحيح الاقتصادي والخصخصة وهما حدود العولمة، أما نتائجها فإن أثرها يمكن أن يظهر من خلال أثر المنافسة الدولية على الاقتصاد المحلي وأثر الاعتماد المتبادل، إن برامج التصحيح الاقتصادي تركز على محورين أساسيين هما: الاستقرار والتصحيح الهيكلي. والاستقرار يراد به استعادة التوازن الاقتصادي

الداخلي والخارجي من خلال انتهاج سياسات مالية ونقدية متشددة، تقيد الطلب الكلي عن طريق خفض الإنفاق الحكومي وضبط النمو في عرض النقود واتباع إجراءات معينة بشأن الأسعار، وبخاصة أسعار الصرف وأسعار الفائدة بهدف توجيه الاقتصاد الكلي وجهة معينة، لتحقيق محتوى إجراءات التكييف وتحويل الاقتصاد عبر مراحل التصحيح، والوصول إلى حالة الاقتصاد المفتوح والأسعار التنافسية أي الانتقال إلى حالة الاقتصاد الحر. هذا الطرح الذي يتبناه الصندوق والبنك الدوليان كراعيين لعمليات التصحيح. وأن برامج التكييف تهدف إلى تحويل دور الدولة على المستوى الكلي باتجاه التضبيط النقدي طبقا لما تشترطه برامج التكييف الاقتصادي، وتلقي باللائمة على الدولة في إحداث التشوهات الاقتصادية وبخاصة في مجالات الأسعار وتكوين الاحتكار[٣٢]. إذا ما نظرنا إلى ما اصطلح عليه (نموذج التنمية الودودة للسوق) والتي يدعي واضعوها أنها تقوم على علاقات متكافئة بين الاستثمار في البشر- والاقتصاد المحلي والاقتصاد الدولي والسياسة الاقتصادية الكلية، وإذا ما وضعنا ذات المتغيرات في علاقة أبسط لن تكون الدولة (سوى السوق بشقيه المحلي والدولي)، تضمن الدولة فيها اقتصادا مستقرا على المستوى الكلي وتنافسيا على المستوى الجزئي كي تجتذب الاستثمار الأجنبي والمعرفة والتكنولوجيا، وتاليا نيل المكاسب من التجارة والتي سيغدقها السوق العالمي. إن استراتيجية (التنمية الودودة للسوق)تعتبر السياسة الاقتصادية الكلية عنصرا مهما من عناصرها في الحد من سلطة الدولة في توجيه الاستثمار وترويج التصنيع والتنويع الاقتصادي من خلال السياسة التجارية وإدارة عرض النقد

الأجنبي، ولهذا يؤكد واضعو هـذه الاسـتراتيجية عـلى أن الإطـار المقـترح للسياسـة الاقتصـادية يتكون من حزمة من السياسات المالية والنقديـة وسياسـات الصرف والـدخل والتجـارة وهـي التـي تحدد بالتالي: التضخم المحلي، وصيغ وحديات التراكم الرأسمالي، استغلال المـوارد، مقـدار الصـادرات والواردات، وضع ميزان المدفوعات، الاقتراض الخارجي، وأخيرا تحدد حركة ونمو الاقتصاد[٣٣].

إن التسليم بآليات العولمة والقبول بحدودها لابد أن يترتب عليه تحول جديـد في دور الدولـة يتصل أولا في تشجيع المنافسة الدولية التي ترتبط أهميتها في الشأن الاقتصادي بمدى (مسـاهمتها في تحسين الكفاءة وفي تحفيز الاستثمارات الخارجية وإيجاد فـرص النمـو وتسـهيل الوصـول إلى أسـواق أوسع وأكبر، وسمات المنافسة لا أهمية لها بحد ذاتها، بـل تنبـع مـن إمكانيـة مسـاهمتها في عمليـة التنمية)[٣٤]، ولهذا ترتبط المنافسة بالسياسة الاقتصادية للبلـد التـي تسـتهدف جـذب رأس المـال إلى بلدان العالم الثالث؛ لذا فإن رفع القـدرة التنافسـية للبلـد وضـمان الحفـاظ عـلى تكـاليف تنافسـية يستدعي تحديثا للقدرات التكنولوجية والإنتاجية المحلية على اعتبار أن الميزة التنافسـية تنتقـل بـين البلدان وفي داخلها لا يمكن استحداثها بـالاعتماد عـلى ميـزة تنافسـية ثابتـة أو سياسـة تحريـر ذات منحى خارجي، لهذا فإن محور السياسـة الاقتصـادية بمسـتواها الجـزئي يسـتهدف: تشـجيع الالتـزام بالتنمية الوطنية، التحسين التكنولوجي على مستوى الشركات، الطموح في منافسة الشركات العالميـة وتوثيق العلاقة بين العمال

وأرباب العمل. أما على المستوى الكلي فإن الجهود التي يمكن أن تبذلها الدولة لاجتذاب رأس المال الأجنبي تنحصر فيما يلي:

- تطوير الموارد البشرية.
- بناء وتطوير الهياكل الأساسية.
- مواصلة الاستقرار الاقتصادي الكلي.
- تقديم الضمانات للقروض.
- تدعيم الصناعات.

إن القبول بآليات العولمة يفرض جملة من التوقعات التي سوف تتسم بها اقتصادات العالم الثالث وأبرزها هي:

- استمرار معظم دول العالم الثالث بتبني التصحيحات الاقتصادية في إطار البرامج التي يطبقها صندوق النقد الدولي والبنك الدولي.
- تبني منهج التنمية الودودة للسوق الذي يركز على الروابط العالمية وجوانب الاستقرار الاقتصادي الكلية، وسترتفع نتيجة لذلك مستويات التبادل التجاري، وسيحصل كاتجاه عام تدهور في معدلات التبادل التجاري وستتجه معظم بلدان العالم الثالث إلى تعديل أنظمتها للانضمام إلى منظمة التجارة عالمية.
- تظهر محاولات للتكتل الإقليمي أو الدولي بين بعض بلدان العالم الثالث ولكن من دون أن تكون هناك إمكانية لتأسيس ترتيبات ترقى لما حصل

في الاتحاد الأوروبي؛ لذا ستظل هذه المحاولات غير مستقرة وغير مستمرة.

- استمرار حالة الاختراق الإمبريالي، والأمر الحاسم في هذه العملية هو أن علاقات التبعية (كعلاقة القوة) من الصعب ترجمتها إلى اعتبارات اقتصادية أو مكاسب مادية. ولكن محصلة الاختراق هي تدني قدرة النظام الداخلي وفرض قيود على التنمية المستقلة والتطور الحضاري، والنتيجة أن تبقى دول العالم الثالث تحتل موقعا طرفيا في النظام الرأسمالي، غير أن الوضع لن يكون ساكنا إذ من الممكن أن تتغير مواقع بعض دول العالم الثالث قربا أو بعدا عن مركز النظام الرأسمالي، ولكن حجم هذه التغيرات ومداها سيبقى ضئيلا بحيث لا يقود إلى تغيير في هيكل النظام القائم والمتمحور أساسا حول الولايات المتحدة الأمريكية، وتحتل بقية الدول الصناعية السبع مواقع الحلقة التالية، وهكذا بقية البلدان الصناعية الأخرى، فالدول الصناعية الجديدة، وأخيرا بلدان العالم الثالث التي ستظل هوامش في النظام.

- من المحتمل أن تظهر بعض النزاعات التجارية سواء بين بلدان متقدمة أو بين بلدان العالم الثالث.

- حدوث خلل بنائي يتمثل بانحراف توزيع الدخل والثروة في ظل انتهاج برامج التصحيح والخصخصة وتقويض شبكات الأمان الاجتماعي.

إن هذه التوقعات أعلاه تشكل عوامل تحد أساسية للدولة في العالم الثالث والتي سوف تفقد في ظل العولمة قدرتها السابقة على التحكم في الاقتصاد

والمجتمع، سيبدو الأمر أكثر صعوبة مع بعض التنازلات التي قدمتها وتقدمها باتجاه ديموقراطية الاقتصاد من خلال عمليات الخصخصة أو ديموقراطية المجتمع من خلال السماح ببعض صيغ الديموقراطية السياسية، والعولمة تفرز تأثيراتها على بلدان العالم الثالث سواء من خلال علاقات ارتباطها بالعالم الخارجي أو من خلال ما تحدثه من تغيرات في داخل هذه البلدان.

٢- المظاهر المعلوماتية والتكنولوجية:

إن ثورة الاتصال (ثورة المعلوماتية وتكنولوجيا الاتصال الحديثة) أظهرت آثارها على الحضارة الإنسانية وصبغتها بالوسائل التكنولوجية التي تملك القدرة على تغيير العلاقات الاجتماعية وإعادة تشكيلها، إن ثورة الاتصال تلك قد جعلت العالم (قرية صغيرة) ألغت حواجز العزلة بين الحضارات، كما أن السرعة المتزايدة والفائقة والمستمرة التي تدور فيها اليوم عجلة تطور تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات دفعت العالم إلى الانتقال من المجتمع الصناعي إلى مجتمع المعلومات، لتعصف ثورة المعلومات والتكنولوجيا متعددة الوسائط بجوانب الحياة كافة في التجارة والسياسة والتربية والتعليم إلى التسلية والألعاب.

لقد تميزت هذه الثورة الإلكترونية بسمات عديدة منها[٣٥]:

١- توصف هذه الثورة بأنها ساعدت إلى حد بعيد في اختصار المدى الزمني الذي كان يفصل بين كل ثورة صناعية وأخرى، فقد أخذ المدى يضيق باستمرار بحيث يمكن القول بأنه إذا كان العالم قد انتظر ما يقرب من ١٨٠٠ عام حتى تبدأ الثورة الصناعية الأولى وأنه لم يدخل الثورة

الصناعية الثانية إلا بعد مائة عام من ذلك التاريخ، واحتاج إلى ما لا يزيد على ربع قرن ليدخل في عصر الثورة الصناعية الثالثة، إلا أنه أصبح اليوم على مشارف ثورته الصناعية الرابعة.

٢- إن هذه الثورة الصناعية في مجال الإلكترونيات تمتاز بأنها تعتمد على نتاج العقل البشري وعلى حصيلة الخبرة والمعرفة والتقنية.

٣- بما أن العقل البشري أصبح هو قوام الثورة التكنولوجية الراهنة فقد أصبح من المسلم به أن نعرف – ويعرف العالم – أن مواكبة هذا التطور إنما يستلزم بالدرجة الأولى استثمارا رئيسيا في نوعيات معينة من المجالات، وبالأخص تلك التي تتعلق بأمور التعليم وتطوير مهارات البشرية وتنمية كوادر وقدرات تستطيع التعامل مع مجريات هذه الثورة والتكيف مع نتائجها.

٤- ثمة مجالات ينبغي علينا أن نتابعها وذلك لصلتها الوثيقة بأي تقدم يرجى تحقيقه، وذلك لتسهيل حل المشكلة الاقتصادية والبيئية وتتمثل هذه المجالات في استغلال الطاقات البديلة والاستفادة من الطاقة الشمسية واقتحام مجال الهندسة الوراثية وتكنولوجيا إنتاج الطعام الرخيص وبكميات وفيرة، إن هذا التطور نحو المزيد من الثورة المعلوماتية والتكنولوجية يحدث بمعدلات متسارعة للغاية وإلى الحد الذي ضاقت فيه الفجوة الزمنية التي تفصل بين تاريخ الاكتشاف العلمي وبداية تطبيقه عمليا، ويمكننا القول بأن التطور التكنولوجي في حقل الاتصالات هو نتاج تفاعل مجالات ثلاث هي:

١- مجال الاتصالات السلكية واللاسلكية.

٢- مجال السمعيات.

٣- مجال المعلوماتية.

وتفاعل هذه القطاعات الثلاث مبني على خمس عناصر أساسية هي:

- **العنصر الأول:** الاتجاه نحو توحيد التكنولوجيا الأساسية من حيث استعمال النظام الرقمي بالنسبة للإشارة الإلكترونية الأساسية.
- **العنصر الثاني:** يتصل بتطور قنوات المواصلات السلكية واللاسلكية من ناحيتها المادية وقدرتها على نقل المعلومات المتنوعة كالصوت والصورة والنص والبيانات.
- **العنصر الثالث:** يكمن في استعمال شاشة التلفزيون كجهاز محيط **Peripherique** يكون نهاية طرفية **Terminal** للشبكات و يكون في خدمة المستهلك.
- **العنصر الرابع:** ستكمن طاقة المعالجات والتخزين في مزج كل أصناف المعطيات من صور ملونة وأصوات ونصوص ومعلومات متنوعة.
- **العنصر الخامس:** هو العمل على ارتفاع نسبة التفاعل والتخاطب بين المستهلك والجهاز الأساسي المولد للخدمات، مما يستدرج رويدا رويدا شاشة التلفزيون العائلية الحالية إلى جهاز طرفي ذكي متعدد الخدمات **Multimedia**. وشبكة التوزيع نفسها ستندرج تدريجيا رويدا نحو شبكات رقمية مدمجة الخدمات **Rinse**، وهذا ما يؤكد أن خدمات عدة ستتمحور حول شاشة التلفزيون (تلفزيون عادي) تلفزيون محوري،

تلفزيون مشفر، تلفزيون حسب الاستهلاك، تلفزيون تفاعلي، فيديو، حاسوب، بنوك معلومات، فاكس، هاتف مرئي .. الخ.

لقد عملت الثورة الاتصالية على جعل مستوى العولمة بالحد المذهل المتسارع الذي نراه اليوم، حيث المزيد من (التوزيع غير المتكافئ) لعناصر القوة الاقتصادية والتكنولوجية بين العالم الأول والعالم الثالث، إذ تسيطر الولايات المتحدة وبلدان الاتحاد الأوروبي واليابان على الجانب الأعظم من سوق وسائط صناعة المعلومات. وبذلك أصبح أثر ثورة الاتصالات والمعلوماتية خطيرا في عملية النقل الصناعي في إطار العولمة الاقتصادية، (فمراكز قدرات الشركات أضحت على اتصال مباشر بمواقع الصناعة ومصانع التجميع في العالم أجمع، ومثلت الابتكارات رفيعة التقنية في الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي في ظل الرأسمالية العالمية، إدارة قوة لسيطرة الشركات الكبرى وإشرافها على نطاق العالم)[٣٧]. وبذلك تعبر العولمة بمؤسساتها المالية وممارساتها عن (استعمار جديد)، تماما كالاستعمار الكلاسيكي عتيق الطراز، حيث يستولي على ثروات الآخرين ومواردهم، ولكنه يختلف عن الاستعمار القديم بأنه لا يستولي على هذه الثروات والمصادر من خلال الاحتلال العسكري المباشر، ولكن من خلال عمليات أكثر ذكاء وحنكة تتم في الخفاء ولا تراها العين المجردة، مكنت لها وأتاحتها الاختراعات العلمية الحديثة ووسائل الإدارة المستحدثة، لقد تم ربح نفوذ المال والتمويل إضافة إلى قوة الوسائل التي أتاحتها التكنولوجيا ووسائل الإعلام لإفراز نظام جديد للرأسمالية المعلوماتية يكون مسرحه اقتصادا جديدا ويتم

تسويق مبادئه غير المقدسة وغير المستحبة من خلال شعارات وعلامات تحمل طابع القداسة[٣٨].

٣- المظاهر الاجتماعية والثقافية:

تتمثل مظاهر العولمة على الصعيد الاجتماعي والثقافي في تزايد انتشار بعض أنماط القيم الثقافية والسلوكية الاجتماعية الغربية المرتبطة بالملبس والمأكل والتسلية والفن، وقد أسهم التقدم في مجال الإعلام والاتصال في نشر هذه الأنماط، وبغض النظر عن مدى قبول أو رفض هذه القيم من قبل الأفراد والجماعات في المجتمعات غير الغربية، إلا أن بعضها بدأ يأخذ طريقا عالميا يتجاوز حدود الدائرة الجغرافية والحضارية التي أفرزته، فقد أفرزت العولمة عالما وصل فيه الاغتراب عن القيم السماوية وعن الذات إلى حد يمكن التغطية عليه باستهلاك الأيديولوجيا.

وكما أظهرت العولمة الحاجة إلى توحيد القيم والأخلاق، فقد أوصل النظر في واقع النظام العالمي وأصوله ورؤى مستقبلية إلى الشك في قدرته على أن يستمد تعاونا دوليا لحل مشاكل عالمنا، وأن كل ما تستطيع أن تفعله العولمة هو نوع من التجنيس الثقافي، تتحول فيه ثقافات الشعوب إلى مهرجانات وطنية، وعقائدها إلى مجرد طقوس ومآثر تراثها إلى وثائق الإرشيف ومقتنيات المتاحف[٣٩].

وبعبارة أخرى إن العولمة تسعى وبشكل قسري إلى إقامة نوع من الخلق العالمي لشعوب العالم، من منظور وحدة الجنس البشري بصورة تتجاوز النسبية الثقافية، سواء العقائدية أو القيمية أو اللغوية. من هنا يسعى العديد من

الباحثين إلى دراسة أوضاع الثقافات في إطار التغيرات الجديدة بحكم تأثيرات العولمة. ومنهم البروفيسور بيتر بيرجر **Peter Berger** بجامعة بوسطن الأمريكية الذي قام بدراسة تأثير العولمة على ثقافات عشر دول هي الولايات المتحدة وألمانيا واليابان والصين وتايوان والهند وتركيا والمجر وجنوب إفريقيا وتشيلي، وقد حدد أربع عمليات ثقافية يتم تكوينها بفعل تفاعل الثقافيات المحلية في إطار الثقافة الكونية الجديدة وهذه الثقافات هي:

١- ثقافة دافوس، والتي تأخذ اسمها من المنتجع السويسري الذي تجتمع فيه قيادات العالم الاقتصادية، وأهم ما يميز هؤلاء كونهم منغمسين في ثقافة الكمبيوتر، والجوالات، والطيران والعملات، وغيرها، وعادة ما يتخاطبون باللغة الإنكليزية ويلبسون نفس الملابس ويستمتعون بأوقات مشتركة في الترفيه والراحة، وعادة ما يكونون عناصر وشخصيات تعمل في شركا ت كبرى وقطاعات اقتصادية مهمة إلى جانب فئات تعمل في أجهزة حكومية فاعلة في دول العالم.

٢- ثقافة الأنتلجنسيا، وأسماها بيرجر بثقافة نادي الكلية أو النادي الجامعي، والتي يتم فيها طرح تصدير قضايا ومشكلات من خلال مجتمع الأكاديميين والمثقفين ومفكري العالم، وإذا كانت ثقافة دافوس معنية بمحاولة بيع أجهزة كمبيوتر إلى الهند أو الأردن أو نيجيريا، فإن ثقافة الانتلجنسيا تسعى إلى تصدير فكرة الفيمينيزم **Feminism** أو حماية البيئة أو حملات الامتناع عن التدخين.

٣- الثقافة الشعبية التي تمثلها مجمل الثقافة الغربية وخاصة الأمريكية بمختلف أنواعها وشخصياتها، لتصدير نظم ورموز ومفاهيم

الثقافة الأمريكية الاستهلاكية إلى العالم بما يسمى ثقافة المأكل التي تمثلها (ثقافة الكوكاكولا) أو ثقافة الماكدونالد وغيرها من أنظمة المأكل والمشرب على الطريقة الأمريكية، وما يتبعها من طقوس ورقصات مصاحبة إلى ثقافة التلفزيون من أفلام وبرامج.

٤- الثقافة البروتستنتية التي يعتبرها البعض ثورة ثقافية جديدة وخصوصا في أمريكا اللاتينية بما تعززه من مفاهيم ورؤى وصور عما ينبغي أن تكون عليه العلاقات بين الرجل والمرأة وأصول التربية والعلاقات الاجتماعية الأخرى، إضافة إلى طروحات تم تجديدها تشبه إلى حد كبير ما سبق أن طرحه ماكس فيبر في الأخلاقيات البروتستنتية، ودورها في نشأة الرأسمالية الغربية، وهي ذات علاقة بأخلاقيات العمل والمسؤولية الوظيفية والدور الاجتماعي للأفراد.

ولما كانت العولمة في أحد الأوجه اندماجا عالميا أعمق يتأتى عن منظومة مالية واحدة جوهرها أن يعيش العالم في إطار سوق واحدة لرأس المال ومنظومة إعلامية واتصالية تتيح للقادرين الارتباط بالقنوات التلفازية ذاتها الموجودة في العالم موجهة لجمهور عالمي وليس لجمهور محلي، ومنظومة ثالثة هي المنظومة المعلوماتية المتجسدة في شبكة الإنترنت تلك التي تتجاوز الحدود السياسية والخصوصيات الثقافية. هذه المنظومات الثلاث تقود المجتمعات الإنسانية نحو صيرورة تتجاوز خلالها التعددية التاريخية للشعوب والمجتمعات نحو تاريخية واحدة أي أنها تجري في مكانة ثقافية واجتماعية وسياسية موحدة أو في طريقها إلى التوحد[٤٠].

ثالثا: عولمة الدبلوماسية والإعلام

- مظاهر العولمة الإعلامية:

إن أبرز مظاهر العولمة التي انعكست آثارها على الإعلام، تتمثل في زيادة عمليات التدفق الإعلامي عبر الحدود الوطنية للدول، عبر وسائل (الإعلام الكوني) الحديثة، التي ربطت أرجاء العالم من خلال الثورة الاتصالية والمعلوماتية التي تتمثل بالأقمار الصناعية والتي استثرتها الصحافة الإلكترونية سواء المحلية أو الدولية التي ترسل طبعاتها الدولية عبر تقنيات متطورة للصحافة الحديثة، ومحطات إذاعية مباشرة ذات قدرة فائقة على توصيل بثها الأثيري بسرعة على موجاتها العاملة أو بث رقمي من خلال القنوات الفضائية التي غزت هي الأخرى محطاتها التلفزيونية أرجاء الكون واخترقت شبكاتها الحدود الإقليمية وعبرت القارات دون حارس بوابة ومقص رقيب ليشاهد الناس ما يجري في العالم من أحداث بكبسة الريموت كنترول.

إن دخول الصحيفة والراديو والتلفزيون العادي يمثل تغيرا تكنولوجيا أهم بكثير لعامة الناس من أكبر المنجزات العلمية التي لا تمس حياتهم بهذا الشكل المباشر، ومع الأقمار الصناعية ورحلات المكوك التي تجوب الفضاء والبث الفضائي المباشر واستخدام شبكة الإنترنت والهاتف النقال ربما تلاقي ترحيبا لكثير من الناس المتعطشين للحضارة، وربما يكتفي البعض بالوسائل المعروفة رافضا (العولمة) وما رافقتها من ثورة معلوماتية خارقة.

إن (الإعلام المعولم) والذي نقصد به (الإعلام الدولي) يعمل بأدواته الجماهيرية في تكوين الرأي العالم ويساعد على الاحتكاك بين الدول، تبعا

للغرض الذي يراد تحقيقه من عملية الاتصال وتبعا لدرجة الترغيب أو الترهيب، أو تبعا لكون عملية اتصال قصيرة المدى كالتسلية أو طويلة المدى كالتعليم والثقافة.

لقد حولت شبكات الاتصال الحديثة والأقمار الصناعية والتقنيات (الكون) إلى ساحة تحاول القوى الكبرى أن تهيمن عليها ومن هنا يأتي أهمية الإعلام الدولي كأداة أساسية في هذا الصراع.

إن الدول الكبرى تحاول أن تسيطر على أكبر قدر ممكن من وسائل الإعلام في المجال الدولي لكي يكون لها التأثير على الرأي العام العالمي، فالإعلام الدولي الناجح لا يمكن أن يصدر عن سياسة فاشلة، ولا يمكن أن يصدر عن هزيمة عسكرية، فالإعلام لا يرسم سياسة الدولة ولكنه معبر عنها، ولكن الإعلام من الناحية التطبيقية قد استخدم للتأثير الاتصالي على الناس عن طريق نقل الأخبار والحقائق وإغفال البعض، بل وتعمد الحكومات ضمن نشاطها الإعلامي إلى إصدار ما تسميه بـ(بيانات التغطية) **Covering Statements**، ومن أمثلة ذلك بيان الحكومة الأمريكية بالنسبة لطائرة التجسس **U2** على الاتحاد السوفيتي السابق، أو عن طريق بث الأخبار والحوادث من خلال البث الفضائي المباشر، ويتذكر العالم ما يسمى بـ(الحرب المتلفزة) في ضرب مدينة بغداد عام ١٩٩١، إذ لم تشهد البشرية في النصف الثاني من القرن العشرين حدثا جندت له وسائل الإعلام المرئية والمسموعة مثلما جندت لحرب الخليج هذه، بل إن بعضهم بات يتحدث عن (حرب متلفزة) منقولة على الهواء يتابع المشاهد على شاشته الصغيرة جل

أطوارها في حين وقوعها على الميدان مثل ما يتابع الواحد منا نقلا حيا لمنافسة رياضية، كما أكد الخبراء العسكريون أن هذه الحرب قد تميزت باستخدام تكنولوجيا حديثة لم يسبق استخدامها قط في معارك وقعت من قبل، فإن خبراء الاتصال أجمعوا من جهتهم على القول بأن تغطيه هذه الحرب قد تميزت أيضا باستخدام موسع ومعقد لأحدث ما أبدعته تكنولوجيا الاتصال كإحدى أدوات العولمة الإعلامية. لقد كان (الساتل) في هذه الحرب سيد الموقف وأداة العمل الأساسية في خطط التغطية وفي تجميع الأخبار وإيصالها إلى شاشة المشاهد بسرعة، فالنقل الحي لصورة القنابل وهي تنهال على مدينة بغداد ليلة بدء الهجوم عليها أكسب شبكة التلفزيون الأمريكية **CNN** شهرة واسعة، ولا نتجاهل أيضا ما تناقلته شبكات العالم الفضائية للحدث العالمي الأكبر خطورة في ٢٠٠١ (تفجير برج مركز التجارة العالمي) في نيويورك وما آلت إليه تطورات الحدث إلى الحرب على أفغانستان .. وكيف كانت وسائل الإعلام أو أدوات العولمة الإعلامية تتبارى فيما بينها لنقل الصورة والحدث من أرض المعركة، وبذلك تفوقت الأسلحة الإعلامية وأثبتت قدرتها الرهيبة في إقناع الراعي العام العالمي فيما أطلقته الإدارة الأمريكية بالحرب العالمية على الإرهاب.

لقد بات واضحا أن (الإعلام المعولم) بأدواته الحديثة أحد مقومات السياسة العامة للدول واحد أوجه تكاملها السياسي المؤثر في ميادين القوى العظمى، وكذلك بالنسبة للمنظمات الإقليمية والدولية على السواء، وبات كل منها حريصا على أن ينشئ الأجهزة المتخصصة للقيام بالوظيفة الاتصالية الخارجية.

إن للعولمة بمختلف مستوياتها مؤسسات وأدوات تعتمد عليها في عملية التطبيق وتتمثل هذه المؤسسات في:

١- الشركات متعددة الجنسيات:

يعد نشاط هذه الشركات وآليات عملها مظهرا من مظاهر العولمة، والتي تتسم بضخامة الحجم وتنوع الأنشطة والانتشار الجغرافي في العالم كله، ومن أبرز هذه الشركات المتخصصة بوسائل الإعلام، التي نشأت خلال اندماج وسائل الإعلام الجديد حسب مفهوم (التناوب) **Synergy** الحديث، الذي يصف ما يفترض أنه الإبداع الثقافي والإنتاجية الاقتصادية الناشئين عن تجمع الصناعات المتنافرة التي كانت تسيطر سابقا رغم انفصالها التام على شعب قطاع الاتصال الترفيهي المعلوماتي الثلاث كلها والقائمة على التزاوج بين تكنولوجيات الاتصال وبرامج المعلومات والترفيه، والتي يطلق عليها اختصارا **Infotainment telesctor** في يد شركة كونية واحدة، لتحل بذلك الرغبة في الاحتكار عبر وسائل الإعلام محل طموحات الشركات التقليدية، التي كانت تهفو إلى الاحتكار في إطار وسيلة بعينها، وبحلول التسعينات كانت **IV** شركة إعلام ضخمة تحصل على نصف إجمالي العائدات من كل وسائل الإعلام بما في ذلك التسجيلات الصوتية والكيبل والفيديو كاسيت، وأدى هذا التجميع إلى تقليص الشركات من ٤٦ عام ١٩٨١ إلى ٢٣ في عام ١٩٩١[٤١].

وتهدف هذه الشركات إلى فرض سيطرتها على كل خطوة من خطوات صنع الصورة من البداية حتى وصولها إلى المستهلك. وتعد شركات (هوم ستوبينج ورك، وفياكوم، وبلو كستر فديو) الأمريكية من كبريات الشركات

المهيمنة في القرن الحادي والعشرين والتي تتولى البيع والترفيه وتسيطر على قطاع الاتصال المعلوماتي والترفيهي في العالم، لقد أدت هذه السيطرة الواسعة للشركات المتعددة الجنسية على الحقل الاتصالي وفقا لنموذج (جوهان جالتونج)[٤٢] الذي درس هذه الظاهرة إلى تقسم العالم إلى جزأين غير متكافئين هما: (المركز) المسيطر وتمثله الدول الصناعية المتقدمة وهي قليلة العدد، و(الهامش) الأقل تطورا والمتخلف والذي يمثل دور التابع في النموذج، ويتفاعل مع التبادل الإعلامي الدولي رأسيا من فوق (الدول المتطورة صناعيا) إلى أسفل (الدول الأقل تطورا والدول النامية). وهو ما تحقق بسيطرة الدول الصناعية المتقدمة على وسائل الاتصال الحديثة ومصادر الأنباء وتوظيفها لمصالحتها على حساب المصالح الوطنية للدول النامية العاجزة اقتصاديا وتقنيا وعمليا عن حل هذه المعضلة التي تقف عاجزة أمامها.

وكثيرة هي محاولات الأمم المتحدة التي تؤكد في إعلاناتها على أهمية (حرية المعلومات) والتدفق الحر، وجاء في أحدها (يجب على الدول أن تصدر سياسات تحمي بموجبها التدفق الحر للمعلومات فيما بين البلدان عبر الحدود، وحق طلب وبث المعلومات يجب أن يكون مضمونا لكي يستطيع الجمهور التأكد من الحقائق ويقيم الأحداث، ويشير بهذا الصدد (بطرس غالي) الأمين العام السابق للأمم المتحدة إلى أن القدرة الإعلامية أصبحت جزءا من عمليات التدخل الأولية التي تجري تحت مظلة الأمم المتحدة، وذلك لتتمكن هذه العمليات من شرح مهمتها للسكان، وللقيام من خلال إتاحة مصدر معلومات موثوق به ومحايد بمجابهة المعلومات الكاذبة التي تنتشر عنها من جانب الأطراف ذاتها، والإذاعة والتلفزيون هما أكثر الإعلام فعالية في أداء هذا

الغرض، ففي جميع العمليات التي توفرت لها قدرة إعلامية ولوفي وقت متأخر، كان هناك تسليم بأن ذلك أسهم إسهاما لا تقدر قيمته في نجاح العملية)[٤٣].

إن الإعلام قد تعولم مع العولمة، و(عولمة الإعلام) حيث تركيز وسائل الإعلام في عدد من التكتلات الرأسمالية متعددة الجنسيات التي تستخدم الإعلام كحافز للاستهلاك على النطاق العالمي. ويؤكد (هربرت شيلر) صاحب المساهمات المتميزة في موضوعة الإمبريالية الثقافية، أن أسلوب الإعلان الغربي ومضمون الإعلام يدفع إلى التوسع العالمي لثقافة الاستهلاك عبر إدخال قيم أجنبية تطمس أو تزيل الهويات القومية أو الوطنية[٤٤] ويرى تشومسكي: أن عولمة الإعلام هي الزيادة الضخمة في الإعلان خاصة عن السلع الأجنبية والتركيز على ملكية وسائل الإعلام الدولية، وبالتالي انخفاض التنوع مقابل الزيادة في التوجه المعلن .. ويوضح هذا الاستنتاج بقوله: إن العولمة هي التوسع في التعدي على القوميات من خلال شركات عملاقة شاملة ومستبدة يحركها أولا الاهتمام بالربح وتشكيل الجمهور وفق نمط خاص، حيث يدمن الجمهور أسلوب حياة قائمة على حاجات مصطنعة مع تجزئة الجمهور، وفصل كل فرد عن الآخر، حيث لا يدخل الجمهور على الساحة السياسية ويزعج أو يهدد نظام القوى أو السيطرة في المجتمع.

٢- أدوات العولمة الإعلامية:

أتاحت ثورة الاتصالات التي حدثت بعد منتصف القرن العشرين وتكنولوجيا المعلومات الفرصة لوسائل الإعلام كي تنقل نقلة نوعية من حالة

التطور التقليدي إلى درجة من التطور لم تعرف سابقا، وتمثلت تلك الوسائل باستخدام الأقمار الصناعية والتوابع ووسائل البث المباشر السريع وتخزين المعلومات وتوزيعها وإعادتها واسترجاعها وبتدفق هائل، هندسة الطباعة الحديثة والطبع ونقل الصورة والصفحات (بالفاكسملي) والتحكم في التوزيع بواسطة الكمبيوتر وخدمات الإنترنت (شبكة تراسل المعطيات المعلوماتية).

إن التجديدات الحاصلة في تقنيات وسائل الإعلام التي رافقت العولمة شملت العديد من الأجهزة الاتصالية منها[٤٤]:

١- التلفزيون:

فقد رافقه العديد من التحسينات، ولعل أبرز التجديدات الحاصلة عليه هي:

- **التجديد الأول:** في مستوى الإنتاج بظهور التلفزيون الرقمي الحواري أي في استعداد الحاسوب لنقل الصورة بعد أن تمكن من نقل الحرف والصوت، وهذا يعني المرور من الصورة المطابقة للأصل **Analogize** إلى الصورة الرقمية **Number Digital** لقد أحدثت التقنية الرقمية انقلابا في عالم التلفزيون وإن نظام **Digital** يوفر نوعية أفضل ليس فقط للأنظمة التلفزيونية وإنما أيضا للمحتوى البرامجي وبما توفره التقنية الرقمية من استخدام أكثر فاعلية للحيز الترددي، ونوعية أفضل للصورة أو الصوت، وإمكانات أكثر اعتمادية للاستقبال الثابت والمحمول، فإن استخدام التقنية الانضغاط الرقمي سيؤدي إلى زيادة عدد القنوات التلفزيونية التي يمكن بثها ضمن الحيز الترددي نفسه سواء عبر الساتل أو الكابل أو الشبكات الأرضية، كذلك يؤدي إلى زيادة عرض النطاق الترددي للإرسال والسعة اللازمة

للتخزين والتسجيل، أي أن قدرة الإشعاع تتيح استقبال إشارة السواتل بأيسر السبل وإمكانيـة تسخيرها لتناقل الصور بين مختلف البقاع النائية عن طريق وحدات لتجميع الأخبار خفيفة الحجم، سهلة النقل.

إن التقنية الرقمية توفر نوعية أفضل، واعتمادية أعلى، وجودة متميزة للبث التلفزيوني، كذلك الحجم والسعر الأقـل، والموثوقيـة الأعـلى، إضـافة إلى زيـادة عـدد القنـوات التلفزيونيـة المتخصصـة والمتنوعة، والتي يتم بثها ضمن باقات رقمية تمكن بطبيعتهـا مـن تحقيـق الخـدمات المتفاعلـة بـين المشاهد ومصدر البرامج كخدمة الدفع مقابل الرؤيا، وخدمة الفديو وحسب الطلـب. كـما سـتمكن **Digital** بعملية التخاطب الحاسوبي بـين الطـرف البـاث والطـرف المتلقـي، وهـو مـا يسـمى اليـوم بالتلفزيون الحواري أو التفاعلي.

- **التجديد الثاني:** إدخال (المولتمديا) في الجهاز التلفزيـون ذي الوسـائط المتعـددة (التلفزيـون التفاعلي) **Television In reactive**، والذي يقوم بوظـائف كثـيرة فهـو كمبيـوتر وهـاتف وفـاكس وفيديو وتلفزيون، وهو ينقل المعلومة في اتجـاهين بحيـث يصـبح في متنـاول المشـاهد التفاعـل مـع مصدر البث والمشاركة الجماعة في إنتاج الشريط، في ألعـاب الفيـديو، وفي بـرامج التسـلية والتعلـيم والإبداع الفكري، ومن المتوقع أن يدخل هذا الجهاز كل بيت، وسـيحل محـل التلفزيـون التقليـدي، ويمتاز أساسا بوظيفته التفاعلية من خلال ارتباطه بالشبكات ذات النطاق العـريض، وسـوف تعـوض هذه الشبكات بدورها مختلف خطوط الهاتف المعروفـة بمحـدوديتها الفنيـة وعـدم قابليتهـا لنقـل الصور والأرقام.

إن الخدمة التي يوفرها نظام (الملتمديا) لمشاهدي التلفزيون التفاعلي هي محتوى برامج هذا التلفزيون، إذ سيصبح بالإمكان تغييره حسب طلب المشاهد، وللمشاهد أن يختار في خزائن الفديو ما يرغب فيه من الأشرطة الدرامية والوثائقية أو المنوعات أو الأحداث الرياضية التي يريد رؤيتها على شاشته، وبإمكانه كذلك أن يتدخل في سيرها، بالإجابة على الأسئلة المطروحة فيها، أو بتكبير بعض المشاهد أو باختيار مشاهد إضافية أو بتغيير السيناريو. إن (تلفزيون الغد) هكذا يسميه البعض ستكون له آلاف المصادر من خلال مسلك واحد يربطه بالعالم أجمع في حين أن التلفزيون التقليدي كان قالبا أحادي الاتجاه يتمثل في بث واحد يستقبله آلاف من المشاهدين.

٢- الكمبيوتر - الحاسوب الإلكتروني:

إن الإنجازات الاتصالية في ظل العولمة جعلت العالم يمر بمرحلة تكنولوجية متطورة، وهو ما يمكن تسميته بتقنية الاتصال متعدد الوسائط، أو التقنية الاتصالية التفاعلية، أو التقنية المهجنة التي تركز على القدرات النوعية فائقة التطور للجيل الخامس من الحاسبات الإلكترونية، إضافة إلى الألياف الضوئية وأشعة الليزر، وتتضح درجة الاندماج الوشيك بين منظومات الحاسب الإلكتروني والاتصالات السلكية واللاسلكية، ويتجلى ذلك من خلال إنشاء ما يسمى بطريق المرور الضوئي السريع أو الطريق السريع للمعلومات، إن (الإنترنت) هذا الوليد الجديد للتكنولوجيا الاتصالية الحديثة أصبح الفضاء الذي تتلخص فيه العولمة، وهو بالتالي رمزها الحي لأنه شبكة تخلق علاقات

مستمرة بين خبراء العالم، وتأثيراته شاملة تمس كافة المجتمعات بأشكال مختلفة، إذ يجمع بين عناصر أساسية لربط الكون في:

أ- **الشمولية:** لأنها تمس كافة جوانب الحياة وكذلك العلاقة بالمعرفة، وعلاقات الجماعات الإنسانية ببعضها، والمؤسسة الاقتصادية وممارسة الطب، وظهور أشكال فنية..

ب- **السرعة:** إن سرعة التطور التكنولوجي الحالي شديدة الخصوصية، بمعنى أنها تختلف جذريا عن تلك التي ميزت التراكمات التقنية عبر التاريخ.

ج- **العالمية:** إن الإنترنت في استخداماته لا يقتصر على المجتمعات الصناعية المتقدمة فحسب بل يخترق المجتمعات في نفس الوقت بالرغم من تفاوتها.

وكثيرة هي الخطابات حول الإنترنت باعتباره الوسيلة الإعلامية السادسة في ظل العولمة، وتتميز بطابعين متضاربين، فيعتقد المتفائلون أن الثورة التكنولوجية الحالية مغايرة جذريا لكل الثورات السابقة لأنها (متعددة الأبعاد) تجعل الإنسان حرا من جديد أمام المستقبل ليعيد صياغته، وتسمح بالتفكير مجددا في مشروع حضاري للإنسانية، إذ تساهم تكنولوجيا الاتصال الحالية في تحرير الإنسان من نطاق المحلية الضيقة، وتفتح أمامه الكون كفضاء رحب يتحرك داخله بحرية متحررا من دون تسلط أو رقابة.

أما المتشائمون فهم يؤكدون على أن هذا الخطاب يخفي واقعا يريد البعض طمسه، وهو امتداد لهيمنة سابقة لقوى اقتصادية وأيديولوجية وسياسية

تستغل الشبكات الاتصالية لترسيخ سيطرتها على العالم، فالعولمة الاتصالية ليست سوى تكثيف لشمولية هذه السيطرة، كما يرى المتشائمون أن الشبكات الاتصالية سوف تؤدي حتما لأزمة ثقافية تتلخص في عدم قدرة الأجيال القادمة من لوصول للمعرفة إلا عن طريق الصورة.

إن التحولات التي شهدها العالم بفعل العولمة تجعل المرء نفسه أمام ظاهرة فريدة من نوعها، حيث اتجهت العولمة في المجالين الثقافي والإعلامي إلى تسخير وسائل الاتصالات و المعلومات الحديثة، وبالرغم من التدفق المعلوماتي وتسهيل الاتصال بين الشعوب وتداخل الحضارات . إلا أن الحقيقة تكشف أن العولمة أو (الأمركة) باعتبار أن العولمة هي الوجه الحقيقي للهيمنة الأمريكية على العالم من خلال نظامها العالمي المزعوم، تعمل على ضرب المقومات المعنوية وطمس القيم والمبادئ التي تتشكل منها شخصيات الأمم والشعوب مما أدى إلى السلبيات الآتية:

١- السعي الدائم لترسيخ (الأمركة) الثاقفية والإعلامية، وجعل الكون (قرية أمريكية) بدلا من (قرية عالمية صغيرة)، عن طريق سلطان المعرفة وشحن تقنيات الاتصال.

٢- الأمركة الثقافية والإعلامية تمثل تجليا ساطعا للمركزية المهيمنة والمتسلطة والتي تحاول اختراق خصوصيات الغير وتمزيق أنماط الثقافية من أجل تأكيد التبعية.

٣- يكفي لكي نبرز مدى السيطرة الأمريكية على العالم عن طريق وسائل الاتصال والمعلومات أن نذكر الحقائق التالية:

أ- إن شبكة الإنترنت هي أكبر شبكة معلوماتية، فهي في الأصل شبكة أمريكية.

ب- إن أمريكا تمتلك أكبر عدد من الأقمار الصناعية.

ج- إن سوق الإعلام العالمي تحتكره أربع وكالات عالمية هي: أسوشيتد برس، يونايتد برس، رويتر، فرانس برس، والمدقق في هذه الوكالات يلاحظ أن الوكالتين الأولى والثانية أمريكيتان والثالثة بريطانية، والرابعة فرنسية، مما يؤكد أن نصف السوق الإعلامي العالمي هو في الواقع أمريكي.

إن عولمة الإعلام في ظل المتغيرات الجديدة في المجتمع الدولي المعاصر أو ما نسميه (النظام العالمي الجديد) تهدف إلى التعظيم المتسارع والمستمر في قدرات وسائل الإعلام والمعلومات على تجاوز الحدود السياسية و الثقافية بين المجتمعات، بفضل ما توفره التكنولوجيا الحديثة من التكامل والاندماج بين وسائل الإعلام والاتصال والمعلومات، وذلك لدعم عملية توحيد ودمج أسواق العالم من ناحية، وتحقيق مكاسب لشركات الإعلام والاتصالات العملاقة متعددة الجنسيات على حساب تقليص سلطة ودور الدولة في المجالين الإعلامي والثقافي[٤٥].

- مظاهر العولمة الدبلوماسية:

إن التحولات التي شهدها النظام العالمي الجديد أفرزت آثارا عديدة فيما يتعلق بالسياسة الخارجية واختصاصات الدولة القومية، وبالتأكيد أثرت على دبلوماسيتها (التفاوضية)، إذ تحولت الدبلوماسية من أداة تمثيل لمصالح الدولة

المرسلة في الدولة المضيفة والمحافظة عليها وتطويرها بكل السبل المشروعة إلى فن إدارة الاتصال والعلاقات بين الدول في ظل مفاهيم حديثة مثل:

الاعتماد المتبادل **Interdependency**

و

الأمن الجماعي **Collective Security**

أو

المواطنة الكونية **Global Citizenship**

لقد عملت العولمة بفضل وسائل الاتصال الدولية الحديثة على جعل الدبلوماسية تعمل وفق أساليب حديثة، والتركيز على تنامي الشعور والوجدان العالمي بحيث أصبحت قضايا مكافحة التلوث وحماية البيئة والانفجار السكاني، وحقوق الإنسان ومكافحة المخدرات ومحاربة الإرهاب والحد من الأسلحة النووية تتطلب النظرة الشمولية لدبلوماسية الدول في سياق المصلحة الدولية العامة.

للوهلة الأولى نجد أن رغبة النظام العالمي الجديد أن تفعل العولمة فعلها السلمي في قيام مجتمع دولي على أساس السلام وحسن الجوار والأمان وتحقيق الأمن الجماعي، وكلما يتقدم يتضاءل أمام تمدد دور الولايات المتحدة الأمريكية، وخاصة عندما أصبحت العولمة مرادفة للأمركة، بمعنى سعي الولايات المتحدة الأمريكية إلى إعادة صياغة النظام العالمي طبقا لمصالحها وتوجهاتها وأنماط القيم السائدة فيها[٤٦].

ويمكن توضيح ذلك في موضوع الغلاف الذي نشرته مجلة **Time** الأمريكية في العدد (٨) الصادر في ٢١ آب ١٩٩٥، وكان موضوع الغلاف عن الحرب المعلوماتية **Cyber wdr**.

(.. عندما يظهر طاغية في المرة القادمة من (طهران أو طرابلس أو بغداد) ليهدد حلفاء أمريكا في منطقة الخليج أو القاهرة أو القدس لن ترسل الولايات المتحدة جنودا أو بوارج حربية، بل سترسل أوبئة حديثة بواسطة شاشات الفيديو، ومفاتيح الحاسب الآلي، أولا سترسل فيروسا حاسوبيا لشبكة هواتف العدو، يحدث عطلا كاملا لنظام الاتصال الهاتفي، وسترسل بعده أوامر وهمية مصطنعة للضباط في جيش العدو من خلال نظم اتصالهم ، وهم بدورهم يطلقون هذه الأوامر لجنودهم دون علم بأنها مصطنعة، وسينتشر الجنود بأمر الضباط في الصحراء، وهذا ما سيشتتهم ويضعف قوتهم الدفاعية.. وبعد ذلك ستقوم طائرات أمريكية مهيأة خصيصا لعمليات الحرب النفسية، ببث رسائل دعائية من خلال تلفزيون العدو، تؤدي إلى تأليب الشعب في (دولة العدو) ضد زعيمه، وحين يدير هذا الزعيم جهاز الحاسب الآلي الخاص به سيجد أن حسابه في البنوك السويسرية قد تمت تصفيته، كل هذا دون أن تطلق طلقة واحدة).

وبذلك يتضح جليا سبب فرض الولايات المتحدة الأمريكية هيمنتها، وحق التدخل سياسيا وعسكريا في أي منطقة، تحت ستار النظام العالمي الجديد لتحقيق أهدافها وحماية مصالحها، ولعله لم يكن من قبيل المصادفة أن جاءت الدعوة الأمريكية لقيام نظام عالمي جديد، وليس لإقامة نظام دولي جديد، وهذا

ما فسره البعض بأنه أمر مقصود من جانب المسؤولين الأمريكيين لصرف الأنظار عـن مفهـوم (الدولة) الذي ظل لعدة قرون معبرا عن الصورة الرئيسية للمجتمعات السياسية الحديثة، باعتبارهـا الشخص الرئيسي من أشخاص القانون الدولي واللاعب الرئيس في مجال العلاقات الدولية، بما يتضمنه هذا المفهوم من ضرورة توافر صفة (السيادة) **Sovereignty**، ولما تستتبعه هـذه الصـفة مـن عـدم جواز التدخل في شؤون الداخلية للدول الأخرى، وهو المبدأ الذي كان مـن الممكـن أن يشـكل عائقـا أمام محاولات التدخل السياسي أو العسكري الذي قد تضطر الولايات المتحدة الأمريكيـة وحلفاؤهـا إلى اللجوء إليها دفاعا عن مصالحهم. ومن هنا وجدت الولايات المتحدة الأمريكيـة في حـرب الخلـيج الفرصة الذهبية لتقرير حقها في التدخل عسكريا ضد العراق بدعوى خروجه على الشرعية الدوليـة في اعتدائه على الكويت، فراحت تظهر حسما وجزما بالغين ف مواجهته، معلنة أنه ليس ثمـة مجـال للحديث عن تسـوية سـلمية أو دبلوماسـية للأزمـة، أي أنهـا ألغـت (الدبلوماسـية) كليـا والتفـاوض واستخدمت القوة العسكرية (الحرب) ضد العراق، ومن هذا المنطلق فقد عرقلت الولايات المتحـدة الجهود الدبلوماسية كافة التي كان من الممكن أن تؤدي إلى تسوية الأزمـة سـلميا.. وطبيعـة الحـال فقد كان الباعث وراء ذلك هو عدم إضاعة هذه الفرصة التي يمكن أن تتخـذ كسـابقة أولى لتطبيـق أحكام ذلك النظام العالمي الجديد الذي رفعت لواءه الولايات المتحدة الأمريكية[٤٧].

لما كانت الدبلوماسية المعاصرة أوجدت دبلوماسية المنظمات البرلمانية والتـي تحـدثنا عنهـا في فصول سابقة، إلا أن النظام العالمي الجديد (المزعوم)

ألغى هذا الدور، فقد عملت (أمريكا) منذ البدايات الأولى على إعطاء نفسها الحق في زعامة هذا النظام، وعملت على إبقاء المنظمة الدولية بعيدة عن القيام بأي دور فعال لحل الأزمة العراقية – الكويتية مثلا، وعلى النحو الذي قرره ميثاق الأمم المتحدة، فحاولت قصر دور المنظمة الدولية على مجرد إصدار قرارات من مجلس الأمن تدين العراق، وتنذره لدخوله دولة الكويت، وتطالبه بالانسحاب الفوري من أراضيها، وبفرض عقوبات تصاعدية على العراق، لإقناع الرأي العام العالمي باستنفاذ السبل والوسائل السلمية كافة في إعادة الشرعية، وحتى تتمكن من إتمام الاستعدادات العسكرية الضخمة التي كان يتطلبها القيام بالتدخل العسكري، بينما كانت تحبط -في الخفاء- الجهود الدبلوماسية كافة، وعلى الصعد جميعها، بغية توجه دفة الأحداث نحو حتمية التدخل العسكري ضد العراق .. وهذا هو أسلوبها المعروف، فقد صعدت الولايات المتحدة من ضغوطها وتهديداتها لمجلس الأمن لحمله على الانصياع لوجهة النظر الأمريكية، وقد ساعد على ذلك عدم وجود معارضة روسية داخل مجلس الأمن، فضلا عما قامت به الحكومة الكويتية في المنفى من جهود دبلوماسية وإنفاق الملايين من الدولارات لاستمالة الدول الأعضاء في مجلس الأمن لتأييد قرار التدخل العسكري ضد العراق.

ويرى فقهاء القانون الدولي أن معالجة مجلس الأمن للأزمة العراقية – الأمريكية قد جاء على نحو مخالف للسوابق كافة التي شهدتها المنظمة الدولية، فقد نص القرار ٦٧٨ الصادر عن مجلس الأمن في ٢٩ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٩٠ على أنه (يصرح للدول الأعضاء المتعاونة مع الحكومة الكويتية بأن

تستخدم جميع الوسائل اللازمة لدعم وتنفيذ القرار ٦٦٠ لسنة ١٩٩٠ وجميع القرارات اللاحقة ذات الصلة، لإعادة السلم والأمن الدوليين إلى نصابهما في المنطقة، ما لم ينفذ العراق القرارات السالفة الذكر قبل ١٥ كانون الثاني/يناير ١٩٩١م)

ويتضح من نص القرار السابق أن مجلس الأمن قد أوكل إلى كل دول الائتلاف الغربي مهمة استخدام القوة العسكرية على النحو الذي تراه أمريكا، وهو ما كان يعني احتفاظ الولايات المتحدة بالحرية الكاملة في الحركة بعيدا عن أي تدخل من مجلس الأمن، وهو الأمر الذي يتنافى مع ما أقرته أحكام الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة[٤٨].

وقد علق الأمين العام للمنظمة الدولية وقتئذ عن ذلك الأمر بقوله: (لقد صرح مجلس الأمن باستخدام القوة.. ولكن هذه الحرب ليست حرب الأمم المتحدة، ولا توجد قوات تابعة للأمم المتحدة وترفع علمها)، وتتم إحاطتي علما بما يدور على مسرح العمليات العسكرية من خلال تقارير تبعثها الدول المتحالفة، ولا نستطيع القول بأن الأمم المتحدة مسؤولة عن هذه الحرب، ومع ذلك فهي حرب مشروعة في سياق معنى محدد، وهي أنها حرب مصرح بها من جانب مجلس الأمن). ومن هنا يمكننا أن نخلص إلى أن فكرة النظام العالمي الجديد وعلى حد وصف إحدى الصحف، قد استغلت من جانب الولايات المتحدة لاستبعاد بقية دول العالم ، ولجعل مجلس الأمن مجرد جهاز من أجهزة تنفيذ السياسة الخارجية.

وبذلك تم عولمة الشرعية الدولية، فعلى سبيل المثال همشت الولايات المتحدة الأمريكية دور الأمم المتحدة وشرعيتها الدولية بقوانين خاصة، استطاعت أن تنشر بعضها عالميا، وتؤثر على دول كثيرة كي تؤيدها في هذه القوانين وهي في الواقع قوانين خاصة بالسياسة الأمريكية ضد الدول التي تدعوها إدارة الولايات المتحدة بـ(المارقة) (المشاكسة، الإرهابية)، ونذكر من هذه القوانين قانون (هيلمز) ضد كوبا، وقانون (ميرلرن) ضد كوريا الشمالية، وقوانين (داماتو) ضد ليبيا وإيران. لقد فرضت هذه القوانين على مجلس الأمن، والتي كانت أصلا مرسومة ومعدة في الكونغرس الأمريكي، الذي اعتمد شكلا آخر من مناداته في السيطرة الأحادية وهو شكل العقوبات. فالرئيس الأمريكي بيل كلينتون وحده وفي زمن ولايتيه فرض العقوبات نحو أربعين مرة وعلى أكثر من ثلاثين دولة في العالم، ولكنه في المقابل لم يفرض مرة واحدة أيا من القوانين الدولية (الشرعية) الخاصة بالصراع العربي الإسرائيلي والتي بلغت ١٤٥ قرارا. إن الضغط الأمريكي على الشرعية الدولية سيستمر، ما دامت الولايات المتحدة تسير حتى الآن بخطوات واثقة نحو العولمة التي بدأت تفرضها حتى على الأقوياء، بينما تضعف شرعية هيئات الأمم المتحدة التي لم تفكر يوما بمعاقبتها أو مقاومة قراراتها الوحشية؟!

إن الظروف الدولية وما رافق العالم من أحداث اتسمت بطابع الحروب والهمجية، وعدم توازن القوى الدولية، وقدرتها في اتخاذ القرارات السياسية فعلت قدرة الولايات المتحدة للقيام بدور الشرطي العالمي، الذي يوجه التهم للآخرين ويتدخل في سياستهم الخارجية والداخلية داخل النظام الدولي،

وأصبحت (دبلوماسية التقارير) التي تصدرها وزارة الخارجية الأمريكية أو الكونغرس أو غيره من اللجان ظاهرة متعارف عليها في الآونة الأخيرة.

- دبلوماسية العولمة:

عموما يمكننا أن نشير إلى بعض المتغيرات التي طرأت على الدبلوماسية وآلية أدائها في ظل النظام العالمي (المزعوم) وأثر العولمة على وظائفها الجديدة:

أولا: أدت سرعة الاتصال الناتجة عن تطور تقنيات المعلومات و الاتصال الجماهيري والمواصلات إلى تطور هائل في سرعة انتقال الأفكار والثقافة عبر الأقمار الصناعية، وسرعة انتقال الأحياء والأشياء، وفي مضمار الفكر والثقافة كثر الحديث عن التفرد الثقافي والاستعمار الفكري، وفي مضمار حركة الأحياء (كالإنسان والحيوان)، والأشياء (كالسلع والبضائع) يكثر الحديث عن (الهيمنة الاقتصادية، وما قد يلازمها من هيمنة عسكرية، وهيمنة سياسية، ومن ثم فكرية وثقافية، فموضوع (الشرق أوسطية) مثلا.. يناقش كموضوع اقتصادي - استراتيجي - سياسي - يراد به خدمة إسرائيل لجعل مقدرات الأمة العربية وإمكاناتها تحت رحمتهم، ويناقش في الوقت ذاته كموضوع عن (الهوية العربية)، والذات العربية ومحاولة (الآخر) لمحوها ..[٤٩] إن سهولة الاتصالات وتطورها عملت على أن يقوم رئيس الدولة نفسه أو الممثل الشخصي أو وزير الخارجية بإجراء المفاوضات وعقد الاتفاقات، ولم يعد السفير وأعضاء بعثته في ظل الكم الهائل من المعلومات التي تنهمر عليه بمؤتمنين ائتمانا كاملا على تمثيل بلدهم، والمحافظة عليها كما كان سابقا،

فسرعة المواصلات سهلت سفر رئيس الدولة أو وزير الخارجية، ووفرت لهما الجهد والوقت مما يتيح الانتقال بسهولة. وسرعة الاتصال جعلت دور الدبلوماسي يتحول من مفاوض إلى منسق للتفاوض، يجهز المعلومات وينسقها ويحللها لتكون مادة للتفاوض بين وزير الخارجية، ونظيره من الطرف الآخر، وبذلك انتشر أسلوب (الممثل الخاص) (المنسق) وفكرة السفراء المتجولين الممثلين لمصالح بلادهم في أكثر من موقع (صفة التمثيل). والتجديد في فكرة دبلوماسية المؤتمرات تطرقنا لها في الفصول السابقة.

ثانيا: المراقب للعمل الدبلوماسي الحديث يلاحظ أن العولمة وسرعة انتقال المعلومات جعلت مهمة الدبلوماسي أكثر يسرا من جهة وأكثر صعوبة من جهة أخرى، إن سرعة تبادل المعلومات بين طرفين تؤدي إلى سرعة التواصل، وبالتالي إلى تيسير عملية الاتصال، ولكن هذه السرعة تتطلب كذلك قدرة عالية على تصنيف المعلومات، ولا تتوفر هذه الصيغة إلا بالممارسة والتدريب والمران، فالقرار والحكم القاضيان بأهمية معلومات معينة - دون غيرها من الكم الهائل من المعلومات في عصر المعلومات، وترابط هذه المعلومات مع غيرها من (المعلومات)، إلى عملية (التصنيف) ثم الحكم على إجمالي الناتج من عملية التصنيف، وتحليل ظاهرة معينة بناء عليه وإعداد تقرير سريع، كل هذه الأمور تستلزم أن يكون الدبلوماسي العادي ذا قدرات عالية في معالجة وتصنيف وتحليل المعلومات بسرعة، ومن هنا لابد أن توكل مهمات الإعداد والتحليل والتصنيف إلى دبلوماسي يقوم بنشاط آخر هو

(المستشار الإعلامي)، لمواكبة الأحداث في ظل سرعة الاتصالات والمواصلات وتدفق المعلومات في زمن العولمة.

- المستشار الإعلامي والعمل الدبلوماسي:

إن وظيفة المستشار الإعلامي أو الملحق الصحفي .. ولدتها التغيرات الجديدة في المجتمع المعاصر، وفرضتها آلية الدبلوماسية الحديثة: فالملحق الصحفي وظيفته هي: الاتصال بجميع فئات وطبقات العالم المحلي، لتوضيح وجهة نظر حكومته ولمعرفة وجهة نظر تلك الفئات والطبقات، اتصاله بهذا المعنى ليس مجرد نقل للمعلومات استقبالا، وإنما أيضا إرسالا. بعبارة أخرى، هو من يأخذ ويعطي ، وهو لا يتصل فقط بالطبقة الحاكمة، وإنما يتصل بالمواطن في معناه المطلق، وبذلك فهو يخالف جميع التقاليد الدبلوماسية التقليدية، وذلك يبدو فيما يلي:

أ- فهو يتصل بأجهزة الإعلام الجماهيرية، ولا يمكن للدولة صاحبة الشأن أن تمنع ملحقا صحفيا من عقد مؤتمرات يتحدث فيها مع جميع مندوبي أجهزة الإعلام الجماهيري وبحرية تامة لتوضيح وجهة نظر دولته[٥٠].

ب- من حقه أن يخاطب الرأي العام المحلي مباشرة، وبصفة خاصة للرد على أي شيء يعيب دولته في صورة احتجاج أو ما في حكمه، وهو يستطيع أن يتخذ هذا الاحتجاج وسيلة، بأن يقدم للرأي العام المحلي كل ما يريده، حتى ولو كان يتضمن نقدا للحكومة التي يزاول نشاطه داخلها مادام كان هناك مناسبة لتقديم مثل ذلك الاحتجاج ولو مفتعلا،

فعلت ذلك على نطاق واسع الدبلوماسية الروسية خلال الحرب الباردة في علاقتها مع الولايات المتحدة الأمريكية.

ج- هو من حقه أن يتصل لا فقط بالقوى الحاكمة، بل أن يفتح جميع قنوات الاتصال مع القوى المعارضة، وهذا جديد في التقاليد الدبلوماسية بل مخالف كليا كل ما كان يجري عليه العمل الدبلوماسي السابق. هذه التقاليد تختلف من دولة لأخرى بسبب حداثة هذه الصورة من صور الدبلوماسية السياسية، ولكنها في نجاحها تتوقف على عوامل ثلاث:

العامل الأول: طبيعة العلاقات بين الدول صاحبة الشأن، فمما لا شك فيه أن العلاقات بين دول تربطها رابطة الانتماء إلى إقليم واحد أو حقيقة حضارية واحدة لابد أن تختلف عن غيرها حيث لا توجد تلك الرابطة، وهذا ما يعبر عنه بدبلوماسية التجمعات.

العامل الثاني: حول قدرة الأداة الدبلوماسية على أن تكون حركية ومكافحة ونشطة في نطاق العمل السياسي الخارجي، الذي يرتفع إلى حد المغامرة على المستوى الفردي.

العامل الثالث: يعود إلى وجود الأقليات المتعاطفة، إن لم تكن أقليات تنتمي إلى نفس المجتمع الحضاري الذي يمثله المستشار الصحفي.

جميع هذه الصور للعمل السياسي الخارجي تفرض أهمية خاصة للنشاط الإعلامي، حيث أضحى العمل الإعلامي أداة من أدوات تنفيذ السياسة الخارجية وارتفع ليصير أسلوبا من أساليب العمل الدبلوماسي، هذه الطبيعة

تفرض علاقة التداخل المستمر بين العمل الدبلوماسي والعمل الإعلامي، وهذا التداخل يفرض:

أن العمل الخارجي يجب أن يخضع لعملية تخطيط أساسها التنظيم والتنسيق بين السياسة الخارجية والسياسة الإعلامية.. هذا يعني أن خبير الإعلام أو المستشار الإعلامي يجب أن يجمع بين الثقافة الإعلامية المتخصصة من جانب والثقافة السياسية من جانب آخر، والتدريب الدبلوماسي من جانب ثالث.

إذن وظيفة المستشار الإعلامي الدبلوماسي ليست وظيفة الإقناع بسياسة حكومية، أو الحصول على تأييد المواطن إزاء قرار سياسي، بل إنه رسول حضارة ومنفذ سياسة، ومن ثم فهو وسيلة اتصال بين مفهومين من الحركة الخارجية. بعبارة أخرى إن نجاحه يتوقف على قدرته في أن يفهم الأبعاد الحضارية للمجتمع الذي يعانقه دون أن ينسى طبيعته وجوهره الذاتي كامتداد للحضارة التي يمثلها.

ثالثا: إن العولمة بكل ظواهرها وبكل الوسائل التي تعتمدها في الوصول إلى الرأي العام ساعدتها أدوات العولمة الاتصالية والمعلوماتية في إيصال الأخبار والأحداث إلى الجمهور بسرعة مذهلة. وكانت حرب الخليج وضرب مدينة بغداد بالصواريخ مثالا على استخدام قوات التحالف الأقمار الصناعية التي زودت الطائرات العسكرية الأمريكية بشبكة اتصالات موثوق بها وشبه شاملة لمنطقة العمليات (عمليات إرسال سرية وغير سرية باللاسلكي والفاكس والتلكس)، كما زودت بها قوات المناورات والقائمين بعمليات

الاتصال بين السفن واليابسة، كذلك ساندت شبكة الأقمار الصناعية للاتصالات حركة الرسائل المتبادلة في منطقة العمليات، مع إجراء اتصالات مأمونة بين قائد قوات التحالف والبيت الأبيض في الوقت المناسب، ونقل برامج تلفزيونية على الهواء أثناء الليل من منطقة الخليج العربي(٥١).

وبالرغم من تلك السيطرة على أنظمة الاتصال عبر الأقمار الصناعية فشل التحالف في عزل العراق عن المعلومات المستقاة من الأنظمة الفضائية، ففي نهاية الأمر أدى نهم الغرب في متابعة أخبار الحرب إلى كسر الحلقة الضعيفة، في حملة السيطرة على الفضاء، إذ جاب مراسلو الصحف و الإذاعة والتلفزيون وغيرهم منطقة الخليج يستقصون الأخبار ويبحثون عن المعلومات، ويجسون نبض الولايات المتحدة إزاء قيودها التي كانت صارمة على تغطية أخبار الحرب، وكان مبرر واشنطن هو أن حرمان العدو من المصادر التقليدية للاستخبارات يمكن أن يدفعه إلى رصد برامج الأخبار المتواصلة مع احتمال استخدام المعلومات التي يحصل عليها في الأغراض العسكرية، وكانت أخبار شبكة **CNN** متوافرة للعراق طوال مدة الحرب، كما كانت بلا شك أفضل مصدر استخباراتي للقادة العراقيين، إذ تضمنت تغطيتها الشاملة لأخبار الحرب بثا حيا لمقابلات ومؤتمرات صحفية وتقارير متابعة عن الأحوال الجوية في مسرح العمليات، مع الحصول على تحليلات عسكرية طويلة وقصيرة المدى من الخبراء، وردود أفعال المشاهدين في الولايات المتحدة نفسها، فعلى سبيل المثال حين بثت شبكة **CNN** الأخبارية الأمريكية قصف الطيران الأمريكي (ملجأ العامرية) أحد مخابئ المدنيين في بغداد أثناء الحرب وفيه ٤٠٠ شخص، كان متوقعا أن تؤدي المشاهد البشعة التي ظهر فيها

الضحايا المدنيون من النساء والأطفال إلى مطالبة الرأي العام الأمريكي بإيقاف الحرب، وكاد ذلك أن يحدث بالفعل بعد مشاهدة الحادثة المشار إليها.. وفي مدة وجيزة استجمعت الدبلوماسية الأمريكية طاقاتها وقدراتها لمخاطبة الرأي العام المحلي والعالمي، والتي تضاعفت بفضل التأهيل المعلوماتي العالي لجهازها وكادرها، وبفضل الجاهزية لوسائل الإعلام الأمريكية، فاستطاعت الخارجية الأمريكية أن توظف الدبلوماسية الإعلامية لخدمة الدبلوماسية الرسمية، واستطاع الدبلوماسيون أن يعدوا تقارير سريعة ومشوهة عن الجيش العراقي أثناء دخوله الكويت، وبسرعة بثت الإدارة الأمريكية هذه التقارير ووجهت إليها أجهزة الإعلام، وذلك بطرح فحواها في التصريحات الرسمية الصادرة عن البيت الأبيض مما أدى إلى تراجع الرأي العام المنادي بإيقاف الحرب.

كل ما سبق يقودنا إلى استنتاجين:

الأول: هو أن الدبلوماسيين لم يعد بإمكانهم حجب المعلومات عن عامة الشعب، فقد شوهدت حادثة ضرب ملجأ العامرية وفظاعة موت المدنيين العزل من خلال شبكة **CNN** في معظم أنحاء العالم، رغم أنف السياسيين في دول التحالف.

الثاني: هو أن من يملك تقنيات ومصادر المعلومات يمكنه أن يسخرها بحيث تخدم أهدافه الدبلوماسية، مما قد يضعف القيمة (التعليمية) للمعلومة، أي أن تشكيل وتحوير المعلومة وفقا لأهداف المرسل- يؤديان في النهاية إلى إفقاد المعلومة عنصر الحيادية، مما يجعلها مضللة للرأي العام.

رابعا: بفضل تطور تقنيات الاتصال والمعلومات في (زمن العولمة) ظهر مفهوم (الدبلوماسية الآنية) والذي نتج عن دمج تقنيات الأقمار الصناعية والبث والاستقبال التفزيوني والحاسوب والهاتف، وهذا بدوره أدى إلى تداخل الدبلوماسية الإعلامية مع الدبلوماسية الرسمية مما أدى إلى اتساع المساحة المشتركة بينهما.

إن التداخل بين الدبلوماسية الإعلامية والدبلوماسية الرسمية كاد أن يمحور دور الثانية، وما كان يصنف بأنه سري للغاية أو سري جدا، لم يعد بالإمكان جعله سرا مدة طويلة، وهذا يضر الدبلوماسية الرسمية للدولة، إذا كان سرها مكشوفا، وينفعها إذا كان سر غيرها هو الكشوف، في الحالتين فإن الرابح هو الرأي العام المحلي والدولي .. وقد آن أوان الدبلوماسية الآنية أو (دبلوماسية الشعوب) أو الدبلوماسية الشعبية كما يحلو لبعض الدارسين أن يسميها.

- سمات دبلوماسية الغد:

يصف البعض أن عصر الدبلوماسية قد ولى .. بل ضعف أداؤها بفعل المتغيرات الدولية وسيادة الدبلوماسية المركزية (دبلوماسية القوة)، لتحل محل (دبلوماسية التفاوض)، ويتمنى البعض الآخر أن تتحلى دبلوماسية (الغد) ببعض من السمات الجديدة في أن تسعى لأن تسود العلاقات الدولية أخلاقيات وقواعد حكم جاهدت الأمم المتحدة على مدى عقود أن تسود في داخلها مفاهيم المساواة أمام القانون والمساءلة الديموقراطية وثقافة الإعلام، وباختصار دبلوماسية التنمية والسلام.

ولابد أن تكون الدبلوماسية الجديدة .. دبلوماسية وقائية .. تتلافى النزاع قبل وقوعه، قبل أن تكون دبلوماسية علاجية.. إن معظم النزاعات التي عرفها العالم الآن هي نزاعات ثقافية، ولذلك يجب الحرص على استراتيجيات جديدة تراعى القضايا الثقافية، ويتصل بهذا السعي أن يكون التنوع الثقافي مصدرا من مصادر الإبداع، لا الإكراه والقمع، ويتطلب من الدبلوماسية الجديدة أن تحقق مبدأ المساواة والعدالة بين الشعوب، فينبغي أن تطبق الدبلوماسية مبادئ اقتصاد السوق على استغلال المشاعات العالمية، وفرض رسوم على استخدام الموجات العالمية الهوائية، لتطوير الإعلام الداخلي.. كذلك يجب أن تطبق مبادئ محاربة السلاح ونزعه على الصعيدين (المصدرين والمستوردين).

وتعقد الآمال على (دبلوماسية الغد) في أن تطبق ميثاق الأمم المتحدة وتحترم شرعيتها الدولية وأن تعيد سمعتها وهيبتها وترد اعتبارها لتكون الأمم المتحدة ممثلة للشعوب لا الحكومات وحدها، والتي تنفرد بعضها بقراراتها وسيادتها للعالم.

وكذلك تعقد الآمال في سعي الدبلوماسية الجديدة (المنتظرة) في تبني (الحوار بين الحضارات) بدلا من (صراع الحضارات)، وقيام نظام عالمي عادل موحد، نابع من صميم المجتمع الدولي، وملب لرغباته وتطلعاته الإنسانية، وأن تسود دبلوماسية (السلام) بدلا من العنف والقوة والتفرد المتوحد؟!

مصادر الفصل الخامس

١- الهيثم الأيوبي، العالم العربي وتحدياته في ظل النظام العالمي الجديد، تعقيب في أعمال المؤتمر الدولي لمركز الدراسات العربي-الأوروبي- باريس ١٩٩٣، ص١٨٩.

٢- مي شيركوني، التوازن الجيوبوليتكي الدولي بعد تفكك الاتحاد السوفيتي، ورقة مقدمة إلى مؤتمر مركز الدراسات العربي الأوروبي، باريس ١٩٩٣، ص٢٩٢.

٣- جورج شولتس: الدبلوماسية ليست بديلا للقوة .. إنهما متوازيان، فورين افيرز الأمريكي، السفير ١٦-١١-١٩٩٥.

٤- المصدر السابق.

٥- وثيقة الصيغة الجديدة لبرنامج الحزب الشيوعي السوفيتي – السياسة الخارجية – السفير ٩-١١-١٩٨٥.

٦- م.س. غورباتشوف، بيريسترويكا، والتفكير الجديد لبلادنا والعالم أجمع، الطبعة العربية، منشورات الفارابي، بيروت ١٩٨٨.

٧- عبد الرحمن منيف، الرسائل الجديدة لإخوان الصفا – من فتح الأبواب للرياح السوداء- الأنوار ٢٨-٦-١٩٨٨.

٨- ميخائيل غورباتشوف، من أجل خلود الحضارة البرية، نوفوستي- موسكو ١٩٨٧، ص٢٨.

٩- مذكرات إدوارد شيفر نادزة، الديار، ٢٥ أيار ٢٠٠٠.

١٠- غورباتشوف، حوار مع مجلة تايم الأمريكية أعيد نشره في جريدة السفير، ٦-٩-١٩٨٥.

١١- اعتمدنا الدكتور محمد منذر، مبادئ في العلاقات الدولية من النظريات إلى العولمة، مصدر سبق ذكره، ص٢٩٠-٢٩٣.

12- Freed Man and E. Karsh, The Cuif Conflict, 1990 London, Fober & Fabre, 1993, Pxx1x .

13- N. Chomsky, World Orders: old and new (Caioro: The American University Ncairopress, 1994). P. 12-13.

١٤- طه المجدوب وعبد الفتاح الجبالي، السلوك السياسي والاستراتيجي الأمريكي في منطقة الشرق الأوسط من أوراق المؤتمر الدولي الأول لمركز الدراسات العربي- الأوروبي باريس، (العالم العربي وتحدياته في ظل النظام العالمي الجديد) ١٩٩٣، ص٤١٠.

15- Carl Vuno, Desert sssstorm and the future of conventional force, Foreign Affairs, Spring 1991.

١٦- د. هشام الدجاني، الناتو الجديد .. من دفاعي إلى هجومي..، السفير، ١٩-٥-١٩٩٩.

١٧- السيد ياسين، (في مفهوم العولمة) العرب والعولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٨.

١٨- للمزيد أنظر Global Culture: Nationalsim, Globalization and Modernity Atheory, Culture An Society. Special Issue, edited by Mike Feather stone New burg Park. soge publications, London, PP 13-15.

١٩- أحمد صدقي الدجاني (العرب والعولمة) ندوة نظمها مركز دراسات الوحدة العربية وردت في كتاب (العرب والعولمة)، بيروت ١٩٩٨، ص٦٢-٦٣.

٢٠- عبد الرحمن خليفة، العولمة وعصر متغير، محاضرة عامة ألقيت في الموسم الثقافي بكلية الآداب فرع دمنهور، جامعة الإسكندرية ١٩٩٨.

٢١- إسماعيل صبري عبد الله، الكوكبة الرأسمالية العالمية في مرحلة ما بعد الإمبريالية، مجلة اليسار، العدد ١٩٩٨/٩٧، ص٦٢.

٢٢- عمرو عبد الكريم، العولمة عالم ثالث على أبواب قرن جديد، مقالة وردت بمجلة المنار الجديد، القاهرة ١٩٩٨، ص٣٤.

٢٣- السيد ياسين، العولمة والطريق الثالث ، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة ١٩٩٩، ص١٨.

٢٤- عمرو محيي الدين، المحاور الأساسية لاقتصاديات التنمية ومظاهر العولمة، ١٩٩٧، ص٢١.

٢٥- محمد عابد الجابري، عشر أطروحات حول العولمة والهوية الثقافية، السفير، ١٦-١١-١٩٩٩.

٢٦- للمزيد أنظر كلمة حميد سعيد رئيس مجلس أمناء بيت الحكمة في الجلسة الافتتاحية لمؤتمر العولمة وأثرها في الاقتصاد العربي، بغداد ١٤ نيسان ٢٠٠٢.

٢٧- برهان غليون، ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، دار الفكر، دمشق ١٩٩٩، ص ٢٠-٢١.

٢٨- عمرو محيي الدين، المحاور الأساسية لاقتصاديات التنمية وظاهرة العولمة نقلا عن السيد ياسين، (مفهوم العولمة) مجلة المستقبل العربي العدد ٢٢٨، شباط ١٩٩٨، ص٨.

٢٩- سامي عياش، مؤتمر منظمة التجارة العالمية، إدارة الأزمة وأزمة الإدارة، السفير ٣٠-١١-١٩٩٩.

٣٠- آدمار ماينيرو، العولمة الآثار الاجتماعية والتكاليف الاجتماعية ودور المنظمات غير الحكومية، ورقة قدمت إلى مؤتمر العولمة وأثرها في الاقتصاد العربي- بغداد ١٤ نيسان ٢٠٠٢.

٣١- د. ريتشارد جوت، معارضة العولمة والليبرالية، الجديدة في أمريكا اللاتينية (مؤتمر العولمة وأثرها في الاقتصاد العربي) بغداد ٢٠٠٢.

٣٢- حسن لطيف كاظم الزبيدي، العولمة ومستقبل الدور الاقتصادي في العالم الثالث، أطروحة ماجستير مقدمة إلى جامعة الكوفة/ كلية الآداب والاقتصاد ٢٠٠١، بغداد.

٣٣- طاهر حمدي كنعان (محرر) تنمية الموارد البشرية والنمو الاقتصادي في البلدان العربية، صندوق النقد العربي، أبو ظبي ١٩٩٨، ص٢٠٣.

٣٤- علي توفيق صادق (محرر) القدرة التنافسية للاقتصادات العربية، صندوق النقد العربي، معهد الدراسات الاقتصادية، أبو ظبي ١٩٩٩، ص٦.

٣٥- علي القرني، دور الإعلام في بلورة اتجاهات التغير في قواعد السياسة الدولية في عصر العولمة، دراسة أعدت في مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان ٢٠٠١، ص١١٠.

٣٦- رضا النجار، الثورة التكنولوجية في حقل الاتصال ومجال التكوين والتدريب، مجلة الإذاعات العربية، اتحاد إذاعات الدول العربية، تونس العدد ١٩٩٤/٤، ص١٨.

٣٧- ميشيل تشوسودفيكي، عولمة الفقر، ترجمة محمد مستجير مصطفى، دار كتاب سطور للنشر، القاهرة ٢٠٠٠.

٣٨- عبد الحي زلوم، نذر العولمة (هل بوسع العالم أن يقول لا للرأسمالية المعلوماتية) ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٩٩، ص٥٨.

٣٩- د. نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات سلسلة عالم المعرفة العدد (٢٦٥) المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ٢٠٠١.

٤٠- عبد الإله بلقزيز، العولمة والهوية الثقافية، عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة.

٤١- بنجامين باربر، عالم ماك (المواجهة بين التأقلم والعولمة) ترجمة أحمد محمود، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ١٩٩٨، ص١٦٣.

٤٢- أنظر انموذج (جوهان جالتونج) بشأن اتجاه التدفق الإعلامي الدولي في دراساته عن النظرية الهيكلية للاحتكار الدولي.

٤٣- بطرس غالي، خطة للسلام، منشورات الأمم المتحدة، نيويورك ١٩٩٥، ص١٠٨.

٤٤- للمزيد أنظر، مجد الهاشمي، الإعلام الكوني وتكنولوجيا المستقبل، دار المستقبل للنشر والتوزيع، عمان ٢٠٠١، ص٩٥- وما بعدها.

٤٥- محمد شومان، عولمة الإعلام ومستقبل النظام الإعلامي العربي، مقال نشر في مجلة الفكر ١٩٩٥.

٤٦- مسعود ظاهر، صدام الحضارات كمقولة أيديولوجية لعصر العولمة الأمريكية، جريدة الاتحاد الإماراتية.

٤٧- ممدوح محمود مصطفى، مفهوم النظام الدولي بين العلمية والنمطية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ١٩٩٨، ص٥٢-٥٣.

٤٨- مارسيل ميرل، أزمة الخليج والنظام العالمي الجديد، حسن نافعة، ترجمة دار سعاد الصباح، القاهرة ١٩٩٢، ص١٨.

٤٩- حيدر بدوي صادق، مستقبل الدبلوماسية في ظل الواقع الإعلامي و الاتصالي الحديث، مصدر سبق ذكره، ص٢٦-٣٠.

50- HAMON, Leabovetion dela politiqure etra ngere 1969. P.10.

٥١- ستيفن لمباكيس، السيطرة على الفضاء في حرب الخليج الثانية وما بعدها، دراسات عالمية، العدد ٢، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية.

الفهرس

تم بحمد اللـه





الأردن - عمان - تلفاكس : 4647447 ص.ب : 141781
الإدارة : 5658253-5658254